الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

@ketab_n

د. وليد عودة

Twitter: @alqareah
4.5.2015

كنزُ القَيصَر المفقُود

رواية

كنزُ القَيصَر المفقُود

Twitter: @alqareah

كنزُ القَيصَر المفقُود

رواية

د. وليـد عـودة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

Twitter: @alqareah

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
1432 هـ - 2011 م

ردمك 978-614-01-0239-2

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

Twitter: @alqareah

المحتويات

مقدمة: روسيا 1917— 1920 7

الفصل الأول: دبي 2009 17

الفصل الثاني: موسكو – روسيا الاتحادية 29

الفصل الثالث: جواد 59

الفصل الرابع: عادل 69

الفصل الخامس: روستام 75

الفصل السادس: إعلان عن مسابقة 81

الفصل السابع: حادثة الاعتداء 107

الفصل الثامن: تقديم الطلب 117

الفصل التاسع: اعتراف الجاني 125

الفصل العاشر: المرحلة الأولى 135

الفصل الحادي عشر: مبررات سالم 147

الفصل الثاني عشر: السر الخطير 163

الفصل الثالث عشر: في ضيافة عادل 185

الفصل الرابع عشر: المرحلة الثانية 201

الفصل الخامس عشر: تداعيات المقال 215

الفصل السادس عشر: المرحلة الثالثة 229

الفصل السابع عشر: وهدأت العاصفة 243

Twitter: @alqareah

الفصل الثامن عشر: اختراقات 251
الفصل التاسع عشر: المتهم 259
الفصل العشرون: خطوات جريئة 263
الفصل الحادي والعشرون: رحلة إلى موسكو 285
الفصل الثاني والعشرون: أخبار سارة 299
الفصل الثالث والعشرون: الغواصة 303
الفصل الرابع والعشرون: الطريق الى البحيرة 315
الفصل الخامس والعشرون: المزيد من الأسرار 333
الفصل السادس والعشرون: بحيرة بايكال 339
الفصل السابع والعشرون: رسالة التهنئة 347
الفصل الثامن والعشرون: عقبة مفاجِأة 349
الفصل التاسع والعشرون: الاجتماع بالمدير 357
الفصل الثلاثون: تدريبات مكثفة 361
الفصل الحادي والثلاثون: العودة الى الوطن 369
الفصل الثاني والثلاثون: الاقتراب من القاع 373
الفصل الثالث والثلاثون: مصير المشروع 381
الفصل الرابع والثلاثون: التسليم 389
الفصل الخامس والثلاثون: السر الأخير 391
الفصل السادس والثلاثون: أين روستام؟ 395

Twitter: @alqareah

مقدمة

روسيا 1917– 1920

كان أليكسي الجندي التشيكوسلوفاكي البسيط يشعر بسعادة غارمة، فقد استقل القطار مع رفاقه في رحلة أخيرة داخل الأراضي الروسية الشاسعة متوجهين الى الميناء البحري في مدينة فلاديفستوك في أقصى الشرق حيث تنتظرهم الباخرة التي ستعيدهم الى وطنهم.

لقد مكث أليكسي مع من تبقى من رفاقه فترة طويلة في روسيا عاصروا فيها الكثير من الأحداث، فقد شاركوا مع الروس في حربهم ضد الألمان في الحرب العالمية الأولى التي أنهكت روسيا ودمرت الكثير من الدول الأوروبية وفُقد فيها ملايين من البشر.

لقد كنت سعيد الحظ بالفعل إذ نجوت من هذه الحرب حدث أليكسي نفسه وهو ينظر من النافذة ويتأمل الطريق الذي يمر عبر الحقول والغابات.

ما كادت الحرب العالمية تنتهي إلا واندلعت واحدة من أعظم الثورات في تاريخ روسيا.

لقد تذكر أليكسي تلك الأيام الصعبة التي عايشها مع الشعب الروسي عندما كانت الأمة الروسية على وشك الانهيار، فقد جنّد الجيش أكثر من خمسة عشرة مليوناً من الرجال أخذهم من الحقول والمدن ليعيد من بقي منهم في أسوء حال بعد أن شح الطعام ووصلت أسعاره الى

Twitter: @alqareah

أرقام خيالية، حيث تضاعفت أسعار البيض والزبدة وغيرها من الأغذية الرئيسية خمس مرات.

لقد كان الشعب الروسي على شفير الموت جوعاً عندما ثار ثورته الشهيرة، ففي الثالث والعشرين من شباط من عام 1917 في بيتروجراد عاصمة روسيا القيصرية في ذلك الوقت ساهم البرد القارص وشح الطعام في هياج العامة وقيامهم بتحطيم واجهات المحلات بحثاً عن ما يسد رمقهم، واندلعت الحرائق وامتدت الثورة لتعم الأمة بأسرها.

كان أليكسي لا يفهم كثيراً في السياسة ولكنه كان يستغرب الحالة التي وصلت إليها روسيا وهو يسمع أنها تمتلك أكبر احتياطي للذهب في العالم.

كان المناخ في ذلك الوقت مواتياً لاندلاع الثورة البلشفية، ثورة العمال على أصحاب الأموال، وعلى الدولة القيصرية كنظام للحكم وعلى رأسه القيصر نيكولاي الثاني وعائلته.

لم يخطر ببال القيصر في ذلك الوقت أن هذه الثورة ستكون بهذا الحجم وأنها ستكون كفيلة بتقويض حكمه الى الأبد، لهذا لم يأخذ بنصيحة المقربين إليه والذين نصحوه بالتعامل مع هذه الثورة بحكمة. كان واثقاً أن هذه الثورة لا تعدو أن تكون زوبعة في فنجان.

وهكذا اندلعت الحرب الأهلية في عموم المدن الروسية بين المعادين للقيصر وهم البلاشفة أو ما يطلق عليهم الجيش الأحمر، وبين الموالين له والذين شكلوا ما أطلق عليه الجيش الأبيض.

كانت المدن الروسية تقع الواحدة تلو الأخرى في قبضة الجيش الأحمر وكأنها قلاع على رقعة الشطرنج. في ذلك الوقت كان أليكسي ورفاقه قد قرروا القتال الى جانب القيصر وجيشه الأبيض، ربما لأنهم كانوا متخوفين من البلاشفة مما كانوا يسمعون عن قسوتهم وأفكارهم

Twitter: @alqareah

التي بدت متطرفة.

كان هَم البلاشفة الأول في ذلك الوقت السيطرة على مخزون الذهب العظيم قبل أن يقوم القيصر وأعوانه بتهريبه الى خارج البلاد، فقد قُدر احتياطي الذهب في روسيا في ذلك الوقت بأكثر من 1200 طن من السبائك الذهبية، وكان نصف هذا المخزون محفوظاً في فرع البنك الوطني في مدينة قازان، لهذا فقد جعل الجيش الأحمر من أولى أولوياته السيطرة على هذه المدينة، وكان له ذلك في أواسط عام 1918.

في هذه الأثناء كانت سلطة القيصر تتقوض شيئاً فشيئاً إلى أن تمكن البلاشفة أخيراً من السيطرة على العاصمة، وإسقاط القيصر الذي فر بعيداً واستقر مع عائلته في مدينة يِكاتيرنبيرج، وهي مدينة تقع في وسط روسيا في الجانب الشرقي من سلسلة جبال الأورال.

لقد سمع أليكسي أن البلاشفة لم يدعوا القيصر وحاله وأنهم عزموا على قتله. وقد تحقق لهم ذلك في ليلة السابع عشر من تموز من عام 1918 عندما اقتحموا عليه قصره وجمعوه في القبو مع زوجته أليكساندرا وبناته أناستاسيا وتاتيانا وأولغا وماريا، إضافة إلى طبيب العائلة وأربعة من الخدم. وهناك أعدموهم رمياً بالرصاص وطعناً بالحراب بشكل وحشي. كان لما فعلوه دور كبير في رسم ملامح الفترة المقبلة من تاريخ روسيا الدموي.

بعد أن سيطر البلاشفة على مخزون الذهب في مدينة قازان قرروا إرساله الى خزينة الدولة في العاصمة، لكنهم لم يتمكنوا من تحقيق ذلك، إذ تمكن الجيش الأبيض بالاشتراك مع فيلق الجنود التشيكوسلوفاك والذي يضم أليكسي ورفاقه من استرداد المدينة في الخامس من آب من نفس العام.

في تلك الأثناء وبعد إعدام القيصر وعائلته أُعلن في سيبيريا عن قيام الحكومة الروسية المناوئة للبلاشفة، وكان ذلك في شهر تشرين

Twitter: @alqareah

الثاني من نفس العام، وسُمّيَ الأدميرال ألكسندر كالتشوك والذي اشتهر بنزاهته وإخلاصه لروسيا القيصرية قائداً أعلى للجيش الأبيض.

كان واحداً من أهم القرارات التي أمر بها الأدميرال ألكسندر كالتشوك بعد تنصيبه قائداً أعلى يتمثل في نقل مخزون الذهب بعيداً عن خطوط القتال، ليضمن سيطرة قواته عليه، وعدم وقوعه مرة أخرى في يد البلاشفة. وهكذا أصدر الأمر الى أتباعه ومعهم الجنود التشيكوسلوفاك في قازان بإخراج الذهب من البنك ونقله بالقطار الى مدينة سمارا ومنها الى مدينة أومسك.

قام الجنود بتنفيذ أوامر قائدهم الأعلى وتحميل صناديق الذهب على متن القطار، والانطلاق به بعيداً عن الأراضي التي يندلع فيها القتال.

في الطريق وصلت تقارير الى القائد الكسندر كالتشوك تفيد بأن الجنود الروس الذين أوكل إليهم حراسة القطار قد اختفوا، وأن بضعة صناديق من الذهب قد فقدت أيضاً. على إثر هذا الخبر أصدر كالتشوك أمراً يقضي بتسليم عهدة حراسة صناديق الذهب الى الجنود التشيكوسلوفاك.

بعد أيام من تولي التشيكوسلوفاك لمهمة حراسة حمولة الذهب سمع أليكسي أن ثلاثة عشرة صندوقاً آخر من الذهب فقدت في الطريق مع مجموعة من رفاقه الذين وكما يبدو، لم يستطيعوا مقاومة بريق الذهب وقرروا سرقته ليضمنوا لأنفسهم حياة رغيدة تعوضهم عن سنوات الشقاء التي قضوها في روسيا.

انضم الكسندر كالتشوك القائد الأعلى للجيش الأبيض بنفسه الى القطار في مدينة أومسك، وتابع طريقه في وجهة جديدة نحو مدينة فلاديفستوك بعيداً عن سلطة البلاشفة.

في تلك الأثناء جرت محادثات سرية بين قادة الفيلق

Twitter: @alqareah

التشيكوسلوفاكي والقيادة الروسية البلشفية، طلب فيها البلاشفة من التشيكوسلوفاك تسليم قائد الجيش الأبيض الكسندر كالتشوك مع نصف حمولة الذهب مقابل أن يدعوهم يكملوا طريقهم نحو فلاديفستوك، ويغادروا الأراضي الروسية مع ما يحملونه من ذهب دون أن يتعرض لهم أحد في الطريق.

شعر أليكسي بالخزي في قرارة نفسه عندما علم فيما بعد بموافقة قادته سراً على عرض البلاشفة، وقرارهم خيانة الكسندر كالتشوك الذي وثق بهم.

وهكذا عندما توقف القطار للراحة في مدينة إركوتسك في الطريق، قام التشيكوسلوفاك بتسليم كالتشوك مع نصف الحمولة من الصناديق الى البلاشفة الذين كانوا بانتظارهم في المحطة.

قام البلاشفة بإعدام القائد الكسندر كالتشوك، وسمحوا للتشيكوسلوفاك بمتابعة طريقهم نحو فلاديفستوك مع ما تبقى لديهم من مئات الأطنان من الذهب.

بعد انطلاق القطار ومغادرته لمدينة إركوتسك انهمك الروس في عد وإحصاء السبائك الذهبية استعداداً لنقلها الى البنك المركزي في العاصمة، وهناك كانت المفاجأة التي لم تخطر لهم على بال، إذ اكتشفوا أنهم تعرضوا للخداع من قبل التشيكوسلوفاك، حيث تبين أن الصناديق تحتوي على عدد قليل من السبائك الذهبية، وأنها قد ملئت عوضاً عن ذلك بالطوب والحجارة.

اشتعل فلاديمير لينين قائد الثورة البلشفية غضباً عندما علم بالأمر، وأصدر قراراً يقضي بإيقاف القطار بأي ثمن، ومنع التشيكوسلوفاك من مواصلة الطريق حتى لو اقتضى ذلك نسف السكة الحديدية، وأقسم على أنهم لن يفلتوا بجرام واحد من ذهب روسيا.

Twitter: @alqareah

كان شريط الذكريات يمر سريعاً في ذهن أليكسي الذي كان يتوق لمغادرة روسيا ونسيان كل ما يمت لها بصلة، وكان يأمل في نفس الوقت في قرارة نفسه أن يحصل على قدر كافي من الذهب يستطيع أن يبدأ به حياة جديدة في بلده.

لابد أولاً من شراء منزل جديد في براغ ثم البحث عن حسناء لأتزوجها وأعيش معها في رغد. لن أخبرها من أين حصلت على الأموال، وسأدعي أني رجل أعمال ثري كنت في الخارج وعدت الآن الى وطني. سأسعى الى تأسيس شركة كبيرة وسأشتري الكثير من الأراضي وسأتاجر بالعقارات هكذا كان يحلم أليكسي وهو مستغرق في التفكير في مستقبله المشرق الذي ينتظره عندما يصل الى بلده ومعه نصيبه من الذهب.

لاحظ أليكسي اقتراب القطار من بحيرة بايكال مترامية الأطراف والتي تعد أكبر بحيرة في العالم بعد بحر قزوين. كان القطار يمر بأنفاق حفرت في الجبل المطل على البحيرة في منظر يسلب الألباب.

أثناء دخول القطار أحد الأنفاق الكبيرة في جوف الجبل أظلمت الدنيا وسمع أليكسي صوت انفجار ضخم يصم الآذان يأتي من موقع قريب.

خرجت أولى عربات القطار من النفق ليكتشف السائق أن السكة أمامه قد اختفت تحت أكوام من الحجارة، حاول أن يتدارك الأمر ويوقف القطار قبل أن يصطدم بالصخور، ولكن الأوان كان قد فات، فالقطار كان ينطلق بسرعة كبيرة وكان الاصطدام محتماً.

أحس أليكسي بالدوار قبل أن يشعر أن جسمه يتم جذبه بعيداً عن مقعده ليرتطم بسقف المقطورة ثم يهبط بقوة فوق رفاقه.

Twitter: @alqareah

أحس بألم مبرح يجتاح عظامه قبل أن يشعر ببرد مفاجئ مصحوب ببلل. نظر حوله ليجد أن الماء كان ينهمر من جميع الاتجاهات. في غمضة عين أصبح يسبح داخل المقطورة التي سرعان ما غمرها الماء.

لقد كان الجميع حوله يحاول عبثاً الخروج من نوافذ المقطورة ولكنها كانت تجذبهم بشدة نحو قاع البحيرة.

بدأ أليكسي يشعر بالخدر في جسمه بسبب البرد الشديد فقد كانت درجة حرارة الماء تقترب من درجة التجمد، ومع الجهد الجبار الذي كان يحاول بذله في الابتعاد عن رفاقه الذين كانوا يتشبثون به، سرعان ما نفد الهواء من رئتيه وحل محله سيل عارم من الماء، أحس به وهو يحرق ببرودته ما يصادف من شُعب هوائية.

شيئاً فشيئاً أغمض أليكسي عينيه بعد أن توقف جسده عن مقاومة الغرق وفقد وعيه هو ومن تبقى من رفاقه، واستسلموا للبحيرة التي ابتلعتهم مع ما يحملونه من مئات الصناديق من السبائك الذهبية التي استقرت في القاع، على عمق يزيد على كيلومتر ونصف ولا يستطيع إنسان أو آلة الوصول إليه والعودة سالماً.

Twitter: @alqareah

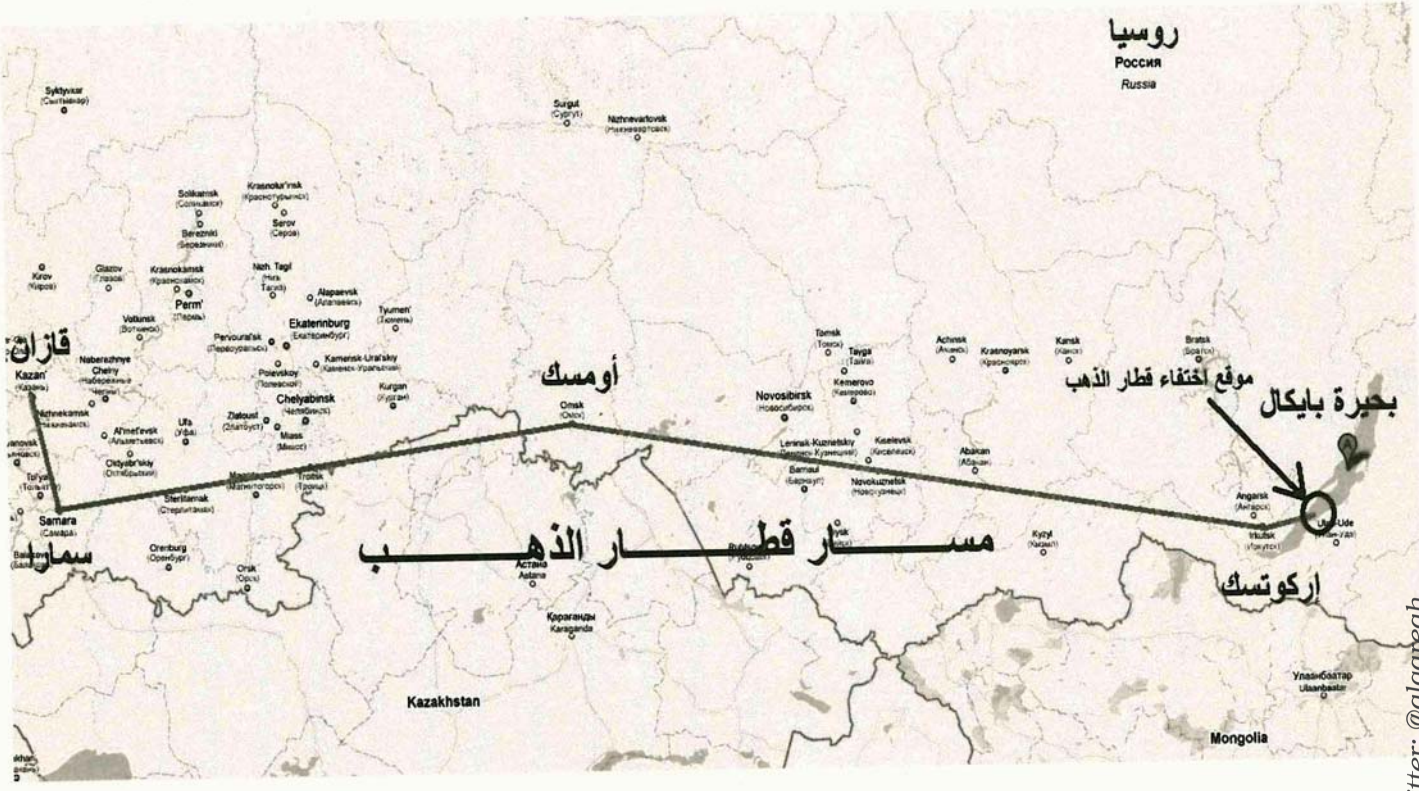

Twitter: @algareah

القسم الأول

الخطة

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل الأول

دبي 2009

أسرعي قليلاً يا نتاشا، سنتأخر عن موعد العشاء. لا أحب أن أكون آخر الواصلين. قال سالم موجهاً كلامه باللغة الروسية الى زوجته التي كانت منهمكة في اختيار ثوب سهرة مناسب للمطعم الفاخر الذي سيصحبها زوجها إليه ليلتقيا بأصدقائه.

ما رأيك يا سالم هل ألبس الثوب الأسود الطويل أم الأخضر الزيتي الذي يصل الى الركبة؟ سألته نتاشا وقد أطلت برأسها من خزانة الملابس ونظرت نحوه وهو واقف بالباب وقد ارتدى بزة سوداء أنيقة وكان بادياً على وجهه نفاذ الصبر.

زفر سالم زفرة طويلة وأجابها: الثوب الأسود سيكون رائعاً عليك ولكن بالله عليك عجلي قليلاً.

طلباتك أوامر يا شمسي قالت نتاشا وهي ترسل بابتسامة ذات مغزى لزوجها.

أرجوك لا تناديني بهذا اللقب فهو يزعجني لأنه يذكرني بفيكتوريا العجوز الأوكرانية التي كان شقيقي التوأم يسكن في شقتها عندما كان طالباً في أوكرانيا، وأنا لم أكن أطيقها أبداً ولا أحب أن أتذكرها.

أعرف، أعرف ذلك، ولكني أحببت أن أداعبك قليلاً. أجابت نتاشا بصوت مكتوم وهي تدخل رأسها في الثوب.

Twitter: @alqareah

كان سالم ونتاشا قد تزوجا من فترة قريبة بعد قصة حب عجيبة استمرت بضعة شهور في أوكرانيا التي أنهى فيها سالم دراسته الجامعية، ثم استقر في دبي ليعمل هناك مهندساً مدنياً، قبل أن يقرر العودة الى أوكرانيا مجدداً باحثاً عن زوجة هناك، بعد أن فشل في العثور على فتاة مناسبة في بلده فلسطين أو في مكان عمله في الإمارات.

سافر سالم الى أوكرانيا مع أخيه التوأم سليم بغرض الزواج وإيجاد فتاة مناسبة لكل منهما. أثناء هبوط الطائرة في مطار كييف العاصمة الأوكرانية تعرضا لحادث أليم، ولسوء الحظ لم ينج سليم من الحادث.

عانى سالم طويلاً من فقدانه لأخيه، لكنه كان سعيد الحظ بالتقائه بنتاشا التي وقفت معه الى أن اجتاز المحنة، فتزوجها وعاد بها الى دبي.

مرت بضعة شهور على عودة سالم مع زوجته الى دبي، عانت فيها نتاشا بعض الصعوبات في التأقلم مع الجو الجديد والحياة ذات الإيقاع السريع، وخاصة أنها لم يكن لديها أي صديقات أو معارف، ووجدت نفسها فجأة في مجتمع عربي لكنه منفتح من حسن حظها.

كانت تخشى أن تتعرض للمضايقات نظراً لكونها نصرانية ولم ترغب في تغيير دينها، ولكنها وجدت أن الحياة في دبي تختلف كثيراً عن أي مدينة عربية أخرى كانت قد سمعت بها أو قرأت عن الحياة فيها، فقد وجدت أن الكثير من الجنسيات والأديان قد اختلطت معاً في مزيج فريد، لا يعيبه إلا كونه مجتمع عمل ليس مناسباً لتكوين علاقات اجتماعية أو أسرية.

في نهاية الأمر تأقلمت نتاشا مع الوضع الجديد، ووجدت لنفسها عملاً كمترجمة محترفة في إحدى القنوات الفضائية التي تبث من دبي، وانهمكت في تعلم اللغة العربية إلى جانب إتقانها للغة الانجليزية والفرنسية، إضافة الى لغتها الأم الروسية.

Twitter: @alqareah

ما رأيك؟ هل يبدو الثوب جميلاً علي؟ سألت نتاشا زوجها ودارت حول نفسها دورة كاملة لتسمح له بمعاينتها من جميع الاتجاهات.

تبدين رائعة يا حبيبتي. حماك الله من عيون أصدقائي قال سالم وهو لا يكاد يستطيع أن يرفع بصره عن جسد زوجته الممشوق.

كانت نتاشا في أوائل العشرينات من عمرها وتصغر سالم ببضع سنوات. كانت تبدو آية في الجمال بشعرها الذهبي الحريري، وعيونها الزرقاء الواسعة وجسدها الرشيق، وقامتها التي تذكر بعارضات الأزياء.

كان سالم يتمتع هو الآخر بجسد رياضي متناسق، وكان ببشرته البيضاء وعيونه الخضراء وقامته الطويلة يبدو مناسباً جداً لنتاشا في عيون الناظرين عندما يرونهما معاً، وهما يمشيان وقد اشتبكت يداهما وظهر الحب المتبادل في حركاتهما وهمساتهما.

انتهت نتاشا أخيراً من ارتداء ملابسها وتعديل هندامها واختيار حذاء يتناسب مع ثوبها الأسود. وقفت بعدها قليلاً أمام المرآة، ووضعت طبقة رقيقة من مساحيق التجميل بالرغم من اعتراض زوجها الذي كان يرى أنها جميلة بما يكفي ولا تحتاج إلى أي مساحيق. كانت تجيبه دوماً بأنه لا يفهم في هذه الأمور.

كانت الساعة تقترب من التاسعة إلا ربع مساءً عندما خرج سالم مع زوجته من شقتهما الجديدة على الطابق الثلاثين في منطقة مرسى دبي، أو دبي مارينا كما يطلق عليها هنا.

ضغط سالم على الزر الذي يحمل الرمز P4 في المصعد ليهبط بهما الى الطابق الرابع من الطوابق المخصصة لمواقف السيارات، وهناك توجه مع نتاشا نحو سيارتهما الفارهة من نوع BMW X6 بلونها الأسود اللامع، ومظهرها الرياضي. كان قد اشتراها حديثاً بأقساط مريحة.

بقي أقل من ربع ساعة على الموعد، أرجو أن لا نتأخر كثيراً في

Twitter: @alqareah

الطريق قال سالم وقد شغل السيارة وتحرك بها متجهاً نحو المخرج من البرج السكني الشاهق الذي يقطنان فيه.

لا تقلق يا عزيزي. فالطريق على شارع الشيخ زايد لا يكون مزدحماً في هذا الوقت من المساء.

لا تنسي أن هذه ليلة الجمعة وأغلب الموظفين يخرجون للترفيه عن أنفسهم، لهذا لا تتوقعي أن يكون الطريق سالكاً ككل ليلة، كما أن المنطقة حول برج خليفة حيث يوجد المطعم مزدحمة دوماً.

وهل سيحضر جميع أصدقائك على العشاء؟

أظن ذلك، فقد أكد كل من جواد وعادل وروستام أنهم سيحضرون.

من المؤسف أن أكون الفتاة الوحيدة بينكم قالت نتاشا وقد عبست عندما تذكرت أن جواد لم يتزوج بعد، أما عادل فزوجته تقضي إجازة مع ولديها في مصر، وروستام لم يحضر زوجته بعد من الشيشان.

إذن في المرة القادمة لا تنسي أن تدعي إحدى زميلاتك في العمل لتصحبنا فلا تشعرين أنك الأنثى الوحيدة بيننا.

تأففت نتاشا وقالت معترضة: لكنك تعلم أن علاقتي مع الفتيات في عملي لا تتعدى الزمالة، ولم يسبق أن التقيت بأي منهن خارج أوقات العمل.

أعرف ولكن ما الذي يمنعك من تكوين صداقات معهن؟ سأل سالم بينما كان ينتقل من الشارع الفرعي نحو شارع الشيخ زايد ذي الست حارات.

لا أدري، فأنا لم أنسجم مع أي منهن لدرجة أن أكوّن صداقة، فقد لاحظت أن الأغلبية يملن لتكوين صداقات مع فتيات أو شبان من نفس الجنسية، وقد تعرفت على مجموعة من الفتيات الروسيات والأوكرانيات ممن يعملن في القناة، ولكني في الحقيقة لم تعجبني طريقة حياتهن،

Twitter: @alqareah

فأغلبهن فتيات تافهات والأمكنة الوحيدة التي يرتدنها هي أماكن تقديم الخمور. كما ويعدن في أغلب الليالي الى مسكنهن وقد ذهب السكر بعقولهن. هذا ناهيك عن العلاقات المشبوهة التي يقمنها مع من هب ودب. قالت نتاشا ذلك وبدا على وجهها الاشمئزاز.

لم أكن أعرف أن الأمر بهذا السوء، على أي حال فزوجة عادل ستعود قريباً من مصر، وأتمنى أن تكون صديقة مناسبة لكِ.

لم تجب نتاشا واكتفت بأن هزت رأسها وهي تنظر من النافذة الى الطريق الذي بدأ يزدحم عندما اقتربت السيارة من مركز المدينة الجديد حيث ينتصب أعلى برج في العالم، وبقربه مول دبي والذي يعد واحداً من أكبر المراكز التجارية في العالم أيضاً.

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة مساءً بعشرين دقيقة عندما دخل سالم مع زوجته الى المطعم، وسأل عن الطاولة المحجوزة باسمه والتي أصر عندما اتصل بالمطعم ليحجزها أن تكون على الشرفة المطلة على البحيرة المجابهة لبرج خليفة، حيث تنطلق النافورة الموسيقية العملاقة بعروض راقصة على أنغام شرقية وغربية مع رأس كل ساعة.

قاد النادل الزوجين الأنيقين الى طاولتهما، وهناك كان أصدقاء سالم قد سبقوه في الحضور وجلس كل منهم وبقربه نرجيلة ينفثون منها الدخان.

جلس سالم مع زوجته بعد أن سلم على الحاضرين وبادلوه بإلقاء التحية عليه وعلى زوجته، ثم أخذوا بتأنيبه على تأخره في الحضور، فما كان من سالم إلا أن نظر الى نتاشا نظرة معبرة فهمت منها أنه يقول لها: ألم أقل لك إنني لا أحب أن أكون آخر الواصلين؟ بادلته بدورها بابتسامة رائعة وكأنها تعتذر منه.

أرجو المعذرة فقد كان الطريق مزدحماً للغاية قال سالم موجهاً

Twitter: @alqareah

كلامه لأصدقائه، ثم سألهم بسرعة ليغير مجرى الحديث: هل طلبتم الطعام؟

أجاب عادل بصفته أكبر الحاضرين سناً بلغة إنجليزية ولكن بلكنة مصرية واضحة: هل يعقل أن نطلب الطعام قبل أن يصل من دعانا الى العشاء؟ ما أدرانا فلعله مقلب من مقالبك فتدعونا الى مطعم فاخر ثم تلوذ بالفرار فنضطر الى تحمل عبء فاتورة كبيرة تلتهم ما تبقى من راتب الشهر.

ضحك الجميع من تعليق عادل وكان يشتهر بخفة الظل كغيره من المصريين.

كان عادل في منتصف الأربعينات من عمره، مع أن شكله يوحي بأنه أصغر من ذلك وخاصة مع ما يتمتع به من طول فارع وبنية معتدلة. كانت الشمس قد لفحت وجهه فبدت ملامحه المصرية بارزة بشكل واضح، ولم تبد متناسقة مع زرقة عينيه.

كان عادل يعمل مهندساً بحرياً في أحد الموانئ في دبي، وقد اشتهر ببراعته في تصميم السفن واليخوت، وحاز على عديد من الجوائز المحلية والدولية في هذا المجال. وخاصة عن قيامه بتصميم مطعم عائم على شكل سمكة عملاقة. لقد كان خبيراً كذلك بعلوم البحار وطرق استكشافها وسبر أعماقها، وفوق كل ذلك فقد كان غواصاً محترفاً.

كانت زوجته منى تصغره بعشر سنوات وقد رزق منها بصبيين جميلين هما الآن في العاشرة والحادية عشرة من عمرهما.

تعرف سالم على عادل من خلال أحد المشاريع التي جمعتهما في العمل معاً فأعجب كل منهما بشخصية الآخر ومع الأيام أصبحا صديقين مقربين.

كان عادل من أولئك الأشخاص المهووسين بالنظام والترتيب

Twitter: @alqareah

والنظافة، فكان كثيراً ما يعيد غسل الصحون في منزله بعد أن تخرج زوجته من المطبخ، وقد كان هذا الأمر يسبب الكثير من الحرج بينهما في بداية حياتهما الزوجية، ولكن مع الأيام تفهمت منى طبيعة زوجها وعرفت أنه لا يقصد بأفعاله تلك أي تقليل من شأنها أو تلميح بأنها لا تجيد الاعتناء ببيتها، ولكن كل ما في الأمر أن عادل كان يستمتع بالتنظيف والترتيب، بل وبصنع الطعام أيضاً فقد كان كثيراً ما يحب أن يدخل المطبخ بمفرده ليتفنن في إعداد أشهى المأكولات، ثم يدعو زوجته لتذوقها، ويصر عليها أن تأكل من جميع الأصناف التي يعدها، أما هو فكان يكتفي ببضع لقيمات، وقد أدى ذلك مع الأيام الى زيادة وزن منى بشكل ملحوظ، أما هو فبقي محتفظاً برشاقته.

طلب سالم من النادل إحضار قوائم الطعام، واختار طعاماً مكسيكياً له ولزوجته بينما اختار الباقون وجبات مختلفة عربية وأجنبية.

لاحظ سالم أن جواد كان يبدو وأنه يشعر ببعض الحرج، فقد كانت المرة الأولى التي يخرج فيها مع سالم وباقي أصدقائه. كان انطوائياً بطبعه ويجد صعوبة عادة في التأقلم مع أناس جدد لا يعرفهم.

ماذا قررت أن تطلب يا جواد؟ هل تحب المشاوي على الطريقة الشامية لتذكرك بطعام بلدك أم تحب أن تجرب شيئاً جديداً؟

أجاب جواد بصوت منخفض: أفكر في تجربة الأطعمة المكسيكية فأنا أسمع أنها لذيذة ولكني محتار في اختيار نوع مناسب، فأسماء الوجبات لا تفصح عن مضمونها.

ابتسم سالم له وقال مشجعاً: ممتاز، هذا المطعم يجيد إعداد الأطعمة المكسيكية وأنصحك بطلب فاهيتا الدجاج المشوي مع خبز التورتيلا، ما رأيك؟

حسناً، لنجرب الفاهيتا إذن قال جواد وقد ابتسم ابتسامة خجلة.

Twitter: @alqareah

كان جواد شاباً في الخامسة والعشرين من عمره، متوسط الطول ممتلئ الجسم قليلاً، ذا ملامحه شامية وتشع عيونه بذكاء متقد، وهو من أصول سورية.

ولد وترعرع جواد في الإمارات العربية المتحدة وفيها أنهى دراسته الجامعية بتقدير ممتاز في تخصص هندسة الكمبيوتر، وبرع كثيراً في البرمجة واستطاع في وقت قصير أن يثبت جدارته في جميع الأعمال التي كانت توكل إليه في الشركة التي التحق بها منذ عدة سنوات واستطاع أن يترك فيها علامة فارقة.

بالرغم من تفوق جواد وقدرته الفذة على تطويع الآلات والتفاهم معها إلا أنه كان يعاني صعوبات كبيرة في التأقلم مع البشر، ولم يفلح بتكوين صداقات سواء من بين زملائه في العمل أو الدراسة أو حتى أقربائه، وكان يقضي جل وقته في العمل، وأحياناً قد ينسى نفسه لأيام متواصلة في الشركة لتنفيذ مشروع ما، أو لمجرد التعرف على كيفية عمل برنامج جديد أو كسر حمايته أو التفنن في اختراق نظام ما فقط بهدف التسلية أو التحدي.

وبالرغم من اتفاق زملائه في العمل على أن جواد شخصية مجدة ومجتهدة إلا أن القليل منهم كان يعترف ببراعته في عمله وتفوقه عليهم، ربما غيرة منه وربما لأنه لم يحسن التعامل معهم أو يحاول كسب ودهم، فقد كان يتعامل معهم بكثير من الجفاء والقسوة ليس لأن شخصيته فظة، بل لأنه ببساطة لم يكن يجيد فنون الحديث.

تعرف جواد على سالم من خلال إعلان مبوب وضعه الأخير في إحدى الصحف ليبحث عن شخص خبير في أنظمة الحاسوب واسترداد البيانات بعد فقدها، فقد أصيب الكمبيوتر المحمول الذي يملكه سالم ويحتوي على بيانات غاية في الأهمية تخص المشاريع التي يعمل عليها،

Twitter: @alqareah

بفيروس مدمر أوقف نظام التشغيل عن العمل ومنع سالم من الوصول الى بياناته الهامة.

استجاب جواد للإعلان وقام بالاتصال بسالم وعرض عليه خدماته. في البداية كان سالم متشككاً من قدرة جواد على مساعدته نظراً لصغر سنه، ولكنه في نهاية الأمر قرر المخاطرة فقد كان في عجلة من أمره ولم يتلق اتصالات أخرى جادة.

حضر جواد لزيارة سالم في شقته وبدأ فوراً في العمل الدءوب في فحص الجهاز ومحاولة القضاء على الفيروس واسترجاع البيانات بشكل آمن، وخلال ساعة تمكن من الحصول على قائمة بأسماء الملفات وبدأ باسترجاعها واحداً تلو الآخر إلى أن تمكن أخيراً من استرداد جميع الملفات الهامة التي يحتاجها سالم في عمله، ثم قام أخيراً بإعادة تهيئة القرص الصلب وتنصيب نسخة جديدة من نظام التشغيل وجميع البرامج التي يحتاجها سالم.

كانت سعادة سالم لا توصف عندما قام جواد بتسليمه الكمبيوتر المحمول وإعلامه بنجاحه في القضاء على الفيروس واسترجاع البيانات الهامة. وما كان من سالم إلا أن انهمك فوراً في تشغيل برامجه الخاصة وتفقد ملفات عمله والتأكد من أنها جميعاً لم تتعرض لأي تلف.

أعجب سالم كثيراً ببراعة جواد وقرر منذ ذلك اليوم أن يسعى ليكون صديقاً مقرباً منه، فقد كان سالم بارعاً في التعامل مع الناس وكسب ودهم وقد فهم مع الأيام الطبيعة الخاصة لشخصية جواد، وأدرك أنه شخص مميز يحمل الكثير من الصفات الرائعة، ويحتاج الى قليل من التشجيع والتوجيه واكتساب الخبرة في الحياة لصقل شخصيته.

في البداية لم يكن سهلاً على جواد تقبل صداقة سالم، ولكن إلحاح الأخير ورغبته الصادقة في التعرف على جواد عن قرب جعلته يلين شيئاً فشيئاً فأصبحا يخرجان سوياً للغداء أو العشاء ويتناقشان في

Twitter: @alqareah

كثير من القضايا، واكتشف كل منهما أن صاحبه يحمل ذهناً متفتحاً وثقافة واسعة، فتحولت لقاءاتهما من مجرد لقاء من باب المجاملة وتمضية الوقت الى متعة حقيقية، فكانا أحياناً يمضيان عدة ساعات متواصلة في نقاش موضوع علمي أو ديني أو سياسي بدون كلل أو ملل.

كانت واحدة من أهم الصعوبات التي تواجه جواد في حياته تتمثل في علاقته بالجنس اللطيف، فقد كان يجد صعوبة بالغة في الحديث مع أي فتاة أو التعرف إليها، فقد كان سريعاً ما يتلعثم أو يحمر وجهه خجلاً إذا ما قرر الحديث مع فتاة تعجبه.

لقد كانت المشكلة تتمثل في أنه ومنذ صغره لم يعتد الحديث مع الفتيات واستمر ذلك الأمر حتى خلال دراسته الجامعية. وقد تعرض الى كثير من المواقف المحرجة عندما قرر أخيراً أن يخرج عن صمته ويقتحم عالم الفتيات بحثاً عن فتاة تناسبه.

لقد كان يفشل في أغلب الأحيان في اختيار الطريقة المناسبة لإبداء إعجابه بفتاة ما، وأحياناً كان يتطور الأمر من جانبه الى حب من طرف واحد عندما يعجب بجمال فتاة ما في العمل، وينتظر شهوراً قبل أن يفاتحها بإعجابه فينسج ذهنه قصة حب عارمة بينه وبين هذه الفتاة، ليصدم في نهاية الأمر عندما يعرف أن الفتاة لم تكن منتبهة لوجوده أصلاً.

كان الجو رائعاً في تلك الليلة، وهذا طبيعي فشهر كانون الأول ديسمبر يعد من الشهور القليلة التي تكون درجة الحرارة فيها معتدلة في دبي ولا تتعدى العشرين درجة مئوية، ما يجعل الجو مناسباً جداً للخروج من البيت والاستمتاع بالنسيم العليل.

بعد قليل من الانتظار جاء النادل يحمل أصناف الطعام المختلفة التي طلبها سالم وأصدقائه، وانهمك الجميع في تناولها الى جانب تجاذبهم لأطراف الحديث.

Twitter: @alqareah

في تمام الساعة العاشرة مساءً بدأ العرض الراقص لأكبر نافورة موسيقية في العالم، وأخذت رشاشات المياه ترسم لوحة فولكلورية لفتيات يتمايلن على أنغام الموسيقى في مشهد رائع امتزجت فيه الألحان والألوان.

كان روستام من أكثر الحاضرين انبهاراً بما يراه فقد كانت المرة الأولى التي يحضر فيها هذا العرض وفي الحقيقة فإن كل ما كان يراه في دبي كان يثير إعجابه، فقد ولد روستام في إحدى القرى المحيطة بمدينة غروزني عاصمة الشيشان وقضى جل حياته هناك وكان أبعد مكان يسافر إليه لا يتعدى المدن الشيشانية أو الداغستانية القريبة إضافة الى زيارته لأوكرانيا وقضائه بعض الوقت هناك.

كان روستام شاباً في الثلاثين من عمره ضخم الجثة مفتول العضلات ملامحه أوروبية تركية. كان لديه زوجة وطفلان صغيران تركهم في الشيشان ريثما يستقر عمله في دبي، فقد كان يعمل في تصدير الحديد الروسي الى دبي ومنها الى مناطق أخرى من العالم وقد ازدهر عمله بسرعة، واستطاع أن يصنع لنفسه سمعة طيبة نظراً لنزاهته ودقة مواعيده.

كان روستام من أولئك الشبان الذين شاركوا في الجهاد ضد الروس طلباً للاستقلال أسوة بباقي الجمهوريات السوفييتية، وقد قضى أعوام مريرة فقد فيها الكثير من أحبائه قبل أن يقرر أخيراً الخروج قصراً من الشيشان والتوجه الى أوكرانيا، وهناك نجح في التجارة وتعرف إلى سالم في الفترة التي كان يدرس فيها الأخير هناك.

بعد توقف الحرب عاد روستام الى الشيشان وتزوج هناك، لكنه اصطدم بالوضع المأساوي السائد في بلده فأعمال القتل والنهب وانعدام الأمان كانت السمة البارزة، فقرر الخروج مجدداً وكان لا يزال على اتصال مع سالم والذي دعاه الى زيارة دبي. كان روستام يسمع الكثير عن دبي وعن ازدهار الأعمال فيها، فلبى الدعوة واستطاع في غضون شهور

Twitter: @alqareah

قليلة أن يقيم الكثير من العلاقات مع التجار من مختلف الجنسيات، ووصل الى قناعة أن استيراد الحديد هو العمل الأنسب له فاستعان بالمال الذي جمعه من التجارة في أوكرانيا الى جانب دخوله شريكاً في العمل مع أحد التجار العرب كان سالم قد عرفه عليه.

نجح روستام في القيام بأول عملية استيراد لكميات لا بأس بها من الحديد المستخدم في البناء وحرص على الحصول على هامش بسيط فقط من الربح ليتمكن من دخول السوق بقوة، وكان له ذلك.

كانت نتاشا مكتفية بالإنصات الى النقاش الذي كان يدور بين زوجها سالم وأصدقائه ولم تكن تشاركهم الحديث بشكل فعال إلا عندما كان روستام يتدخل في الحديث فيأتي على ذكر روسيا أو أوكرانيا وذكرياته هناك فتتشجع نتاشا وتجد ما تشارك به.

لقد كانت هناك صفة واحدة مؤكدة تجمع بين الجالسين على تلك المائدة في تلك الليلة، لقد كان كل منهم يتوق للمغامرة بشكل أو بآخر حتى وإن لم يظهر ذلك جلياً على وجوههم. لقد كانوا جميعاً يشعرون بالحاجة لكسر الروتين، فنتاشا لم يكن لديها صديقات تقضي وقتها معهن، وجواد كان مدفوناً في عمله في الشركة وعادل يشعر بأنه بدأ يكبر في السن وبحاجة الى أمر يعيد له نشاطه وحيويته، وروستام الذي قضى سنوات طويلة في الجهاد كان بحاجة الى مغامرة من نوع جديد فهو لم يعتد الخمول، وأما سالم والذي كان لا يزال يعاني من فقدانه لشقيقه التوأم فكان بحاجة ماسة للقيام بعمل غير تقليدي ليخرج من حالة الحزن التي كانت تتملكه في كثير من الأحيان.

في تلك الليلة لم يخطر ببال أي من الحاضرين أنهم على موعد مع أعظم مغامرة في حياتهم.

Twitter: @alqareah

الفصل الثاني

موسكو - روسيا الاتحادية

فتح ميخائيل أليكساندرفيتش برينسكي عينيه هذا الصباح على وقع ألحان مقطوعة الباليه كسارة الجوز. لقد اعتاد كل يوم أن يستيقظ على صوت أحد أعمال معشوقه الملحن العظيم بيوتر تشايكوفسكي، فالبارحة كان دور مقطوعة بحيرة البجع واليوم الذي يسبقه كان على موعد مع روميو وجولييت وغداً سيستمتع بالإنصات الى مقطوعة الحسناء النائمة أما اليوم الذي يليه فسيكون بصحبة ملكة البستوني.

لقد كان ميخائيل أو ميخا كما يحلو للمقربين منه مناداته عاشقاً للفنون الراقية بكل أشكالها فإلى جانب اهتمامه بالموسيقى كان لديه شغف كبير باقتناء اللوحات والأعمال الفنية لأشهر الرسامين والنحاتين، لهذا فالمتجول في قصره سيشعر وكأنه يعيش داخل متحف يعج بالقطع النادرة، فها هي لوحة التراجيديا لبابلو بيكاسو وتلك لوحة السيدة مونيت وابنها لكلاود مونيت وهناك لوحة مشهد العاصفة لريمبراندت، والكثير الكثير من الأعمال باهظة الثمن والتي أنفق في جمعها ملايين الدولارات. كان مؤمناً أنه نظراً لكونها أعمالاً خالدة فإن مجرد امتلاكها يعتبر استثماراً مضموناً طويل الأمد. وقد عمد الى ترتيب هذه الأعمال وتنظيمها في الغرف وفقاً للحركة الفنية التي يمثلها الفنان صاحب العمل فخصص غرفة للأعمال التكعيبية وضع فيها ما جمعه من أعمال لبيكاسو وجورج

Twitter: @alqareah

بـراك، وفـي غرفـة أخـرى وضـع نماذج عن اللوحـات التي تمثل الحركة الانطباعية لفنانين من أمثال مونيت وإدوارد مانيت، وفي غرفة ثالثة نشر لوحات تمثل الفن الواقعي لرسامين من أمثال بيتر كورنيليوس وأوزوالد آخينباخ وغيرهم، وهكذا فعل مع باقي غرف القصر وصالاته.

أول مـا سـيلفت انتباهـك فـي هـذا القصر المهيـب الذي يقع على أحد التلال القريبة من العاصمة الروسية موسكو ويقطنه ميخا مع زوجته وابنتيـه وجيـش مـن الخـدم والحـرس، هـو التمازج الفريـد بين الماضي والمسـتقبل، فتصميـم القصـر ومـا به من أثـاث يوحي لك برجوع الزمن مائتي سنة على الأقل، ولكنك إن تفحصت غرف القصر عن قرب فستجد أن تكنولوجيـا القـرن الواحـد والعشـرين قـد تغلغلـت فيه، فالقصر يتمتع بنظام إدارة الكتروني يسـمح بالتحكم بكل شـيء فيه من أي غرفة من غرفه باستخدام شاشة مسطحة قابلة للمس مثبتة على الحائط في غرف النوم والجلوس، ويستطيع ميخا أو أي من أفراد عائلته أو المخول من خدمـه أو حرسـه التحكـم منهـا بدرجـة الحـرارة والإضاءة في أي غرفة، وكذلك بحركة الستائر ومقدار إدخال الضوء الى الغرف، والتحكم كذلك بأجهزة التلفاز والسـتيريو وأجهزة المسـرح المنزلية إضافة الى التحكم بأجهزة الإنذار والحماية والمراقبة، أو درجة حرارة الماء في الحمامات، أو إعداد السـاونا بدرجة حرارة مناسـبة أو تشـغيل الجاكوزي أو إعداد منبه لجميع الأحداث الهامة واختيار الطريقة المناسـبة للتنبيه، والتحكم بالري في حديقة القصر وغير ذلك الكثير. باختصار كان قصراً قادماً من المستقبل ولكن بعبق من الماضي.

لقد كان ميخا يشعر بالحماس الشديد هذا الصباح فقد كان مولعاً بالتكنولوجيـا الحديثـة بنفـس درجة ولعه بالأعمال الكلاسـيكية الخالدة، وقـد طلـب مؤخـراً مـن الفريـق التقنـي التابـع لإحـدى شـركاته أن يقوم

Twitter: @alqareah

بتحديث ما لديه من أنظمة في القصر لتواكب آخر ما توصل إليه العلم، وهكذا حضر طاقم من المهندسين قاموا بدراسة الأنظمة الالكترونية والأجهزة التقنية المختلفة التي يحتوي عليها القصر ووعدوه بالعودة بعد أسبوع وهم يحملون مجموعة من الاقتراحات للتطوير بما يتناسب مع أحدث التقنيات، وكان هذا اليوم هو اليوم الموعود.

وصل طاقم المهندسين في الموعد تماماً وكان ذلك في الساعة العاشرة صباحاً فتم استقبالهم وطُلب منهم الجلوس في غرفة الانتظار الملحقة بصالة الاجتماعات ريثما يتجهز السيد ميخائيل لملاقاتهم.

لم يتأخر ميخا عن النزول إليهم ودخل الى صالة الاجتماعات في قصره وأعلم سكرتيره سيرغي ليفسكي بالخارج بأن يسمح للمهندسين بالدخول عليه.

رحب ميخا بالمهندسين والذين كانوا يشعرون بشيء من التوتر من لقاء السيد ميخائيل برينسكي الملياردير الشهير وصاحب واحدة من أكبر الشركات القابضة في روسيا والتي ينضوي تحتها عدد كبير من الشركات الكبيرة مثل شركة بتروغاز للتنقيب عن النفط والغاز الطبيعي، وبنك الاستثمار المتحد، وشركة إبداع للعقارات والمقاولات، وشركة نانوتيك للصناعات التكنولوجية الحديثة والتي كان هؤلاء المهندسون يعملون بها، وغيرها الكثير من الشركات التي ساهمت في إنعاش السوق ودعم الاقتصاد الروسي في مواجهة الأزمة الاقتصادية العالمية.

لقد كان ميخائيل يتمتع بكاريزما عالية بطوله الفارع وجسمه الضخم ومظهره الأنيق الذي يخفي تحته جسداً رياضياً مفتول العضلات يجعله يبدو في الثلاثين من عمره، مع أنه كان قد تجاوز الأربعين ببضع سنوات.

في البداية تكلم المهندس أليكساندر بوبوف بعد أن عرف عن نفسه بصفته مدير المشاريع التقنية ملخصاً الاقتراحات التي جاء يحملها

Twitter: @alqareah

مع رفيقيه المهندس فلاديمير نيكولايفيتش والمهندس يوري كالينكوف.

كان الاقتراح الأول يتمثل بتمكين صاحب القصر أي السيد ميخائيل بالتحكم بقصره بشكل كامل من خلال تطبيق يتم تحميله على جهاز iPad بدلاً من أن يضطر الى الوقوف أمام الشاشة المسطحة على الحائط. كان ميخا قد حرص على الحصول على جهاز الآيباد بمجرد الإعلان عنه من قبل شركة أبل والتي تكرمت بإهدائه نسخة خاصة به قبل طرحه في الأسواق وقد زودت نسخته الخاصة بمعالج أقوى وذاكرة أكبر من تلك الموديلات المتوفرة للمستهلك العادي.

وفقاً لهذا الاقتراح سيتمكن ميخا من إدارة قصره ومراقبته بشكل كامل من أي مكان في العالم مادام يحمل جهاز الآيباد معه وكان لديه اتصال بشبكة الانترنت.

أما الاقتراح الثاني فتحدث عنه المهندس يوري كالينكوف وكان بخصوص اعتماد شاشات مسطحة ضخمة في صالة الترفيه لعرض الأفلام بالتقنية ثلاثية الأبعاد وكانت الشاشات المقترحة تعتمد على اثنتين من أحدث التقنيات في هذا المجال، أما الأولى فتتمثل بتحويل أي بث فيديوي ثنائي الأبعاد الى بث ثلاثي الأبعاد بشكل فوري بدون تأخير من خلال استخدام محول مدمج مع الشاشة يقوم بعرض الصور الثنائية الأبعاد بطريقة مبتكرة بحيث تظهر للرائي وكأنها ثلاثية الأبعاد. أما التقنية الثانية الجديدة المستخدمة في هذه الشاشات والتي يميزها عن غيرها من الشاشات فيتمثل بحقيقة أنها لا تحتاج الى أي نظارات خاصة وبالتالي فإن المشاهد سيتمتع بمناظر ثلاثية الأبعاد بدون استخدام أي أدوات إضافية، ليس ذلك وحسب بل وسيتمكن من الاستمتاع بهذه الصور بغض النظر عن المكان الذي يجلس به، لأنه من المعلوم أن الشاشات المتوفرة في السوق والتي تسمح بعرض الصور بتقنية ثلاثية

Twitter: @alqareah

الأبعاد بدون نظارات أغلبها شاشات صغيرة الحجم وتتطلب أن يجلس المشاهد مقابل مركز الشاشة أما هذه الشاشة الحديثة المقترحة فإنها لا تعاني من هذا القصور.

أما الاقتراح الثالث والذي تحدث عنه المهندس يوري كالينكوف أيضاً فكان يتمثل بتحديث غرفة الاجتماعات لديه في القصر بحيث تعتمد على تقنية التواجد عن بعد Telepresence وتسمح له هذه التقنية بإدارة اجتماعاته الهامة في أي مكان في العالم انطلاقاً من مكتبه فيشعر الحاضرون في الاجتماع وكأنهم يجلسون الى طاولة واحدة مع أن آلاف الأميال قد تفصلهم في الواقع.

أعجب ميخا بالاقتراحين الأول والثاني أما الثالث فاستغربه لأنه في الحقيقة قد سبق له أن ركب هذا النظام منذ عدة سنوات، وهو يستخدمه باستمرار حيث يوجد في مكتبه شاشة كبيرة مزودة بجهاز ينقل بالصوت والصورة عالية الجودة الاجتماعات التي يكون عليه حضورها في مكاتبه حول العالم ويستطيع أن يشارك فيها بصوته وصورته انطلاقاً من منزله فما الجديد الآن؟

طلب أليكساندر من ميخا أن يسمح لمرافقه المهندس فلاديمير أن يقوم بتقديم عرض لطريقة عمل النظام الجديد المقترح فوافق ميخا على مضض وهو غير واثق من أنه سيرى أمراً يثير إعجابه.

نهض فلاديمير من مقعده ثم فتح حقيبة كان يجرها على عجلات صغيرة وأخرج منها علبة قام بفتحها هي الأخرى وأخرج منها جهازاً متوسط الحجم قام بوضعه بعيداً في طرف الصالة ثم قام بوصله بمقبس الكهرباء وتوجيهه نحو الجالسين على طاولة الاجتماعات، ثم أخرج حاسوبه المحمول وقام بإدخال بعض الإعدادات للتحكم بجهاز نقل الاجتماعات عن بعد وتأكد من توفر اتصال بشبكة الانترنت.

Twitter: @alqareah

بعد أن انتهى من الإعدادات وجه فلاديمير كلامه الى ميخائيل قائلاً: هل أنت جاهز يا سيدي؟ سأقوم الآن بالاتصال بمكتبنا في شركة نانوتيك لاختبار النظام الجديد.

أشار إليه ميخا بالقيام بالاتصال، فتوجه فلاديمير نحو لوحة المفاتيح الملحقة بالجهاز وقام بطلب رقم هاتف المكتب وضغط على زر مكبر الصوت ليتابع جميع الحاضرين المكالمة التي سيجريها.

بعد ثواني سمع الحاضرون في صالة الاجتماعات صوت أحد الموظفين على الطرف الآخر في المكتب فحياه فلاديمير وقدمه للحضور على أنه المهندس إيجور أليكسيفتش، وأخبره أنه متواجد حالياً في صالة الاجتماعات في قصر السيد ميخائيل برينسكي وأنهم يودون اختبار النظام الجديد.

ضغط فلاديمير على زر التحويل الى نمط نقل الصوت والصورة وعندها سمع صوت شهقة صدرت عن ميخا عندما ظهرت أمام الحاضرين صورة مجسمة ثلاثية الأبعاد بالحجم الطبيعي للمهندس إيجور والذي ابتسم لهم وحياهم ثم بدأ بالمشي أمامهم وأخذ يشرح لهم خصائص النظام الجديد قائلاً:

إنه نظام للبث ثلاثي الأبعاد يقوم على أخذ صورة من عدة اتجاهات للشخص المراد التحدث إليه ثم يقوم بضغطها وتحويلها الى بيانات رقمية ثم نقلها عبر شبكة سريعة الى جهاز آخر يوضع في أي مكان من العالم ويقوم هذا الجهاز بإعادة توليد الصورة ثلاثية الأبعاد من خلال رسم صورة هولوغرافية للجسم غاية في الدقة توحي وكأن الشخص المتحدث متواجد في نفس المكان مع الأشخاص الذين يود الاجتماع بهم.

بعد أن انتهى المهندس إيجور من عرض خصائص النظام تلقى

Twitter: @alqareah

بعض الأسئلة من ميخا حول طريقة عمل الجهاز ومدى إمكانية تطبيقه في جميع مكاتبه في روسيا وخارجها، وأظهر انبهاراً كبيراً بهذه التقنية الحديثة جعلت الحضور يشعرون بالطمأنينة الى أن عرضهم التقديمي قد حاز بالفعل على رضا رب العمل.

انتهى الاجتماع بموافقة ميخا على جميع الاقتراحات التي جاء بها مهندسوه وأثنى على جهود فريق العمل وأمر بتطبيق هذه التقنيات فوراً وتعميم استخدام الاقتراح الثالث في جميع مكاتبه بحيث يتمكن من استخدامها في مهلة أقصاها شهر واحد.

قام ميخا باستدعاء سكرتيره الخاص سيرغي بعد أن خرج المهندسون وطلب منه أن يذكره بما لديه من مواعيد ذلك الصباح، كان بالطبع يستطيع مراجعة ذلك بنفسه بالإطلاع على حاسوبه الشخصي وتفقد جدول أعماله، ولكنه وبالرغم من ولعه بالتقنيات إلا أنه كان موقناً أن الآلة مهما كانت متطورة فإنها لن تحل محل الإنسان لهذا كان كثيراً ما يحب استدعاء سيرغي ليناقش معه جدول مواعيده ويتفق معه على طريقة تنظيم اجتماعاته.

كانت الساعة تقترب من الحادية عشرة صباحاً عندما غادر المهندسون، فقام سيرغي بتذكير سيده بأن لديه اجتماعاً هاماً في المقر الرئيسي للمجموعة في الواحدة ظهراً مع مجلس إدارة المجموعة ولمدة ثلاث ساعات متواصلة وسيكون حول استنباط أفكار لمشاريع جديدة مبتكرة في شتى المجالات تضمن للمجموعة التفوق والريادة. لقد اعتاد ميخا عقد مثل هذا الاجتماع مرة كل شهر ليختار أفضل الأفكار التي يطرحها طاقم عمله من العلماء والخبراء وكبار رجال الأعمال.

في الحقيقة فقد كان ميخا يعشق هذه الاجتماعات التي تندرج تحت مسمى العصف الذهني Brainstorming لأنها النبع الحقيقي للأفكار

Twitter: @alqareah

النيرة التي اشتهرت بها مجموعة شركاته.

أما بعد هذا الاجتماع فكان على موعد للالتقاء بزوجته وابنتيه على الغداء في تمام الساعة الخامسة في مطعم كافي بوشكين وهو واحد من أرقى المطاعم وأفضلها في موسكو.

انطلق ميخا بسيارته الفارهة من نوع Maybach 62 مع سائقه الخاص في تمام الساعة الثانية عشرة ظهراً، وخرجا من القصر بعد أن عبرا الحديقة الكبيرة المترامية الأطراف والتي تحيط بالقصر من جميع الاتجاهات. كان ميخا قد أوكل أفضل المهندسين الزراعيين لتصميمها وعنايتها فظهرت تحفة للناظرين، وقد طلب اختيار نباتاتها بعناية لتظل مورقة طوال العام وتجتاز برد شتاء موسكو الطويل.

استغرق الطريق بعض الوقت نظراً للازدحام الذي تعاني منه موسكو وخاصة وقت الذروة، وكانت وجهتهم نحو مركز موسكو الدولي للأعمال حيث يوجد مقر المجموعة التي يديرها ميخائيل وتحتل برجاً شاهقاً مكوناً من ثمانين طابقاً.

يحتل مكتب ميخا مع صالات الاجتماعات ومكاتب السكرتارية الملحقة به كامل الطابق الأخير من البرج ويوفر بتصميمه الزجاجي وعلوه الذي يرتفع أكثر من ثلاثمائة متر عن سطح البحر مشهداً رائعاً لمدينة موسكو العريقة.

وصل أعضاء مجلس إدارة المجموعة في الوقت المحدد تماماً فقد كانوا يعرفون أن ميخائيل برينسكي يعشق الالتزام بالمواعيد وليس مستغرباً أن يقوم بفصل أحد مدرائه أو مستشاريه إن تأخر بضعة دقائق عن اجتماع ما.

بدأ الاجتماع في موعده بحضور ميخا وخمس من كبار مستشاريه والذين يمثلون نواة المجموعة وعقلها المدبر. كانوا مجموعة مختارة من

Twitter: @alqareah

العلمـاء والخبـراء الاقتصاديـين الذين لم تتجاوز أعمارهم الأربعين. لقد كان ميخا مؤمناً بأن الشباب هم المسيّر الفعلي للمستقبل، لهذا حرص على انتقـاء النوابـغ منهـم وجمعهـم ليكوّن معهم وبهـم واحدة من أكبر المجموعات الاقتصادية في روسيا.

كان موضـوع الاجتمـاع واضحـاً ومحـدداً وهـو الخروج بمشـاريع جديدة مبتكرة وغير تقليدية، وقد جاء ميخا اليوم ليسـتمع الى ما أعده مستشاروه من اقتراحات بهذا الخصوص.

كان على جدول الاجتماع مناقشة لعدة مشاريع مقترحة كما يلي:

مشروع المدينة الخضراء

مشروع تأجير الألعاب الحاسوبية عن طريق شبكة الانترنت

مشروع النوافذ السياحية

مشروع الإعلانات الموجهة

مشروع قطار الذهب

بـدأ ممثـل شـركة إبـداع والمختصة بالعقارات والمقاولات بشـرح فكرته حول مشروع المدينة الخضراء فقام بتشغيل البروجيكتور وعرض مجموعة من الصور التوضيحية التي تتحدث عن إنشـاء وتصميم مدينة خالية من الكربون والانبعاثات الضارة، بحيث يركب سـكانها سـيارات كهربائية وتحصل بناياتها وأسـواقها وأنظمتها على الكهرباء المولدة من الطاقة النظيفة مثل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح، ثم أخذ بالحديث عن تكلفة المشـروع والمدة الزمنية التي سيسـتغرقها إنشـاء مثل هذه المدينة والموقع المفضل لها والذي اقترح أن يكون في أحد مدن الشرق الأوسط نظـراً لتوفـر الطاقـة الشمسـية علـى مـدار العام وعـدم حجبها بالغيوم إلا لفترات محدودة.

أعجـب ميخـا بالفكـرة ولكنـه أبـدى قلقه بخصـوص الفترة الزمنية

Twitter: @alqareah

اللازمة لإتمام المشروع والتي قد تصل الى عشر سنوات إضافة لمسألة العائد المادي المتوقع من مثل هذا المشروع.

على أي حال فقد طلب ميخا من صاحب الفكرة أن يعد تقريراً مفصلاً عن الأفكار المشابهة وهل سبق أن نفذت في أي مكان من العالم أم لا، وأن يعد دراسة جدوى تفصيلية للمشروع ليقوم ميخا بعرضها على الأمراء والشيوخ في منطقة الخليج العربي لعل أحدهم تعجبه الفكرة ويتعاقد مع المجموعة لتنفيذها.

قام بعدها ممثل شركة نانوتيك بالتحدث عن ثلاثة من المشاريع التقنية فبدأ بتناول فكرته حول مشروع تأجير الألعاب، فشرح للحاضرين أن الفكرة تتمثل في إنشاء مركز ضخم يضم مئات من أجهزة الكمبيوتر المتطورة والتي يتم تحميل آلاف الألعاب عليها، ثم تخصيص موقع الكتروني على شبكة الانترنت يسمح للزائرين بالاستفادة من خدماته مقابل اشتراك شهري بسيط لا يتعدى عشرة دولارات أمريكية يحصل المشترك مقابلها على حق تجربة أي من الألعاب المتوفرة بالمركز والانتقال من لعبة الى أخرى بدون أن يضطر لاستخدام جهاز كمبيوتر عالي المواصفات كما هو الحال عادة مع الألعاب الحديثة التي تتطلب معالجاً سريعاً وبطاقة رسومية باهظة الثمن لتضمن للاعب تجربة فريدة غنية بالألوان والحركة. فالمشروع المقترح سيغني عن ذلك لأن قوة المعالجة ستكون متوفرة في المركز الرئيسي أما اللاعب فلن يحتاج الى أكثر من جهاز كمبيوتر متواضع المواصفات ليتلقي الصور التي يبثها مركز الألعاب عبر شبكة الانترنت، مما يعني أن اللاعب عملياً سيقوم بالتحكم بلعبته عن بعد، وهكذا ستتاح له تجربة آلاف الألعاب بدون أن يضطر لشرائها وفي نفس الوقت لن يحتاج الى جهاز متطور فكل ما يحتاجه عملياً هو اتصال سريع بشبكة الانترنت.

Twitter: @alqareah

وجد ميخا أنها فكرة رائعة ولكنه طلب من صاحبها التحقق من مجموعة من الأمور لضمان نجاحها، فأولاً عليه أن يتحقق من مسألة حقوق الملكية الفكرية والصيغة التي ستتعاون فيها شركته مع الشركات المنتجة للألعاب بحيث تحصل هذه الشركات على نسبة من الأرباح تضمن استمراريتها، وفي نفس الوقت تضمن عدم وقوع شركة نانوتيك في أي مشاكل قانونية أو ملاحقات قضائية.

ثانياً عليه التأكد من القيود التقنية التي قد تفشل مثل هذا المشروع مثل سرعة الانترنت الدنيا التي يحتاجها المشترك كي يتمكن من الحصول على تجربة انسيابية تضمن له الاستمتاع باللعب، وكذلك عليه التأكد من مسألة التأخر الذي قد يحصل في نقل تحركات اللاعب ونقره على المفاتيح الى مركز الألعاب في الوقت الحقيقي ومدى تأثير ذلك على التجربة ككل. وأخيراً عليه إعداد دراسة جدوى للمشروع تبين تكلفته والعائد المتوقع من ورائه.

انتقل المتحدث لتناول فكرة المشروع الثاني وهو النوافذ السياحية وشرح أن هذا المشروع يتمثل في تركيب نوافذ خاصة في الأجنحة الملكية في الفنادق الراقية أو في الشقق باهظة الثمن أو مكاتب الرؤساء التنفيذيين للشركات الكبيرة، بحيث تكون النافذة عبارة عن شاشة مسطحة كبيرة تبث بشكل مباشر بعض المشاهد من أماكن مختارة من العالم حسب رغبة الزبون وبصورة عالية الجودة، بحيث يشعر الزبون وكأن شقته أو مكتبه تطل بالفعل على ذلك المنظر الذي يتم البث منه، وستكون هذه النوافذ ذكية بما يكفي لإدخال ضوء اصطناعي الى الغرفة يتماشى مع المشهد المعروض وستبث الصور من ارتفاع وزاوية تتناسب مع موقع النافذة لدى الزبون لتضمن صورة حية وواقعية قدر المستطاع، مع إمكانية أن يتم العرض حسب الرغبة بتأخير زمني محسوب بحيث

Twitter: @alqareah

تعكس الصورة الزمن الحقيقي للمكان الذي يوجد فيه الزبون فمثلاً إن كانت شقة الزبون في موسكو ويود أن يعرض مشاهد من باريس والتي يتأخر التوقيت فيها عن موسكو بساعتين فإنه من الممكن إعداد النوافذ بحيث تعرض مشاهد من اليوم السابق بحيث تتماشى مع التوقيت في مدينة موسكو.

أعجب ميخا بهذه الفكرة كثيراً وطلب أن يتم اختبارها في مكتبه بحيث تستبدل النوافذ الموجودة حالياً بأخرى تبث مشاهد من نيويورك وفي حال وجد أنها فكرة ناجحة فسيسعى لاعتمادها بعد قيام صاحب الفكرة بعمل دراسة جدوى مناسبة للمشروع.

انتقل المتحدث لشرح فكرة المشروع الأخير وكان حول الإعلانات الموجهة فأخبر الحضور أن الفكرة تتمثل في إيصال الإعلان الى الشخص المستهدف الذي يهمه الإعلان، فمن المعلوم أن شركات الإعلان تنفق الكثير من الأموال على أمل أن تصل إعلاناتها للمستهلكين ويتم ذلك بشتى الوسائل عبر التلفاز والصحف واللوحات الإعلانية ومن خلال شبكة الانترنت، ويندر أن تجد مكاناً يخلو من إعلان لإحدى الشركات. ولكن غالباً ما تعاني شركات الإعلان من مشكلة الوصول الى المستهلك المناسب، وقد توصلت بعض الشركات الكبرى مثل جوجل على سبيل المثال الى أساليب مبتكرة في الإعلان الموجه وذلك عبر شبكة الانترنت بحيث تعرض إعلانات للمتصفح وفقاً لعاداته ونوعية المواقع التي يتصفحها.

لقد كانت فكرة هذا المشروع الجديد تصب في نفس الاتجاه ولكن بطريقة مبتكرة، حيث اقترح المتحدث استبدال اللوحات الإعلانية الالكترونية في المراكز التجارية وفي محطات المترو وفي غيرها من الأماكن، بشاشات ولوحات أخرى ذكية تقوم بعرض الإعلانات وفقاً

Twitter: @alqareah

لرغبات المتسوقين أو المشاة ممن يمر بالقرب من هذه اللوحات.

ظهر الاستهجان على وجه ميخا ومن معه، فلم تكن الفكرة قد وضحت بعد، فكيف يمكن لهذه اللوحات الإعلانية أن تكون ذكية وتتعرف على رغبات المارة بمجرد اقترابهم منها.

ابتسم المتحدث لردة فعل الحضور ولكنه تابع الشرح قائلاً: سنقوم بتزويد هذه الشاشات بمستقبل بلوتوث يقوم بالتعرف على المارة من خلال أجهزة الهاتف التي يحملونها والتي تحتوي أغلبها على خاصية البلوتوث، حيث يكون لكل شريحة بلوتوث في كل جهاز هاتف، رمز تعريفي خاص يمكن تمييزه عن غيره وبالتالي سيكون كل ما علينا فعله لإنجاح الفكرة هي أن نقنع العامة بالاشتراك معنا مجاناً لإنشاء قاعدة بيانات برغبات الناس واهتماماتهم وذلك من خلال تشجيعهم بخصومات وسحوبات بجوائز قيمة تمنح للمشتركين، ويكون كل ما عليهم فعله إرسال رسالة فارغة من هاتفهم الى رقم مجاني خاص بنا يقوم النظام لدينا على إثره بإرسال رسالة الى هاتف المشترك تتضمن برنامجاً مدمجاً يحمل بعض الأسئلة وينتظر إجاباتها من المشترك، ويقوم بعدها بالتعرف على الرمز التعريفي لشريحة البلوتوث في جهاز الهاتف ثم يعيد إرسالها إلينا مع إجابات الأسئلة وحفظها في قاعدة بيانات خاصة بالمشتركين ورغباتهم واهتماماتهم.

وهكذا بمجرد مرور هذا المشترك بأي لوحة إعلانية في أي مركز تجاري أو محطة لوقوف الحافلات أو في أي مكان آخر، فإن اللوحة الإعلانية ستتعرف عليه وتبحث عن رغباته في قاعدة البيانات من خلال مطابقتها مع الرمز التعريفي لشريحة البلوتوث في هاتفه المحمول، ومن ثم تقوم بعرض الإعلانات التي تهمه دون غيرها، وإن صدف تواجد مجموعة من الناس بالقرب من إحدى هذه اللوحات الإعلانية فإنها

Twitter: @alqareah

ستقوم تباعاً بعرض إعلانات تتناسب مع أذواقهم جميعاً وهكذا ستتمكن من تحقيق فكرة الإعلانات الموجهة بأفضل صورها.

انتهى المتحدث من عرض فكرة مشروعه الأخير والذي نال استحسان ميخا ومن معه فقد شعر الحضور أن هذا المشروع قد يمثل ثورة حقيقية في مجال الإعلانات ولكن كان لميخائيل تحفظ وحيد عبّر عنه بقوله: الفكرة رائعة ولكن بشرط واحد وهو أن لا نقوم بجمع أي معلومات شخصية عن المشتركين فيجب أن تحتوي قاعدة البيانات على معلومات حول اهتمامات المشتركين ولكن بدون أي إشارة الى أسمائهم أو عناوينهم أو أي معلومات خاصة أخرى.

بهذا انتهى ممثل شركة نانوتيك من تناول جميع الأفكار للمشاريع التقنية التي كانت على جدول أعماله، وانتقل الحديث الى عضو آخر في مجلس الإدارة كان سيتحدث حول مشروع قطار الذهب. كان عنوان المشروع مبهماً وغير واضح لأي من الحضور.

اسمحوا لي بأن أعود معكم بالزمن الى الوراء الى السنوات الأولى من قيام الثورة البلشفية في روسيا قال ديمتري فيودرفيتش المتحدث الأخير والذي يمثل بنك الاستثمار المتحد، وهو ينظر في وجوه الحضور التي علتها الدهشة.

وهل لهذا علاقة بالمشروع الذي ستتحدث عنه؟ سأل ميخا باستغراب.

بكل تأكيد، ثم تابع ديمتري قائلاً: ربما قليل منكم يعرف أنه إبان الحرب العالمية الأولى كانت روسيا تتمتع بأكبر احتياطي للذهب في العالم، وقد حرص البلاشفة على السيطرة على هذا المخزون بمجرد إسقاطهم لنظام حكم القيصر.

تقول الوثائق والمستندات التاريخية أن نصف احتياطي الذهب

Twitter: @alqareah

كان موجوداً في مدينة قازان قبل أن يأمر الأدميرال كالتشوك وكان قائد الجيش الأبيض آنذاك بتهريبه بالقطار بعيداً عن قبضة البلاشفة واستعان لتنفيذ ذلك بالجنود التشيكوسلوفاك والذين انقلبوا عليه وسلموه للبلاشفة وهربوا بجل الذهب نحو فلاديفستوك، لكنهم تعرضوا الى حادث مدبر على الطريق حيث تم نسف السكة الحديدية بأمر من لينين، فخرج القطار عن مساره وسقط في بحيرة بايكال مع ما يحمله من جنود ومئات الأطنان من السبائك الذهبية.

ظهر الاهتمام على وجه ميخا وبرقت عيناه وسأل المتحدث: تقول مئات الأطنان من السبائك الذهبية؟

ابتسم ديمتري وأجاب: تشير الوثائق الى أن مخزون الذهب الذي تم نقله من قازان يصل الى 600 طن من السبائك ولكن تعرض جزء يسير منه للسرقة أثناء الطريق، وبكل الأحوال فإن أغلب التقديرات تؤكد وجود ما يزيد على 500 طن من الذهب على الأقل في القطار عندما سقط في البحيرة؟

ولكن ما علاقتنا بهذا الأمر؟ فكما أفهم فإن البلاشفة كانوا يسعون وراء الذهب ولابد أنهم نجحوا في استخراجه بعد معرفتهم بسقوطه في البحيرة تساءل ميخا.

بالفعل لقد حاولوا ذلك على مدى عشرات السنين ولكن بدون جدوى، فقد استقر القطار بما يحمله من ذهب في قاع البحيرة والتي يصل عمقها الى ما يزيد عن كيلو متر ونصف، وهو عمق من الصعب الوصول إليه وانتشال القطار منه باستخدام الغواصات التقليدية. أجاب ديمتري موضحاً.

هذا يعني أن الحكومة الروسية تعرف أن هناك أطنان من الذهب في قاع بحيرة بايكال ولكنها غير قادرة على استخراجه لأنه على عمق

Twitter: @alqareah

كبير لا تسمح التقنيات الحالية بانتشال القطار منه، أليس كذلك؟ سأل ميخا ملخصاً ما فهمه من ديمتري.

نعم، بالضبط.

إن لم تتمكن الحكومة الروسية من الوصول الى الذهب فكيف سنتمكن نحن؟

وهنا لمعت عينا ديمتري وقال: بالإنفاق على البحث العلمي لتطوير غواصات قادرة على الوصول الى هذا العمق. في الحقيقة فإن مجموعة من العلماء في جامعة موسكو أعلنوا من فترة عن قيامهم بتصميم غواصة فريدة من نوعها تتحمل أطنان من المياه العذبة فوقها وقادرة نظرياً على الوصول الى أعماق تزيد عن 1500 متراً مع العلم أنه عمق لم يصل إليه أحد من قبل في المياه العذبة. الجديد في الموضوع ليس العمق الذي تصل إليه الغواصة وحسب، وإنما حقيقة كونها صغيرة الحجم ومزودة بأذرع آلية متطورة تستطيع التنقيب بحذر ودقة عالية تجعلها قادرة على استخراج صناديق الذهب بدون الحاجة فعلياً لانتشال القطار بأكمله.

صرح هؤلاء العلماء بأنهم بحاجة الى ممول لتطوير أبحاثهم وقد عرضوا مشروعهم على الوزارة المختصة ولكنهم لم يحصلوا على الدعم نظراً للميزانية الضخمة التي طلبوها. هنا يأتي دورنا بتبني هذا المشروع وتمويله، مع الحرص على الحصول على حقوقه في حال نجاحه، ومن ثم نساوم الحكومة الروسية على نسبة من الذهب مقابل قيامنا بانتشاله من قاع البحيرة. أقترح أن نطالب بنسبة لا تقل عن الربع، ومن خبرتي بالتعامل مع الحكومة الروسية أظنهم سيكونون سعداء بمثل هذا العرض لأن هذا المقدار الضخم من الذهب سيدعم خزينة الدولة ويساعدها على الخروج من الأزمة الاقتصادية.

وكم هي الميزانية التي وضعها فريق العمل الذي يقوم بتطوير

Twitter: @alqareah

الغواصة؟ سأل ميخا باهتمام بالغ.

عشرة ملايين دولار أمريكي. أجاب ديمتري.

وهنا بدأ عقل ميخا بالعمل وتحول الى آلة حاسبة متطورة وابتسم ابتسامة كبيرة بينما كانت عيناه شاردة، ثم قال بعد ثوانٍ معدودة: إنها ميزانية ضخمة ولكنها أقل بكثير من واحد بالمائة من العوائد التي تنتظرنا في حال نجحنا في استخراج الذهب ثم توقف برهة وتابع: في الحقيقة فإن الفكرة رائعة ولكنها تحمل في طياتها مجموعة من المخاطر يجب الانتباه لها، فبداية نحن غير واثقين من نجاح هؤلاء العلماء في مسعاهم في تطوير هذه الغواصة، وهل ستكون قادرة فعلياً على الوصول الى عمق يزيد على كيلو متر ونصف والحركة بانسيابية هناك لاستخراج صناديق الذهب؟ ثم هل ستوافق الحكومة الروسية على عرضنا؟ وأخيراً هل نحن واثقون تماماً من وجود الذهب في قاع البحيرة؟ ألا يحتمل أن تكون هذه القصة محض هراء؟

أتفق معك في أن عامل المخاطرة مرتفع في هذا المشروع، ولكن العائد من ورائه كبير جداً ويتجاوز الأربعة مليارات دولار وفقاً لأسعار الذهب الحالية والتي يتنبأ الاقتصاديون أنها سترتفع كثيراً في الشهور المقبلة. علق ديمتري مدافعاً عن مشروعه.

لدي سؤال هام قبل البت بالموضوع: هل هناك أي رابط بين المشروع العلمي لتطوير الغواصة وبين فكرتك لاستخراج الذهب؟ أعني هل يسعى العلماء لتطوير هذه الغواصة خصيصاً من أجل قطار الذهب الغارق في البحيرة؟

ابتسم ديمتري وقال: إطلاقاً، ليس هناك أي علاقة، فالهدف من المشروع العلمي هو التعرف على الكائنات التي تعيش في أعماق البحيرات العذبة.

Twitter: @alqareah

ممتاز، إذن نستطيع أن نمولهم بإعلان رغبتنا بدعم الأبحاث العلمية الهادفة وسنتكتم عن موضوع الذهب، الى أن ينجح الفريق العلمي بتطوير الغواصة وبعدها نبدأ مشاوراتنا مع الحكومة الروسية، ثم نعلن عن مسابقة دولية لاختيار أفضل الفرق المتخصصة في الغوص واكتشاف المحيطات وانتشال السفن الغارقة ونتعاقد معها لاستخدام الغواصة في استخراج صناديق الذهب من القطار الغريق، ولكن قبل ذلك علينا أن نجمع الفريق العلمي الذي سيطور الغواصة مع خبرائنا من التقنيين والعلماء لتقييم المشروع والتأكد من نجاحه ثم تابع حديثه موجهاً كلامه لأعضاء مجلس الإدارة: نظراً للمخاطر العالية التي يحملها هذا المشروع فإني وبعد أن ينتهي خبراؤنا من تقييم المشروع فإني سأعرضه عليكم للتصويت عليه لاتخاذ قرار حاسم بالمضي قدماً وتنفيذه أو برفضه، وستكون الكلمة لكم جميعاً، ولكني أدعوكم الآن للتكتم التام على الموضوع فلا أريد لأي مخلوق خارج هذه الغرفة أن يعرف بمشروعنا لانتشال قطار الذهب.

أومأ الجميع برؤوسهم موافقين.

حسناً، سنجتمع مرة أخرى بعد أسبوعين لمناقشة آخر التطورات بما يخص المشاريع التي اعتمدناها هذا اليوم في اجتماعنا، وأوجه شكري لكل من ساهم في طرح هذه الأفكار الرائعة وأتمنى من البقية أن يحذو حذوهم وأن يعصروا أذهانهم بحثاً عن أفكار ثورية وغير تقليدية.

انفض الاجتماع وذهب كل في طريقه الى مكتبه، أما ميخا فكان عليه الاستعداد للذهاب الى مطعم كافي بوشكن ليلتقي بزوجته وابنتيه هناك لتناول طعام الغداء.

كانت الساعة تشير الى الرابعة والنصف عندما خرج ميخا مع سائقه وتوجها الى المطعم، وهناك كانت طاولته المفضلة محجوزة باسمه كالعادة.

Twitter: @alqareah

كان ميخا يعشق هذا المطعم دون غيره ليس لأنه يجمع أفضل الطهاة وحسب بل لأن جو المطعم كان مختلفاً عن غيره، فهو يشعرك بالانتقال الى حقبة زمنية سابقة وكأن الزمن قد رجع الى الوراء مائتي عام على الأقل، فديكورات المطعم وتصميم الطاولات والملابس التي ترتديها النادلات كلها تشعرك بأجواء القرن التاسع عشر، فقد صمم المطعم على شكل مكتبة أثرية تضم عشرات الرفوف من الكتب وقد وزعت فيها بعناية الشمعدانات والتحف الخشبية واللوحات الجدارية والاختراعات القديمة ليشعر الزبون وكأنه قد دخل لتوه لمكتبة أحد العلماء السابقين.

كان ميخا أول الحاضرين وبعد دقائق من وصوله حضرت زوجته تتيانا ولمحها من بعيد وهي تنزع معطف الفراء باهظ الثمن وتسلمه للنادل ثم تتوجه نحوه وهي تبتسم ابتسامة متكلفة.

لقد كانت تتيانا في الثامنة عشرة من عمرها عندما تزوجها ميخا قبل اثنين وعشرين عاماً، وكانت وقتها فتاة قروية بسيطة التقى بها ميخا بالصدفة، عندما كان في زيارة لأحد معارفه في الريف الروسي، وأعجب جداً بجمالها وقرر خطبتها من أهلها، والذين رحبوا به كثيراً إذ كان يعمل وقتها في وظيفة مرموقة في موسكو، وكان عضواً بارزاً في الحزب الشيوعي. كان يتمتع بالكثير من المزايا التي كانت صعبة المنال وقتها، فقد كان يملك سيارة أجنبية فارهة، وشقة واسعة في وسط العاصمة، وكان يعد مثالاً صارخاً على الازدواجية في الحكم الشيوعي الذي كان يدعي تطبيق الاشتراكية بحذافيرها وتوزيع الثروات بالتساوي.

تزوجت تتيانا من ميخا وانتقلت معه الى موسكو وعاصرت معه سقوط الاتحاد السوفيتي، ثم صعود فئة الروس الجدد وهم مجموعة من رجال الأعمال ظهروا فجأة، وتحكموا بثروات البلد بطرق غير مشروعة

Twitter: @alqareah

على الأغلب. كان ميخا واحداً منهم. وهكذا أصبحت تيانا زوجة لأحد أثرياء البلد والذي تحول في زمن قصير الى ملياردير وقطب من أقطاب الاقتصاد في روسيا.

ولكن وكما جرت العادة عندما ينتقل شخص ما من الفقر الى الغنى بشكل مفاجئ فإن التركيبة النفسية له تصبح متناقضة بشكل عجيب، وهذا ما حصل مع تيانا التي بقيت من الداخل تلك الفتاة القروية البسيطة ولكنها أصرت على إخفاء هذه الحقيقة من الخارج، فكانت تلبس أغلى الملابس ولكنها في نفس الوقت كانت تفشل في المحافظة على تناسق الألوان.

كانت كثيراً ما تحاول أن توهم الناس بأنها تعرف العديد من اللغات فتلوي لسانها وتقحم بعض الكلمات الفرنسية بين ثنايا حديثها، ولا تعرف أنها بذلك كانت تتحول الى أضحوكة بين سيدات المجتمع.

عندما أصبحت في الخامسة والثلاثين من عمرها أصابتها حمى العمليات التجميلية فانهمكت في الشد والنفخ، وفي النهاية أفسدت أكثر مما أصلحت.

في البداية كانت تجد صعوبة في ملء أوقات فراغها، فهي لم يسبق لها أن عملت في أي مهنة ولم يكن مؤهلها العلمي يسمح لها بالحصول على أي وظيفة مهمة وهي التي أنهت دراستها الثانوية بصعوبة.

حاولت تيانا أن تنضم الى النوادي الثقافية التي تضم سيدات المجتمع الثريات، ولكنها اكتشفت أن وجودها بينهن كان يضعها في الكثير من المواقف المحرجة نظراً لضحالة ثقافتها الأدبية، وهكذا توقفت عن ارتياد هذه النوادي وطلبت من زوجها أن يؤسس لها جمعية خيرية لترأسها ويكون لها دور إيجابي في خدمة المجتمع، فتظهر صورها في الصحف بصفتها السيدة الثرية صاحبة الأيادي البيضاء. تشجع ميخا لهذا

Twitter: @alqareah

الطلب فقد اعتبره وسيلة دعاية لأعماله، وهكذا لم يؤل جهداً لتنفيذه. أما تتيانا فقد أصابها الضجر بعد شهور قليلة عندما لم تنل التهليل والترحيب الذين كانت تتوقعهما من وسائل الأعلام، فانصرفت الى التفكير بوسيلة جديدة لقضاء الوقت، واهتدت أخيراً الى فكرة وجدتها رائعة وهي أن تقضي وقتها بالسفر والتنقل بين المدن العالمية الشهيرة والتسوق فيها. كان من حسن حظها أن تعرفت على مجموعة من النساء ممن يشبهنها في المضمون كوّنّ معاً شلة فأصبحن يسافرن سوياً ويتنقلن بين باريس وروما ولندن ودبي.

أعجبت تتيانا كثيراً بدبي وانبهرت كثيراً بالانفتاح الذي وجدته في هذه المدينة الصحراوية، وأصبحت سريعاً وجهتها المفضلة وخاصة في فصل الشتاء عندما تكون درجة الحرارة معتدلة فيها، فتجدها فرصة جيدة للهرب من صقيع روسيا، وقد حثت زوجها على شراء شقة هناك لتكون مشتاً لهم.

حثتها رفيقاتها على شراء الشقة في منطقة جميرا بيتش ريزيدنس، وهو حي جديد راقي تم تشييده عام 2007 في جزيرة اصطناعية بالقرب من الشاطئ ويتكون من عشرات الأبراج الشاهقة، وقد صمم بطريقة تجعله يبدو وكأنه لا يمت للصحراء أو المنطقة العربية بصلة، وقد شيد فيه عشرات الفنادق والمطاعم الراقية وأشهر المحال التجارية، وخصصت فيه أماكن للتنزه والمشي فظهر شبيهاً بشارع الشنزليزيه في باريس، وأصبح أغلب قاطنيه من الأوروبيين من بريطانيا وروسيا وألمانيا وغيرها، فكان بالفعل المكان الأمثل لتتيانا لتقضي فيه جل وقتها. خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أولئك التجار الروس الذين كانوا يشترون الشقق في هذا الحي ويأتون بعائلاتهم ليسكنوا فيها وتكون فرصة سانحة لهم لغسيل أموالهم، فظهرت عائلات بأكملها في هذا الحي مكونة عن نساء

Twitter: @alqareah

وأطفال فقط.

حمداً لله على السلامة، لم أركِ البارحة عندما وصلت من دبي. هل قضيت وقتاً ممتعاً؟ ابتسم ميخا في وجه زوجته عندما نهض وسحب لها الكرسي المقابل لتجلس عليه.

إن الجو رائع في دبي هذه الأيام وقد اشتريت العديد من الملابس الجديدة من أشهر الماركات ولم أنسك بطبيعة الحال فقد اشتريت لك معطفاً جلدياً طويلاً أسود اللون سيعجبك بالتأكيد قالت تتيانا بكثير من الحماس.

يسعدني أنك قضيت وقتاً لطيفاً هناك وأنا متشوق لرؤية هديتي قال ميخا محاولاً أن يظهر قدراً مساوياً من الحماس.

ألم تصل كاتيا ولينا بعد؟

لقد وصلت قبلك بوقت قصير، أظنهما ستصلان قريباً، هل تحبين أن أتصل بهما؟

لا، لا داعي. دعنا نجلس بمفردنا بعض الوقت، فقد مضى زمن طويل على آخر مرة دعوتني فيها للعشاء بمفردي.

حاول ميخا أن يصرف نظره بعيداً عن عيني زوجته التي كانت تحاول أن تحاصره، وقال لها: صدقت، ولكنك تعرفين مدى انشغالي توقف برهة ثم استدرك قائلاً: ولكنك على حق. أعدك بأن أنظم جدول أعمالي بحيث نلتقي بمفردنا بين الفينة والأخرى لنسترجع معاً ذكرياتنا القديمة.

الحقيقة أن ميخا كان قد فقد الرغبة بزوجته وتوقف عن الانجذاب نحوها منذ سنوات عديدة، لكنه كان يحاول جاهداً إخفاء ذلك عنها مراعاة لمشاعرها ورغبة في المحافظة على صورة العائلة المتماسكة.

كانت تتيانا تشك في أن زوجها يقيم علاقات مشبوهة مع كثير من

Twitter: @alqareah

النساء، ولكنها لم تكن تبالي لأنها كانت مؤمنة أنها علاقات عابرة لن تؤثر على حياتها الزوجية.

حاول ميخا كثيراً على مدى السنوات السابقة أن يعيد إشعال جذوة الحب التي خبت بينه وبين زوجته، ولكنه كان يفشل في ذلك كل مرة، فقد اكتشف أن الفتاة القروية البسيطة التي أحبها وتزوجها لم تعد موجودة، وربما لم يدرك أنه هو الآخر كان قد تغير كثيراً.

لم ينتبه ميخا عندما اقتربت منه فتاة من ورائه وغطت عيناه بيديها الناعمتين وقالت له بصوت خشن مصطنع: خمن من أنا يا سيد برينسكي.

أنت فتاتي المدللة كاتيوشا قال ميخا وهو يبتسم وقد أبعد يديها لينهض ويحتضن ابنته الصغرى.

ليس عدلاً، كيف عرفتني وقد جهدت في تغيير صوتي؟ قالت كاتيا بدلال.

إن لم أتعرف على ابنتي المحبوبة الغالية فمن سيفعل؟.

انتقلت كاتيا لتحية أمها وتبادلتا القبل سريعاً، قبل أن يفسح ميخا لابنته لتجلس بقربه.

كانت كاتيا هي الفتاة المفضلة لدى أبيها فإضافة لكونها البنت الصغرى فقد كانت منذ نعومة أظفارها متعلقة بوالدها أكثر من تعلقها بأمها فكانت دائماً ما تنادي والدها دون غيره ليرفعها عن السرير عندما كانت في الثانية من عمرها، وتطلبه بالاسم إن رغبت بالشرب أو اللعب. وعندما بدأت بالمشي كانت تجري سعيدة نحوه وتحيط ساقيه بيديها الصغيرتين عندما يعود من العمل.

لقد كانت كاتيا قرة عين والدها بحق فقد كانت فتاة جميلة متفوقة في دراستها ونجحت في وقت قصير بأن تحجز لنفسها مقعداً بين العشرة الأوائل في التصنيف العالمي للاعبات التنس، مع أن عمرها لم يكن

Twitter: @alqareah

يتجاوز العشرين عاماً.

تتمتع كاتيا بطول فارع وجسد رشيق وشعر أشقر متوسط الطول كانت تربطه من الخلف كي لا يعيقها أثناء لعب التنس. أما وجهها فيحمل ملامح طفولية ساهمت مع عينيها الزرقاوين وفمها الدقيق وأنفها ذي الأرنبة المرتفعة قليلاً في رسم صورة مثالية للفتاة الروسية الحسناء.

لقد كانت شخصيتها مختلفة تماماً عن شخصية والدتها فقد كانت فتاة محبوبة متواضعة ولكن طموحة ومثقفة في نفس الوقت. لقد كان يأمل ميخا أن تصبح كاتيا في يوم من الأيام خليفته في إدارة المجموعة الاقتصادية التي أسسها، لهذا فقد حثها على دراسة إدارة الأعمال، وكان كثيراً ما يصطحبها معه عندما يذهب للعمل، بل ويدعها تجلس بقربه في بعض الاجتماعات كي تتعلم أسلوب الإدارة الناجح.

أما علاقة كاتيا بوالدتها فقد كانت متوترة أغلب الوقت، فلم تكن تعجب كثيراً بطريقة والدتها في العيش، وأحياناً ما كانت تسر لوالدها ممازحة عندما يكونا بمفردهما أنها تشعر أن أمها غير مناسبة له وأنه كان عليه الزواج من فتاة مثقفة، فكان يجيبها مبتسماً أنه لولا زواجه بأمها لما رزق بها.

جلست كاتيا بقرب والدها وأخذت تقص عليه أحداث الأيام السابقة، فهي لم تره من فترة، فقد عادت لتوها من أستراليا بعد أن شاركت في بطولتها المفتوحة للتنس وحازت على المركز الثاني. كان ميخا يحرص على مشاهدة جميع مبارياتها والاتصال بها وتشجيعها قبل وبعد كل مباراة.

لقد أبليتِ بلاءً حسناً في هذه البطولة وكنتِ على وشك أن تطيحي بسيرينا ويليمز في المباراة النهائية، ولكنك ربما كنت تشعرين ببعض الإرهاق كما بدا جلياً على ملامح وجهك في المجموعة الأخيرة

Twitter: @alqareah

الحاسمة التي انتهت بفوزها عليك بصعوبة.

نعم يا والدي. فقد أخطأت بأني لم أنل قسطاً كافياً من النوم في الليلة السابقة للمباراة، وقضيت أغلب الليل وأنا أتسامر مع صديقتى فيكا من خلال المحادثة عبر الانترنت، فقد عرفت بالصدفة عندما تصفحت موقع الفيسبوك أن حبيبها تخلى عنها، وكان عليَّ أن أقف معها وأواسيها وأقنعها أنه هو الخسران بتركها.

نظر إليها ميخا متفحصاً تعابير وجهها وابتسم قائلاً: هكذا إذن ثم سألها وقد ابتسم ابتسامة ماكرة: هل أنت واثقة أنك كنت تتحدثين مع فيكا؟ ألم تقضين الليل في التسامر مع صديقك ساشا؟

نظرت كاتيا الى والدها نظرة عتاب ومدت شفتها السفلى وقالت له بدلال: لم أعتد الكذب عليك يا ميخا –وكانت تعرف أنها تستطيع أن تنادي والدها باسمه المصغر بدون حرج وأنه سيتقبل ذلك بصدر رحب.

لا أدري لماذا تصر على أن تكابد ساشا العداء مع أنه شاب محترم ومتفوق ويحرص على مصلحتي مثلك تماماً.

رفع ميخا يديه مدافعاً عن نفسه: أنا لا أكابده العداء، كل ما في الأمر أني حريص عليك، ولا أريد أن يصيبك ما أصاب صديقتك فيكا.

أجابته كاتيا معترضة: إن ساشا ليس كغيره من الشباب. فهو واع ومثقف ويشبهك كثيراً.

لا أحد يشبهني قال والدها وهو يبتسم ابتسامة عريضة.

في هذه الأثناء وصلت لينا البنت الكبرى وكانت في الحادية والعشرين من عمرها. كانت فتاة متوسطة الطول ولكنها لا تقل جمالاً عن أختها، فبينما كانت كاتيا صاحبة بشرة بيضاء فإن أختها لينا كانت حنطية البشرة وتتمتع بشعر أسود طويل يتطاير فوق ظهرها، أما وجهها فكان شبيهاً بوجه الممثلة الإسبانية بينيلوبي كروز.

Twitter: @alqareah

لـم تكـن لينـا ناجحـة فـي حياتها مثل أختها الصغرى، فقد خرجت مبكـراً مـن كليـة الآداب ولـم تفلـح بالحصول على شـهادة جامعية، وقد قُبض عليها عدة مرات بتهمة القيادة تحت تأثير السـكر، لقد كانت من أولئك الفتيات اللواتي أفسدهن الثراء.

لقد كانت لينا مقربة لوالدتها التي أفسدتها بالدلال الزائد، وكانت بدلاً من توجيهها تكتفي بالتستر على أفعالها الخاطئة وتقنعها بأن جميع مشاكلها تُحل بالمال.

كان ميخا يدرك أنه لم يحسن تربية ابنته لينا وترك شأنها بيد والدتها لتتصرف كما تشاء. كان يدرك في قرارة نفسه أيضاً أن لينا كانت مظلومة ولـم تحصـل علـى قـدر كافـي مـن الاهتمام من قِبَلِه كمـا كانت تحصل أختها كاتيا.

لقد أجرم بحقها عندما ترك مسئولية تربيتها لزوجته بمفردها عندما اكتشـف في يوم من الأيام عندما كانت لا تزال في الخامسـة عشـرة من عمرها أنها حملت سـفاحاً من أحد أصدقائها، فما كان منه إلا أن أمر زوجته بأن تذهب بها الى طبيب مشهور بالقيام بعمليات إجهاض بالسر، ومنـذ ذلـك اليـوم أصبحـت لينـا فـي عهـدة أمها، أما ميخـا فقد انصرف للاهتمام بابنته المدللة كاتيا.

لقد كان لتصرفه ذلك أبلغ الأثر في تحطيم معنويات ابنته الكبرى، وساهم في انزلاقها أكثر بعيداً عن الطريق القويم.

وكمـا بإمكانكـم أن تتخيلـوا، فـإن لينـا كانت تشـعر بغيرة بالغة من أختهـا كاتيـا لنجاحهـا واهتمـام والدهـا بهـا، وكان ميخا يـدرك جيداً أنه السبب في العداوة بين ابنتيه، وعندما أراد أن يصلح ما أفسدته يداه كان الوقت قد تأخر كثيراً فالغيرة تحولت الى كره وفشلت كل محاولاته في تقريـب ابنتـه لينـا منـه ومـن كاتيا، وحتى عندما عرض على لينا أن تعمل

Twitter: @alqareah

معه رفضت رفضاً باتاً، فقد كبرت ونمت معها شخصيتها الضعيفة التي تهاب التحدي وتخشى الفشل، والأسوأ من ذلك كان البغض الشديد الذي كانت تشعر به نحو والدها والذي كان يزداد يوماً بعد يوم لأنه تخلى عنها عندما كانت في أمس الحاجة إليه.

ابتسمت لينا لأفراد عائلتها ابتسامة مصطنعة وسحبت الكرسي بجوار والدتها وجلست عليه بدون أن تنبس ببنت شفة.

كيف حالك يا لينا؟ لم أرك منذ عدة أيام قال لها ميخا مبتسماً ابتسامة رقيقة.

صحيح، مع أني كنت في المنزل طوال الوقت. ربما أصبحت غير مرئية وأنا لا أدري أجابت لينا بنبرة تهكمية.

حاول ميخا أن يغير مجرى الحديث، فقد أراد أن يقنع نفسه ولو لبعض الوقت أنه يعيش حياة مستقرة وسعيدة مع أفراد أسرته: أنا سعيد باجتماعنا هذا، فنحن لم نتناول الطعام سوياً منذ فترة طويلة، وأنا أرى أن علينا تكرار مثل هذه اللقاءات كلما سنحت الفرصة تنقل ميخا بنظره بين وجوه عائلته الصغيرة التي لم يفصل بين أجسادها سوى سنتيمترات قليلة أما المسافة بين أرواحها فكانت تبعد آلاف الأميال.

لاحظ ميخا أن لينا لم تسلم على أختها أو تسألها عن حالها وهي التي عادت لتوها من السفر، ليس ذلك فحسب بل لاحظ أنها كانت تتجنب أن تلتقي عيناها بعيني أختها. أشعره ذلك بحسرة مصحوبة بألم شديد في صدره.

ماذا تودون أن تطلبوا لطعام الغداء؟ سأل ميخا.

أجابت كاتيا بمرح: أنا اشتقت للطعام الروسي الأصيل فاطلب لي يا أبي وجبة من المطبخ الروسي ولكن بشرط أن تكون قليلة الدهون. أنا أرغب بتناول طبقي الفرنسي المفضل وهو شرائح الدجاج مع

Twitter: @alqareah

الفلفل الرومي قالت تتيانا ثم أردفت: ما رأيك يا لينا أن تجربي هذا الطبق معي؟

أجابت لينا بغير اهتمام وبدون أن ترفع رأسها عن هاتفها المحمول الذي كانت منشغلة به منذ وصولها: أياً كان. غير مهم. اطلبي ما شئتِ.

طلب ميخا شوربة البورش له ولابنته كاتيا إضافة الى طبق كباب البطاطس، وطلب للينا وأمها شرائح الدجاج مع الفلفل.

كيف تقضين وقتك هذه الأيام يا لينا؟ سأل ميخا ابنته الكبرى محاولاً بدء حوار معها.

ليس لدي الكثير لأفعله، نوم في النهار وسهر في الليل أجابت لينا بجفاء وبدون أن تنظر في وجه والدها.

وما هذا المظهر الجديد؟ إنك تبدين جميلة طبعاً ولكن لماذا اخترت اللون الأسود تحديداً لأحمر الشفاه ولصبغ أظافر اليد في الحقيقة هو لم يشأ أن يصارحها فيخبرها أنها تبدو مرعبة بهذه الألوان الداكنة والملابس الجلدية الضيقة والأقراط التي تتدلى ليس من أذنيها وإنما من أنفها، لقد كانت شبيهة بأفراد العصابات من عبدة الشيطان الذين يجوبون الشوارع في الليل بدراجاتهم النارية.

مجرد تغيير. إن أعجبك مظهري الجديد فبإمكاني أن أطبقه على دميتك المفضلة ضحكت لينا بقهقهة وهي تشير بعينيها الى أختها كاتيا والتي لم تعرها أي اهتمام بل في الحقيقة لم تكن تشعر بوجودها.

دعك منهم يا لينا، أنت تبدين رائعة مهما كان مظهرك قالت تتيانا وربتت على ظهر ابنتها التي رفعت كتفيها بلا مبالاة وعادت لتنهمك بالعبث بهاتفها المحمول.

حاول ميخا من جديد أن يغير مجرى الحديث فأخذ يخبر زوجته وابنتيه بأحدث التقنيات التي قرر أن يطبقها في القصر. لم تتفاعل معه

Twitter: @alqareah

سـوى ابنته كاتيا أما لينا وأمها فكانت كل منهما شـاردة في مكان آخر من العالم.

وصـل الطعـام فانهمـك الجميـع بتناوله وخيم الصمت عليهم، لقد كان جلياً أنهم جميعاً كانوا ينتظرون انتهاء هذا اللقاء بفارغ الصبر وكأن كلاً منهم كان يحمل في جعبته مغناطيساً بقطب واحد مشابه لما يحمله الآخرون مما كان يدفعهم بعيداً عن بعضهم البعض.

انفض اللقاء أخيراً وركب كل فرد من أفراد العائلة سيارته الخاصة وتوجه في وجهة مختلفة عن الباقين، فأما ميخا فعاد الى قصره وأما كاتيا فذهبت لتلتقي بصديقها ساشـا، وأما تتيانا فكانت على موعد مع شـلتها الجديدة، وأما لينا فانطلقت بحثاً عن حانة تقضي فيها ليلتها.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل الثالث

جواد

كانت تشير الى الثالثة صباحاً عندما نظر جواد الى الساعة الظاهرة في الزاوية اليمنى أسفل شاشة كمبيوتره المحمول. لم يخطر بباله أن الوقت تأخر الى هذا الحد. فقد كان لا يزال مرتدياً لبنطال الجينز ذي اللون الأزرق الباهت والقميص الأبيض المخطط منذ البارحة، وقد أمضى ما يزيد على عشرين ساعة عمل متواصلة في الشركة.

لقد كان يجلس بمفرده وأمامه ثلاث شاشات كبيرة متصلة بسيرفرات ضخمة إضافة لكمبيوتره المحمول وكان يتنقل بالعمل عليها جميعاً في نفس الوقت.

لقد تنبه لتوه أن الزاد لم يدخل جوفه منذ الصباح، فنهض ليبحث عن شيء يأكله. لقد اعتاد أن يطلب الطعام بالهاتف من أحد المطاعم التي تقدم الوجبات السريعة، ولكنه اليوم انهمك بالعمل لدرجة أنسته الجوع وها هو الآن لا يستطيع أن يتصل بأي من هذه المطاعم لأنها تغلق أبوابها في منتصف الليل. من حسن حظه فقد وجد لوح من الشكولاته على مكتب أحد زملائه المبرمجين، فانقض عليه والتهمه بنهم وعزم على أن يشتري في الصباح واحداً عوضاً عنه ويضعه في مكانه فلا يشعر زميله بأنه اضطر الى تناوله بدون إذنه، مع أنه كان واثقاً في قرارة نفسه أن زميله لن يمانع إن عرف بالأمر.

Twitter: @alqareah

لم يفلح لوح الشكولاته في إسكات جوعه فقرر أن يعرج على مطبخ الشركة لعله يجد ما يسد رمقه. وجد هناك بعض الأرغفة اللبنانية في الثلاجة إضافة إلى عدد من مثلثات الجبن القابل للدهن، فقام بإعداد بعض شطائر الجبن وعاد بها الى مكتبه وأخذ بتناولها مع كوب من الشاي أعده سريعاً في المطبخ.

في صباح اليوم السابق كان مديره قد طلب منه اختبار نظام الحماية الجديد والذي يندرج تحت فئة الأنظمة الحديثة لمنع تسريب وضياع البيانات Data Loss Prevention (DLP) الذي ينوون تطبيقه في الشركة، للحد من محاولات بعض الموظفين تسريب بيانات الزبائن ومعلومات حساسة عن المشاريع التي تنفذها الشركة، ومن ثم بيعها الى منافسيها.

كل ما كان على جواد فعله هو أن يقوم بتنصيب النظام الجديد على السيرفر الرئيسي، ثم يقوم باختباره وتجربته على مجموعة من الأجهزة للتأكد من فعاليته في اكتشاف وردع من تسول له نفسه محاولة تسريب أي من المعلومات الحساسة للشركة. كان لابد من اختبار النظام قبل شرائه لأن تكلفته كانت عالية جداً، فكان من الضروري التأكد من أنه سيقوم بالمهمة على أكمل وجه.

كان جواد يعلم أن هذا النظام تم تطويره من قبل شركة عريقة وأن سمعته كانت ممتازة، لكنه لم يكن من أولئك الناس الذين تبهرهم الأسماء الكبيرة، لهذا فقد عزم على أن يختبر النظام، ولكن ليس كأي مستخدم عادي بل وضع نصب عينيه أمرين اثنين للتأكد من جدوى النظام: أولاً سيسعى لمحاولة كسر حماية النظام، فقد كانت النسخة التي بين يديه نسخة تجريبية فصمم على تحويلها الى نسخة كاملة وبهذا يختبر قوة كودها البرمجي وحصانته أمام محاولات أمثاله العبث به. ثانياً بعد أن يقوم بتركيب النظام واختباره بالطرق التقليدية للتأكد من منعه

Twitter: @alqareah

لتسريب البيانات، فإنه سيسعى الى محاولة الحصول على بيانات حساسة باستخدام حساب لمستخدم لا يملك الصلاحيات الكافية للإطلاع على هذه البيانات فإن نجح في مسعاه سيتأكد من أن هذا البرنامج لا يقدم الحماية المطلوبة التي يزعمها.

وهكذا وبمجرد أن وقعت يدا جواد على الملف التشغيلي للنظام حتى انهمك في تنصيبه وإعداده بعد أن وضع السماعات على أذنيه وقام بالتوجه الى موقع إحدى الإذاعات الأجنبية على شبكة الانترنت والتي تبث عادة الأغاني الصاخبة، وشيئاً فشيئاً انفصل عن محيطه فأصبح لا يشعر بما يجري حوله، وأصبحت الساعات تمر تباعاً وهو جالس في مكانه بينما يقوم عقله بسبر غور هذا النظام الذي بين يديه.

لم يشعر جواد بحركة الشمس وميلانها من الشرق الى الغرب ثم اختفائها. لقد كان في عالم مختلف تماماً وكأنه تحول الى عنكبوت برمجي صغير أخذ بالسير في متاهة كبيرة من الكود. وهكذا لم ينتبه جواد إلا وأنه أصبح فجأة بمفرده وأن الجميع قد غادر الشركة.

نجح جواد بعد بضع ساعات بتحقيق الهدف الأول، فقد تمكن أخيراً من كسر حماية النظام باستخدام مبدأ الهندسة العكسية Reverse Engineering باستخدام أدوات بسيطة متوفرة مجاناً على شبكة الانترنت وهكذا استطاع تحويل نسخته التجريبية الى نسخة كاملة، مما يعني أن الشركة باستطاعتها الآن استخدام النظام مجاناً إن رغبت في ذلك وكانت مستعدة لتحمل العواقب القانونية في حال تم اكتشاف ذلك الأمر من قبل السلطات في دبي والتي كانت تشدد كثيراً وتفرض غرامات كبيرة على من يقوم بمثل هذا العمل.

انتقل جواد الى المهمة الثانية والمتمثلة في تشغيل النظام وتطبيقه على مجموعة من الأجهزة للتأكد من فعاليته في الحماية من تسريب البيانات.

Twitter: @alqareah

قام أولاً بإعداد النظام وتدريبه للتعرف على البيانات التي يعتبرها جواد حساسة، وبعدها عمد الى اختباره بالطرق التقليدية لتسريب البيانات فحاول إرسال ملف يحتوي على بيانات حساسة الى شخص غير مخول له بالإطلاع على هذه البيانات، فحاول تسريبه عن طريق البريد الالكتروني أولاً، ثم عن طريق التراسل الفوري، ومن ثم حاول تحميل الملف الى موقع الكتروني آخر، وكان في كل مرة يفشل في ذلك، إذ يتمكن النظام من كشف محاولة تسريب البيانات ويمنعها، وحتى عندما حاول نسخ أحد الملفات من الجهاز لنقله عبر وسائط التخزين كان النظام يقف له بالمرصاد.

استنتج جواد أن النظام فعال في الحماية من تسريب البيانات إذا استُخدمت الطرق التقليدية التي يلجأ لها الموظف العادي. كان عليه الآن محاولة تسريب البيانات بطرق أكثر صعوبة والتي لن يلجأ إليها إلا شخص متمرس وذو مهارات عالية في مجال تقنيات المعلومات.

أحضر أحد الأجهزة وقام بتنصيب نظام تشغيل لينوكس عليه، ثم وصله الى نفس الشبكة التي تحتوي على الأجهزة الواقعة تحت تأثير سيطرة نظام الحماية. قام بعد ذلك بتشغيل برنامج واير شارك والذي يندرج تحت فئة برامج Sniffers وهي البرامج المستخدمة في التنصت على البيانات المتدفقة عبر شبكات الكمبيوتر، رجع بعدها الى أحد الأجهزة التي تقع تحت سيطرة نظام الحماية وقام بإرسال بريد الكتروني يحتوي على بيانات حساسة الى شخص مخول له الإطلاع عليها فقام نظام الحماية بالسماح لها بالمرور لأن عنوان المرسل له لديه صلاحيات كافية باستقبال هذه المعلومات.

عاد الآن الى الجهاز الذي يشغل نظام لينوكس وتفحص برنامج واير شارك ليطلع على البيانات التي نجح في اصطيادها من الشبكة، فوجد

Twitter: @alqareah

مجموعة كبيرة من البيانات قام بتصنيفها وفقاً لبروتوكول الإرسال، وأبدى عناية خاصة في تفقد البيانات التي تندرج تحت بروتوكول SMTP، وهو بروتوكول إرسال البريد الالكتروني، وهناك وكما توقع، فقد نجح البرنامج في التقاط الرسالة التي أرسلت من الجهاز الواقع تحت سلطة نظام الحماية، وقام بفتحها والإطلاع على محتوياتها بكل سهولة، مما يعني عملياً أن البيانات قد تم تسريبها الى شخص غير مخول له بالإطلاع عليها، وهكذا يكون نظام الحماية قد فشل في منع تسريب البيانات عندما استُخدمت طرق غير تقليدية.

أحس جواد بالنشوة عندما نجح في اختراق نظام عتيد في الحماية، وكان يعرف أن نجاحه ذلك ربما يكون سبباً في زيادة الأعباء عليه في نهاية الأمر، لأنه يدرك أن مديره سيلجأ له في نهاية الأمر إما لإيجاد نظام حماية بديل يفشل هو باختراقه، أو للمساهمة في اقتراح بعض التدابير التي تمنع أمثاله من محاولة استغلال الثغرات الموجودة في أنظمة الحماية.

لقد كان جواد من أولئك القلة الذين يستمتعون حقاً بعملهم ولا يشعرون بالضيق عندما تزيد الأعباء الملقاة على عاتقهم، ولكن ذلك كان يعني أيضاً أنه من تلك الفئة التي لا تجد ما تفعله في حياتها سوى الانغماس في العمل على حساب الحياة الاجتماعية فلا مكان لصديق أو قريب أو حبيب.

لقد كان رفاق جواد في العمل يعدونه نموذجاً مثالياً للبشر الآليين. لكن لم تكن هذه هي حقيقة جواد.

بدأ جواد يشعر بالنعاس بعد أن انتهى من تناول الطعام ونجح في أن يجهز على الشطائر. لقد كان يحس بالإرهاق وساهم الطعام في إدخاله في حالة من الاسترخاء.

Twitter: @alqareah

نهـض جـواد وخـرج مـن مكتبه وهو عازم على الذهاب الى شـقته التي يتقاسـمها مع أحد رفاقه في العمل، لينال قسـطاً من النوم، ولكنه تذكر صعوبة إيجاد سـيارة أجرة في هذا الوقت ولولا ما يشـعر به من نعاس لذهب الى شقته مشياً على الأقدام، وكان سيصل في غضون ثلث ساعة على الأكثر. عدل عن فكرة مغادرة الشركة وبدلاً من ذلك توجه الى صالة الاجتماعات واستلقى على الأريكة الجلدية هناك.

بدأ عقله وكالعادة في استرجاع أحداث اليوم السابق والمهام التي عكف على تنفيذها طيلة اليوم والليلة. ابتسم لنفسه عندما تخيل الإطراء الـذي سـيناله مـن مديـره عندمـا يعرف بتفاصيـل نجاحه في التغلب على نظام الحماية.

فجـأة وبـدون مقدمـات انتقـل عقلـه الـى موضوع آخـر جعل قلب جـواد ينبـض بشـدة. لقـد رسـم عقلـه من جديد وكما اعتـاد في كل ليلة قبل النوم صورة تلك الفتاة التي أحبها جواد بكل جوارحه. إنه يتخيلها الآن وهـي تبتسـم لـه تلـك الابتسـامة الرائعة المصاحبـة لظهور غمازتين صغيرتين على وجنتيها.

لـم يتنبـه أحـد أثنـاء العمـل إلى أن جواد لم يكن قادراً على تمالك نفسه كلما نظر الى تلك الفتاة الأعجمية وهي تتجول في الممرات بين المكاتب في الشـركة فيتطاير شـعرها الأسـود الفاحم فوق ظهرها. لقد كان جـواد يعتبـر هـذه الفتـاة الفارسـية نموذجـاً للجمـال الكامل بطولها فوق المتوسط وقدها الرشيق وبشرتها البيضاء الصافية وعيونها السوداء الواسـعة. لقد نجحت هذه الفتاة بدون أن تدري في أسـر جوارح جواد ومشـاعره، فقد كان يحس كلما مرت بقربه، برجفة في أوصاله وبرودة في أطرافه وانتفاض في فؤاده، وكأنه في طائرة تصعد به بشكل مفاجئ فيهبط قلبه تجاوباً معها.

Twitter: @alqareah

لقد كانت تلك الفتاة تعمل في مجال التسويق في نفس الشركة التي يعمل فيها جواد، وكانت تصغره بسنوات قليلة. كان جواد يدرك أن هذه الفتاة لم تكن تبادله نفس المشاعر ولم يكن واثقاً إن كانت منتبهة لوجوده أصلاً.

قرر في يوم من الأيام أن يتغلب على خجله وأن يحاول التعرف إليها عن قرب ولكنه اختار طريقة غير تقليدية لفعل ذلك، لقد اختار طريقة تتناسب مع شخصيته.

لقد كان جواد مسجلاً باسم مستعار في الانترنت في موقع الشبكة الاجتماعية فيسبوك الشهير، ولم يكن قد أضاف إلا عدداً قليلاً من الأشخاص الى قائمة الأصدقاء لديه. بحث عن اسمها في قاعدة بيانات الموقع فوجد عدداً كبيراً من الأعضاء الإناث يحملن نفس الاسم فتصفح حساباتهن واحداً تلو الآخر، إلى أن تمكن أخيراً من العثور على الحساب الذي يخص هذه الفتاة دون غيرها، لقد كان محظوظاً في أن محبوبته قد وضعت صورتها في حسابها على الفيسبوك مما سهل عليه التعرف عليها.

قام أولاً بإرسال طلب عبر الفيسبوك للفتاة لتضيفه الى قائمة أصدقائها، وأرفق مع الطلب رسالة يعبر فيها عن إعجابه بها ورغبته في التعرف إليها من غير أن يكشف عن هويته الحقيقية. انتظر جواد بضعة أيام ولكنه لم يتلق أي رد على طلبه سواء بالقبول أو الرفض، فأرسل رسالة أخرى لها يخبرها فيها بأنها لن تخسر شيئاً إن تعرفت إليه وأنها ستكتشف أن لديه شخصية محببة وأنه سيعاملها بكل ود واحترام، وأن كل ما عليها فعله أن تمنحه هذه الفرصة بالتعرف إليها عن قرب. لم تجب الفتاة على رسالته تلك أيضاً.

أرسل جواد لها رسالة أخيرة مطولة يخبرها عن مشاعره نحوها

Twitter: @alqareah

وعن الأحاسيس التي تخالجه عندما يراها، وأفصح لها عن حقيقة كونه أحد زملائها في العمل، وطلب منها طلباً أخيراً ووعدها بأن يكف عن إزعاجها إن لبته له، فقد طلب منها أن تضع ملصقاً أخضر اللون على ظهر شاشة حاسوبها في العمل إن رغبت في التعرف إليه ومعرفة شخصيته، وأن تضع ملصقاً أحمر اللون إن قررت عدم التعرف إليه، ووعدها بأن لا يزعجها بعد ذلك مطلقاً مهما كان اللون الذي ستختاره ولكنه رجاها في نفس الوقت أن تسمح له بالتعرف إليها.

عندما قرأت الفتاة الرسالة الأخيرة أحست بالفضول لمعرفة هذا الشخص وخطر ببالها أن تكون مجرد مزحة من أحد زملائها أو زميلاتها المقربين في العمل، لكنها قررت هذه المرة أن تستجيب له.

لبس جواد في اليوم التالي لإرساله الرسالة أفضل ما لديه، وحلق ذقنه وصفف شعره وتعطر بعطر فواح، وانتظر الى التاسعة والنصف صباحاً ليتأكد من وصول الفتاة الى الشركة، ثم توجه نحو مكتبها ومر به وهو يحاول أن يختلس النظر من الجدران الزجاجية التي تحيط بالمكتب باحثاً عن الشاشة، وحرص أثناء ذلك على أن لا يلفت بفعله الانتباه. في المرة الأولى وجد الفتاة في المكتب ولكن كانت شاشتها خالية من أي ملصقات. عاد مرة أخرى في الحادية عشرة ومثل المرة السابقة لم يكن هناك أي ملصقات. قرر المحاولة مرة أخيرة فعاد في الساعة الواحدة والنصف ظهراً وكان ذلك خلال فترة الاستراحة، وعندها كاد أن يطير من الفرح عندما وجد أن الملصق كان هناك بالفعل، والأهم من ذلك فقد كان ملصقاً أخضر اللون. لم تكن فتاته في مكتبها وقتها، فخمن أنها لابد وأنها قد خرجت لتناول الغداء.

قرر جواد أن يعود إليها بعد انقضاء الساعة المخصصة للغداء، ولكنه احتار في الخطوة التالية. هل يدخل عليها ويخبرها مباشرة أنه

Twitter: @alqareah

المعجب المجهول؟ أم يترك لها رسالة على مكتبها يخبرها باسمه؟ أم يطلب منها أن تخرج معه ليتحدث معها على انفراد؟ لم يكن لديه الخبرة الكافية للتصرف في مثل هذه المواقف، فقد كانت هذه الفتاة هي أول فتاة يدق لها قلبه ويشعر نحوها بمثل تلك المشاعر الجياشة.

في تمام الساعة الثانية وعشرين دقيقة ظهراً انطلق جواد نحو مكتب الفتاة. من حسن حظه فقد وجدها هناك بمفردها، طرق الباب الزجاجي فرفعت الفتاة نظرها عن شاشة الحاسوب الذي كان أمامها، وابتسمت لجواد وأشارت إليه بيدها ليدخل. لم تكن تعرف اسمه ولكنها كانت تذكر أن له علاقة بالحواسيب فظنته قد عرف بمشكلة الفيروسات التي يعاني منها جهازها وأنه جاء ليحلها، أما جواد فاستنتج استنتاجاً مختلفاً تماماً، لقد ظن أنها عرفت أنه صاحب الرسالة وأنها كانت مفاجأة سارة لها.

دخل جواد الى المكتب مبتسماً وهو يشعر بسرور بالغ. لم يتكلم معها كلمة واحدة، وقبل أن تشرع هي بشرح المشكلة التي تواجهها في جهازها رأته يقترب من الملصق المعلق على ظهر الشاشة وينزعه بيده وينظر لها نظرة إعجاب مشوبة بالخجل وابتسامة لم تفارق محياه.

تسمرت الفتاة في مكانها واختفت ابتسامتها وحل محلها تكشيرة ظهرت في التجاعيد التي بين حاجبيها. لقد فهمت أن هذا الشاب هو المعجب الولهان فما كان منها إلا أن انهالت عليه بالشتائم والكلمات النابية، أما هو فوقف كالتمثال واستقبل سيل الإهانات دون أن يُظهر أي انفعال أو ردة فعل، لقد كان وجهه خالياً من أي تعبير، أما في الداخل فكان عقله لا يزال يحاول تفسير ما حدث وإيجاد مبرر لهذا التصرف العنيف من قبل الفتاة التي أحبها بكل صدق.

لقد كان أشد ما أثر في نفسه وحفر عميقاً في صدره، جملتها التي أنهت بها سيل الإهانات، عندما قالت له: كيف تصورت أن فتاة مثلي من

Twitter: @alqareah

الممكن أن تلتفت الى شـخص مثلك؟ لقد فكر كثيراً في هذه الجملة، وسأل نفسه مراراً وتكراراً عن الذي قصدته بقولها: شخص مثلك.

ما الذي يعيبني؟ لماذا استكبرت علي؟ هل هو شكلي الذي لم يعجبها أم عملي أم شخصيتي؟ لقد كانت هذه نماذج من الأسئلة التي كان جواد يوجهها لنفسه ولا يجد لها إجابة، لقد كادت أن تفقده هذه الفتاة كل ثقة له بنفسه، وقد ساهمت بكل تأكيد بانعزاله أكثر ومحاولته دفن نفسه في العمل، كي ينساها وينسى هذه التجربة المريرة، والتي انتهت بما يشبه الفضيحة عندما اشتكت هذه الفتاة لدى الإدارة وأخبرتهم بالرسائل التي كان يرسلها لها، ولم تكتف بذلك بل أخبرت الجميع في الشركة بتصرفه معها وتهكمت عليه أمامهم.

قامت إدارة الشركة بالإطلاع على الرسائل التي أرسلها جواد للفتاة فوجدت أنها رسائل بريئة لا تحوي أي كلام بذيء أو تلميحات غير لائقة لهذا اكتفت بلفت نظره وانتهى الأمر على ذلك، أما جواد فكانت معاناته قد بدأت لتوها فقد أصبح يتعرض للغمز واللمز من قبل الجميع، لكنه مع ذلك لم يفقد أعصابه ولم ينهار ولم ينجح المغرضون في استفزازه، ومع الأيام نسي الجميع القصة أما فهو فقد تركت هذه التجربة جرحاً غائراً في قلبه لم يكن من السهل أن يندمل.

Twitter: @alqareah

الفصل الرابع

عادل

شعر عادل بغضب شديد أثناء تفقده لهيكل السفينة التي يتم بناؤها منذ عدة أشهر. لقد اكتشف أن المواد المستخدمة في الطبقة العازلة بين الحجرات غير مطابقة للمواصفات، وقد تتسبب في كارثة عند إبحار السفينة نظراً لأنها مواد قابلة للاشتعال.

أفرغ عادل جام غضبه على المقاول الذي كان يحاول توفير بعض الأموال من خلال استخدام مواد ومنتجات مغشوشة، وقد سبق أن حاول أن يرشو عادلاً ليتجاوز عن الأخطاء الكثيرة المرتكبة في بناء السفينة، ولكنه فشل في ذلك، وقد هدده عادل بأنه سيبلغ عنه الشرطة إن تكررت مثل هذه الأخطاء، ولكن دون جدوى، فقد أدرك عادل أن مثل هؤلاء الأشخاص لن يتوبوا ما لم تتم معاقبتهم، وهكذا أضاع المقاول فرصته الأخيرة عندما عبث بمواد الطبقة العازلة، وكان عليه الآن أن يجابه مصيره، فقد تم إبلاغ الشرطة والشركة المسئولة عن بناء السفينة.

كان عادل يشغل منصب كبير المهندسين في شركته في دبي منذ ما يزيد على عشر سنوات، وبالرغم من براعته في العمل وتفانيه فيه فإن العائد المادي الذي كان يحصل عليه كان محدوداً للغاية ولا يتناسب مع خبراته، وكثيراً ما كانت تنشب الخلافات بين عادل وزوجته منى بسبب ذلك، فقد كانت منى ترى أن من الخنوع أن يرضى زوجها بربع الراتب

Twitter: @alqareah

الذي من الممكن أن يحصل عليه إن توجه للعمل في شركة أخرى، أما هو فكان يرى أنه أمضى سنوات عديدة مع هذه الشركة ومن الصعب أن يتركهم ببساطة ويتخلى عنهم. كانت زوجته تستشيط غضباً عندما تسمع هذا التبرير منه، وتتهمه بالسلبية لأنه يرفض حتى أن يطلب من الشركة التي يعمل بها أن يزيدوا من راتبه أسوة بغيره من المهندسين في الشركات الأخرى، فكان يجيبها بأنه غير مستعد لتسول مستحقاته من الآخرين.

لقد كانت منى مدركة أن طيبة زوجها يتم استغلالها بشكل سيء في العمل، ولكنها لم تدر ما تفعل، فزوجها عنيد ولم يكن ليستجيب لها بسهولة، إلى أن قررت أخيراً أن ترجع الى مصر وتبقى هناك، كوسيلة ضغط لعله يصلح من أمره ويبحث عن عمل آخر، أو على الأقل يطلب من عمله الحالي زيادة في الراتب.

ما لم تدركه منى أو ربما أدركته ولم تعترف به، هو أن زوجها كان يعاني من ضعف في ثقته بنفسه، فقد كان يخشى إن ترك عمله مع هذه الشركة أن لا ينجح في العثور على عمل آخر، وهكذا كان يرضى بوضعه الحالي لأنه لم يشأ أن تتخلى عنه الشركة فيضطر للعودة الى مصر وهناك سيكون من الصعب جداً عليه أن يجد عملاً يدر عليه مدخولاً جيداً.

انتهى عادل من عمله في ذلك اليوم وعاد الى شقته وهو يشعر بإرهاق شديد، فقد كان يقوم بأعمال شاقة في عمله لا تتناسب مع عمره، وكثيراً ما كان يضطر للعمل لساعات مع العمال ليتأكد من قيامهم بتنفيذ مهامهم على أكمل وجه.

عندما دخل عادل الى شقته وجدها هادئة جداً فأحس بانقباض في صدره. إنه يشعر بالشوق لزوجته وولديه الذين كانا يملئان الشقة صخباً. لقد استأجر هذه الشقة المكونة من غرفتين وصالة في مدينة عجمان التي

Twitter: @alqareah

تتميز بانخفاض إيجارات العقارات السكنية فيها مقارنة مع دبي والشارقة.

لـم يشـعر فـي ذلـك اليـوم برغبـة في تناول الطعـام مع أنه لم يأكل شيئاً منذ الصباح الباكر، واكتفى بإعداد كوب من القهوة والتي اعتاد على شربها مرة بدون سكر. استلقى على الأريكة في الصالة وأخذ يرتشف من قهوته وأشعل سيجارة، بينما أخذ عقله يفكر في كلام زوجته: لن أرجع من مصر حتى تبدأ بالتصرف بشيء من الإيجابية. إنك بخضوعك لهذه الشركة لا تظلم نفسك فقط بل تظلمني وتظلم أولادك أيضاً.

لماذا لا تقنعين بعيشـك، إننا نعيش أفضل من أي من أقاربك في مصر تخيل عادل أنه يرد على زوجته.

ما الذي يمنعك من أن تطلب زيادة في الراتب؟ إنك تطالب بحقك وأنت موقن أن الشركة بحاجة ماسة لك، وهم يعتقدون أنك مكتفي بما تحصل عليه. لا تتوقع أن يقوموا بتقدير جهودك ومنحك زيادة في الراتب بـدون أن تطلـب. فـي بلادنـا العربيـة قليل هم أصحاب الشـركات الذين يقـدرون موظفيهـم الأكفـاء ويحرصـون على راحتهم تذكر عادل الحجج التي كانت تسوقها زوجته لحثه على طلب الزيادة في راتبه.

لم يخبر عادل زوجته أنه فاتح مدير الشركة قبل يومين برغبته في الحصول على زيادة في الراتب، فما كان من مدير الشركة إلا أن تحجج بالأزمة الاقتصادية التي اجتاحت العالم وأن صناعة السفن تعاني الركود، ولمح له أن عليه أن يحمد الله أنه لم يفقد عمله ويضطر للعودة الى بلده كالألـوف غيـره مـن الوافديـن في الإمارات والذين اضطروا للرجوع الى أوطانهم عندما تخلت الشركات عن نسبة كبيرة من موظفيها بسبب الأزمة الاقتصادية التي تأثرت بها دبي بشكل كبير كغيرها من المدن العالمية.

هل أخبر زوجتي بالأمر؟ لابد أنها ستطالبني بالبحث عن عمل في شـركة أخرى. لكني اعتدت جو العمل في هذه الشـركة ولن يكون من

Twitter: @alqareah

السهل علي البدء من جديد في شركة أخرى.

ستتهمني بالسلبية والكسل، وستقول لي: ماذا ستخسر إن بحثت عن عمل آخر بينما تمارس عملك الحالي؟ إن وجدت عملاً أفضل تستطيع على الأقل أن تساوم شركتك الحالية بأنك وجدت بالفعل عرضاً أفضل وفي هذه الحالة إما سيستجيبون لك ويقومون بزيادة راتبك وستتأكد أنهم متمسكون بك، وإما سيقومون بالتخلي عنك وستعرف حينها أنهم لا يستحقون أن تخلص لهم.

أنا أعرف أن حجتها قوية وأنها على حق، ولكن ماذا أفعل؟ فأنا ومن صغري لم أعتد المساومة، وحتى عندما كنت أذهب الى السوق لشراء الحاجيات لي أو لغيري لم أكن أبرع في المساومة كزوجتي، وغالباً ما كنت أشتري الأغراض بسعر مرتفع لعدم رغبتي في الجدال مع البائع.

أخذ نفساً عميقاً من سيجارته ونفث دخانها بعيداً بينما كان يؤنب نفسه: علي أن أثبت لنفسي ولزوجتي أني قادر على فعل الكثير.

لو توفر لي مقدار كافي من المال لأسست شركة خاصة بي ولما اضطررت للعمل عند أحد، فلدي جميع المؤهلات والخبرات التي تسمح لي بإدارة شركة ناجحة ثم استدرك قائلاً لنفسه: ولكن من أين لي بالمال الكافي وقد أنفقت كل ما أملك من النقود التي وفرتها من عملي في السنوات السابقة لشراء شقة سكنية في الإسكندرية. لم أعرف حينها أن هذه الشقة ستكون وسيلة ضغط تستغلها زوجتي ضدي فتقيم فيها مع ولدينا بعيداً عني. هز رأسه مستنكراً.

إني بحاجة الى مائتي ألف دولار على الأقل لأؤسس شركة صغيرة مختصة في تصميم وإصلاح اليخوت، وفي المستقبل إذا نجحت الشركة نستطيع أن نعمل في صناعة اليخوت والسفن، وأنا واثق أني بتوفيق الله ثم بخبرتي وعلاقاتي أستطيع أن أضمن نجاح الشركة.

Twitter: @alqareah

بإمكاني البحث عن ممول، ولكني سأضطر الى إشراكه بكل صغيرة وكبيرة وسأشعر أني أعمل تحت رحمته، كما أنه ليس من السهل إيجاد ممـول يثـق بـي وأثـق بـه وخاصة أن أصحاب الأمـوال في بلادنا العربية يخشون المخاطرة ولا يميلون للاستثمار في مجالات لا يفقهون بها.

أستطيع أن أستشير روستام صديق سالم فأنا أعرف أنه بارع في أمور التجارة وإدارة الأعمال، وربما أجد لديه أو لدى سالم فكرة ما تساعدني في تنفيذ ما أصبو إليه فكر قليلاً ثم خطرت بباله فكرة: أو ربما أقنعهم بالدخول معي كشركاء في المشروع وأنا واثق أن الأمر معهم لن يكون كما هو مع ممول غريب، وهكذا قرر عادل بعد طول تفكير أن يعرض الأمر على أصدقائه.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل الخامس

روستام

تابع روستام سقوط الحوامة الروسية بعد أن أصابها أحد رفاقه بصاروخ ستينجر محمول على الكتف. كان روستام يقف مختبئاً مع عشرة من زملائه بين الأشجار الكثيفة على قمة أحد الجبال التي تحيط بمدينة غروزني. انتظروا هناك بضع ساعات الى أن سمعوا هدير حوامة تقترب من قمة الجبل. نظر أحد زملاء روستام بالناظور نحو الحوامة وراقبها أثناء اقترابها من موقعهم. اكتشف أنها حوامة من نوع MI-28 وهي واحدة من أشهر الحوامات الروسية وكانت تحمل مدفعاً بطلقات 30 ملم. عندما اقتربت الحوامة بشكل كافي يجعلها ضمن مجال الإصابة لصاروخ ستينجر أمريكي الصنع، أعطى المراقب إشارته لحامل الصاروخ بأن يخرج من بين الأشجار ويباغت الحوامة.

في الوقت المناسب خرج أحد رفاق روستام من بين الأشجار وكان عربياً يقاتل الى جانب الشيشان. نظر العربي بعدسة مدفع الصواريخ الذي يحمله على كتفه نحو الهدف، وأطلق صاروخاً تلوى في الهواء قبل أن يصيب هدفه وينفجر في الجو محولاً الحوامة وما تحمله من جنود وعتاد الى أشلاء. أخذ روستام ورفاقه بالتكبير والتهليل فرحاً بإسقاطهم الحوامة. لقد كانت الحوامة الثالثة التي ينجحون في إسقاطها هذا الأسبوع.

عندما حل المساء هبط روستام مع زملائه المجاهدين من الجبل

Twitter: @alqareah

وتوجهوا نحو قريتهم القريبة من العاصمة غروزني. في الطريق وصلتهم أنباء بأن الجنود الروس اقتحموا القرية بحثاً عن مقاتلين شيشان أو عرب.

حث روستام ورفاقه الخطى نحو القرية، ولكنهم عندما اقتربوا منها وكان ذلك بعد منتصف الليل، فوجئوا بالأضواء التي كانت منبثقة من القرية من بعيد. عندما اقتربوا أكثر من القرية تبين لهم أن هذه الأضواء ما هي إلا نيران قد شبت في أنحاء متفرقة من القرية.

عندما دخل روستام القرية مع أصدقائه كان السكون مخيماً على المكان، وكان ذلك غريباً لأنهم اعتادوا في مثل هذا الوقت من الليل أن يسمعوا أصوات نباح الكلاب وعواء الذئاب، أما في هذه الليلة فالصوت الوحيد الذي استطاعوا سماعه كان صوت النيران وهي تشتعل وتلتهم كل ما تجده في طريقها.

بدأ القلق يتسرب الى نفوس هؤلاء الثلة من المجاهدين والذين كانوا جميعاً في ريعان شبابهم. اقتربوا سوياً من أحد البيوت وعزم روستام على طرق الباب ليكتشف أنه لم يكن موصداً. فتح روستام الباب بحذر ونادى على أهل البيت باللغة الشيشانية: السلام عليكم، هل من أحد هنا؟ هل نستطيع الدخول؟

لم يجب أحد على نداء روستام، فشعر برهبة تتسلل الى جوفه وبقطرات من العرق تنساب على جبينه رغماً عنه. فتح روستام الباب على مصراعيه ودخل مع رفاقه بحذر. لقد كان المنظر العام في الصالة يدل على تخريب متعمد فقد كان الأثاث مبعثراً ومقلوباً رأساً على عقب، وكانت النوافذ مهشمة والأبواب الداخلية محطمة. انتقل روستام الى المطبخ بينما توجه رفاقه لتفقد غرف النوم. لم يكن المطبخ بحال أفضل من الصالة فقد طاله التخريب والتحطيم والتهشيم. سمع روستام رفاقه وقد تعالت أصواتهم بالحوقلة والاسترجاع، فتوجه سريعاً ناحية الصوت

Twitter: @alqareah

ليجدهم وقد تجمعوا في غرفة واحدة وقد تسمرت أجسامهم وتركزت نظراتهم نحو شيء ما في الغرفة. أحس روستام بمغص في معدته عندما اقتحم الحلقة التي كونها رفاقه وكانت تخفي وراءها مشهداً مرعباً جعله يصرخ بكل ما أوتي من قوة، وبشكل لا إرادي.

جلس روستام في سريره فزعاً، فقد أفاق مجدداً كما في كل ليلة بعد أن رأى نفس الكابوس المزعج الذي يلاحقه من سنوات عديدة مذ أن كان شاهداً بأم عينيه على الفظائع التي ارتكبها الجيش الروسي عندما اقتحم قريته.

لقد كانت يداه لا تزال ترتجف من هول المشهد وكأنه يراه للمرة الأولى. أما جسده الضخم فكان يتصبب عرقاً وكأن حمى قاتلة قد أصابته.

نهض روستام من سريره وتوجه الى الحمام ليقف تحت سيل الماء الساخن ليذهب عن جسده آثار ذلك الكابوس المزعج. لقد حاول كثيراً أن يتخلص من هذا الحلم المرعب فلجأ الى العديد من الأطباء النفسيين وعلماء الدين، وكان ينجح بفضلهم في التخلص من هذا الكابوس لفترة محدودة، ثم يعود ليلاحقه من جديد.

لقد كانت الساعة تقترب من الثالثة بعد منتصف الليل عندما رجع روستام الى سريره وأخذ يقرأ المعوذات وأذكار النوم على أمل أن لا يعاوده ذلك الكابوس مجدداً في ما تبقى من الليل.

حاول روستام أن يفكر بزوجته رئيسة وطفليه أصلان وعبد الرحمن لعلهم ينجحون في إنقاذه من براثن ذلك الكابوس الرهيب.

ضحك روستام عندما تذكر قيامه بخطف رئيسة من أمام منزلها والهرب بها بسيارته قبل أن يخطبها من أهلها. لقد كان يخشى حينها أن لا يوافق أهلها على تزويجها منه فهو لم يكن ذا حسب أو نسب ولم

Twitter: @alqareah

يكن غنياً في ذلك الوقت، لهذا لجأ الى تقليد عرف به الشيشانيون، فقد كانت عاداتهم تقضي بأنه إن نجح شاب بخطف فتاة نهاراً جهاراً من أمام منزلها ولم يفلح أهلها بمنعه، فإنهم يكونون مرغمين على تزوجيها منه، لأنهم يعتبرون أن هذا الفعل ينم عن شجاعة كبيرة ويثبت أن الشاب أهل بأن يتزوج ابنتهم، أما الفتاة فتفتخر بذلك لأنه دليل على أنها مرغوبة.

وهكذا نجح روستام بخطف فتاته عنوة والهرب بها، لكنه في نفس الوقت حرص أن لا يمسها، وإنما سارع بطلب يدها من أهلها.

تنص العادات على ضرورة أخذ رأي الفتاة المخطوفة بالزواج من خاطفها، فإن وافقت يقوم الخاطف بدفع صداقها لأهلها ويتم الزواج، أما إن رفضت فإن الخاطف يكون مرغماً على دفع فدية كبيرة.

من حسن الحظ فقد وافقت رئيسة على الارتباط بروستام، وأقيم لهما حفل كبير حضره الأقارب والمعارف والأصدقاء، ورددت فيه الأغاني الشيشانية وقام فيه أصدقاء العريس بأداء الرقصات القوقازية الفولكلورية، وتولى أحد أقارب روستام مهمة تلقي هدايا المهنئين والضيوف وتسجيل أسمائهم ليتم إهداءهم بالمثل في مناسبات زواجهم. أما رئيسة فقد كانت ملزمة وفقاً للتقاليد أثناء الزفاف بعدم التحدث الى أي من أقارب زوجها بما فيهم أبوه الى أن يقدم لها هدية قيمة، فانتظرت الى أن قام والد روستام بإهدائها شاة سمينة، وعندها فقط فُكَّ لسانها وقدمت له ولأقارب زوجها المشروبات والحلويات.

ارتدت رئيسة ثوب الزفاف وسارت بعد انتهاء العرس في موكب مهيب مكون من عشرات السيارات وتوجهت نحو منزل زوجها، وكان عليها في الطريق أن تتوقف أمام أحد آبار المياه فتملأ منه جرة تحملها، كناية عن قدرتها على القيام بمهامها كزوجة، فالرجل الشيشاني معروف بتفضيله للمرأة التي تجيد الأعمال المنزلية.

Twitter: @alqareah

وفقاً للتقاليد والعادات الشيشانية فإن أهل الزوجة لا يقتربون من بيت الزوج ولا يقومون بزيارة ابنتهم إلا بعد أن يقوم العريس بزيارتهم هو أولاً وزوجته بصحبته، وحينها يقيمون له احتفالاً صغيراً ويقدمون له خاتماً هدية، وبذلك تبدأ العلاقات بالتوطد.

تذكر روستام طقوس الزواج لديهم عندما اضطر للخروج من منزله عندما دخلت العروس وغاب ثلاثة أيام عند أحد أصدقائه في قرية مجاورة، وهكذا مكثت العروس في بيته تلك الفترة بين أهله الذين احتفلوا بها واستقبلوها خير استقبال.

بعد انقضاء الأيام الثلاثة عاد روستام الى بيته ودخل بزوجته وكان عليه أن يتجنب رؤية والديه وأقاربه لبضعة أيام بعد الدخول لزوال الحرج وفقاً للعادات.

نجحت تلك الذكريات السعيدة في تغيير مزاج روستام وتهدئة نفسه، وخاصة عندما تذكر ولديه الصغيرين وكان أحدهما وهو أصلان قد بلغ الرابعة من عمره، أما عبد الرحمن فسيبلغ الثالثة بعد أيام قليلة.

لقد كان روستام حريصاً على تعليم ولديه ومنذ الصغر حفظ بعض سور القرآن القصيرة، وكانا يتسابقان للوقوف بجانبه أثناء أدائه للصلاة، وكثيراً ما كانا ينجحان في حمله على الضحك أثناء الصلاة بحركاتهما اللطيفة، وخاصة عندما كان يسجد، إذ كانا يتعمدان مد رأسيهما تحت إبطيه واستراق النظر بحثاً عن عينيه وينفجران ضحكاً عندما لا يتمالك نفسه ويبتسم لهما، ويضطر في نهاية الأمر لإعادة الصلاة بعيداً عنهما.

لقد أصبح الآن مستعداً لاستقدام زوجته وولديه من الشيشان ليقيما معه في دبي، فقد أثث شقته وأحسن إعدادها وتجهيزها، وأصبح لديه الآن عمل مستقر يدر عليه الكثير من المال.

أنا متأكد أن هذه الكوابيس ستخف بشكل ملحوظ وربما تتوقف

Twitter: @alqareah

نهائياً عندما تصل زوجتى وولداي فيملئان علي المنزل، ولا يعد هناك أي متسع لأي أفكار أو ذكريات أليمة خاطب روستام نفسه مطمئناً.

في قرارة نفسه لم يكن روستام يكره الشعب الروسي أو يتمنى له الشر، ولكنه كان يبغض الحكومة الروسية وجيشها وعملاءها من الشيشان الخونة الذين باعوا دينهم وأرضهم وشرفهم مقابل حفنة من المال.

لقد كان موقناً أن مطالبة الشيشان بالاستقلال عن روسيا، هو مطلب شرعي، فالروس والشيشان شعبان مختلفان في كل شيء، في العرق والدين واللغة والعادات والتقاليد وحتى الشكل وليس هناك ما يجمعهما بتاتاً، فلماذا لا يحق للشيشان الانفصال بينما يسمح للأوكران أو البلاروس بأن يكون لديهم دولتهم الخاصة مع أنهم يشتركون مع الروس في العرق والدين وأصول اللغة والعادات والتقاليد.

لم يكن روستام يحب السياسة أو يهتم بها، لكنه كان كغيره من الشيشان يكره الظلم، وكان وثقاً أنه سيأتي يوم تعود فيها الحقوق الى أصحابها وينعم الشعب الشيشاني بالحرية كغيره من الشعوب.

بدأت هذه الأفكار تجره مجدداً نحو مشهد المجزرة. تمنى لو كان بالإمكان أن يمحو ذلك المشهد من ذاكرته نهائياً، لكن شيء ما في قرارة نفسه كان يدفعه نحو الاحتفاظ بتفاصيل أحداث تلك الليلة المشئومة.

إن الرغبة في الانتقام كانت تطفو أحياناً على السطح فيجهد روستام في مكافحتها وقمعها وسجنها بعيداً في أعماق نفسه.

هل ستسيطر عليه تلك الرغبة في يوم من الأيام، أم سينجح في كبتها الى الأبد؟ لم يكن لدى روستام إجابة عن ذلك السؤال، ولكنه تمنى مهما كانت إجابته أن لا يكون لها أي أثر سيء على عائلته، والتي كانت كل ما يملك.

Twitter: @alqareah

الفصل السادس

إعلان عن مسابقة

اعتاد سالم على أن يكون سباقاً في زيارة الأماكن الغريبة وغير التقليدية وأن يقوم بالمهام الخطرة التي لا تخطر على بال، وكان كثيراً ما يفلح في مفاجأة زوجته وأصدقائه عندما يدعوهم لتناول طعام العشاء في أماكن لم يسبق لهم زيارتها أو السماع بها أو القيام برحلة ما تكون مليئة بالمغامرة.

في الأسبوع الماضي على سبيل المثال دعا سالم زوجته وأصدقائه لتناول طعام العشاء في مطعم تنخفض درجة الحرارة فيه عن الصفر، واستمتع كثيراً بالدهشة التي بدت على وجوههم عندما دخلوا المطعم واكتشفوا أن جميع ديكوراته وأثاثه بما فيه الطاولات والكراسي قد صنعت من الثلج.

أما في الأسبوع الذي سبقه فقد أصر عليهم بقضاء الليل في أحد الصحاري المحاطة بالجبال في منطقة دبا، ووعدهم بقضاء ليلة ممتعة يشوون فيها اللحم على الفحم، لكنه لم يخبرهم أن المنطقة التي اختارها دون غيرها تكثر فيها الثعالب، وكما خطط تماماً فقد فوجئوا بعد أن خيم الظلام بعيون لامعة تراقبهم من بعيد، وبطبيعة الحال وكما توقع سالم فقد ارتعدت أوصال نتاشا، ولزمه الكثير من الوقت لتهدئتها وإقناعها أنهم في أمان، ولكنها مع ذلك لم تتمكن من الخلود الى النوم في

Twitter: @alqareah

تلك الليلة من شدة الخوف. أما سالم فكان يستمتع بمنظرها ويضحك خلسة بملء فيه.

بالرغم من مفاجئات سالم غير السارة في كثير من الأحيان إلا أن أصدقاءه كانوا ينتظرون نهاية الأسبوع بفارغ الصبر ليسلموا أمرهم إليه، ليذهب بهم الى مكان جديد غير تقليدي أو مألوف.

اتصل سالم صباح هذا الخميس بأصدقائه وأخبرهم بأن ينتظروه في تمام الساعة التاسعة مساءً بالقرب من أبراج الإمارات، وهو موقع شهير ومعروف يطل على شارع الشيخ زايد في دبي. طلب منهم أن يلبسوا ملابس ثقيلة نوعاً ما.

أحس أصدقاءه بالراحة هذه المرة لأن المكان الذي اختاره فيما يبدو لم يكن يحمل في طياته أياً من أفكاره الجنونية، وبالتالي لم يكن هناك داع للقلق من أحداث هذه الليلة.

لم يخبر سالم زوجته بالمكان الذي سيتناولون فيه طعام العشاء في تلك الليلة واكتفى بأن أخبرها بأنه يقع في مكان شهير ومعروف، وطلب منها أن تلبس ملابس دافئة وطويلة تصل الى كاحليها ولكنه لم يخبرها بالسبب.

عندما وصل سالم ونتاشا الى المكان المتفق عليه وجدا كلاً من عادل وروستام وجواد بانتظارهما حيث كانوا يقفون في ردهة فندق أبراج الإمارات. تبادل سالم مع أصدقائه التحية ثم طلب منهم التوجه الى خارج البرج. نظر بعضهم الى بعض بحيرة، وبادر عادل بالسؤال: ألن نتناول العشاء في أحد المطاعم في هذا البرج؟

حاول سالم إخفاء ابتسامته وأجاب: سنتناول الطعام في مكان قريب من البرج. فلنذهب سوياً مشياً على الأقدام فالمكان لا يبعد إلا بضعة أمتار عن البرج.

Twitter: @alqareah

مشى سالم باتجاه الأبواب الزجاجية للمبنى عندما سأله عادل مجدداً: ولكني أعرف هذه المنطقة جيداً ولا يوجد أي مطاعم حول أبراج الإمارات، أما الأبراج الأخرى فهي بعيدة نسبياً وكان يفضل أن نركن سياراتنا في البرج الذي يقع فيه المطعم، إلا إن كنت تنوي أن نفترش الأرض بالقرب من الفندق لتناول الطعام ونكون عرضة بذلك للاعتقال.

يا لها من فكرة رائعة قد ألجأ إليها في يوم آخر، أما هذه الليلة فلا داعي للقلق فنحن لن نبتعد عن أبراج الإمارات، وسنبقى في محيطه وسنتناول العشاء في مطعم راق.

ظهرت الحيرة على وجه عادل وتبادل النظرات مع جواد وروستام والذيْن اعتادا تسليم أمرهما لسالم بدون الإكثار من الأسئلة. أما نتاشا فقد اكتفت بأن بلعت ريقها.

خرج الجميع من المبنى خلف سالم، والذي توجه نحو الحديقة المحيطة بالبرج وهناك توقف فجأة أمام رجل يلبس ملابس الندلاء بدا وكأنه يقف في العراء بدون مغزى وأمامه مجسم خشبي مرتفع يصل الى صدره وعليه بعض الأوراق التي بدت وكأنها قوائم للطعام.

حيا سالم النادل وأخبره أن لديه حجز لخمسة أشخاص باسم السيد سالم. ابتسم النادل لهم، بينما علت الحيرة وجوه زوجة سالم وأصدقائه.

ضغط النادل على زر كبير أحمر اللون كان في أعلى المجسم الخشبي، وعلى إثره فوجئ الجمع بصوت ميكانيكي شبيه بالصوت الذي يسمعونه كثيراً بالقرب من البنايات والأبراج قيد الإنشاء ولا يعرفون مصدره تحديداً.

ازداد الصوت حدة وخلال ثوان معدودة حطت مقصورة كبيرة الحجم بالقرب من المكان الذي يقفون فيه. نظر الجميع باتجاهها

Twitter: @alqareah

واكتشفوا أنها مقصورة حديدية متصلة برافعة ضخمة، تشبه تلك الرافعات المستخدمة في رفع مواد البناء عالياً الى الطوابق العليا من المباني قيد الإنشاء.

تحرك النادل باتجاه المقصورة وقام بفتح الباب ثم أشار للجمع مرحباً للدخول الى المقصورة.

ابتسم سالم ابتسامة صفراء وهو يراقب زوجته وأصدقاءه وقد عقدت المفاجأة ألسنتهم. لم يفهم أياً منهم ما الذي يجري ولماذا عليهم أن يركبوا تلك المقصورة.

لقد وعدتنا أن نتناول الطعام في مطعم راق، والآن أراك تدعونا للدخول في مقصورة غريبة. يبدو أنك فقدت عقلك تماماً هذه المرة وتريد منا أن نتناول الطعام في هذه المقصورة المخيفة قال عادل معترضاً ورافضاً الولوج الى داخل المقصورة.

لم يستطع سالم أن يمنع نفسه من الضحك: أنا عند وعدي يا عادل. سنتناول الطعام في واحد من أرقى المطاعم، بل ستستمتع بوجبة من الطعام البحري ستعد أمامك وستلتهم أصابعك وراءها كما تقولون في مصر. كل ما عليك فعله هو أن تقوي قلبك وتسلم نفسك لي وتدخل الى هذه المقصورة.

وجد عادل أن الجميع قد استجابوا لسالم ودخلوا المقصورة دون أن ينبتوا ببنت شفة، وكأنهم واقعون تحت تأثير تنويم مغناطيسي. استسلم عادل في نهاية الأمر ودخل المقصورة خلف الجميع.

قام النادل بإغلاق المقصورة من الخارج ثم ضغط على نفس الزر الأحمر. عندها شعر سالم وأصدقائه برجة خفيفة، ثم بدأت المقصورة بالارتفاع ببطء عن الأرض. أشار سالم لمن معه بضرورة الإمساك بالقضبان الحديدية البارزة والتي تحيط بجدران المقصورة.

Twitter: @alqareah

أحس الجميع بأن المقصورة كانت تترنح قليلاً أثناء صعودها، مما دفع نتاشا لا إرادياً للتمسك بذراع سالم بكلتي يديها، وسمعها وهي تقول له بالروسية وبصوت منخفض دون أن تنظر الى وجهه: لن أسامحك على الرعب الذي تسببه لي.

رفع سالم وجه زوجته بكفه وتأمله وهو غير قادر على محو الابتسامة عن محياه، ثم همس لها: لا تقلقي يا عزيزتي، أنت في أيدٍ أمينة.

نظر سالم ومن معه عبر النوافذ الزجاجية للمقصورة نحو فندق أبراج الإمارات والذي كانوا يرتفعون حذوه ولا يبعدون عن نوافذه الخارجية إلا بضعة أمتار فقط.

تتكون أبراج الإمارات من برجين يرتفع أحدهما 305 أمتار عن سطح الأرض وهو عبارة عن فندق مكون من 400 غرفة، بينما يصل ارتفاع البرج الآخر الى 350 متراً وهو مخصص للمكاتب.

بعد دقائق قليلة توقفت المقصورة عن الارتفاع بعد أن وصلت الى حذو الطابق الأخير من البرج المقابل، وبعد ثواني معدودة فُتحت المقصورة وراقب ركابها اقتراب ذراع معدني كبير بعرض المقصورة يحمل فوقه طاولة طعام مثبتة على سطحه ومحاطة بعدد من الكراسي، ويقف بجانبها نادل مرتدياً بزة خاصة يتدلى منها عدد من الأربطة التي تتصل بالذراع الحديدية.

لاحظت نتاشا عدم وجود أي جدران تحيط بالطاولة، فشعرت بهبوط مفاجئ، سرت في جسدها على إثره قشعريرة عندما تخيلت نفسها جالسة الى هذه الطاولة المعلقة في الهواء.

دخلت الذراع الحديدية تدريجياً مع الطاولة الى داخل المقصورة، واقترب النادل المسلسل بالأربطة من الجمع داخل المقصورة وابتسم في وجوههم ودعاهم للجلوس الى الطاولة.

Twitter: @alqareah

كانت المفاجأة لا تزال مسيطرة على أصدقاء سالم، والذين لم يجرؤ أحدهم على التعليق واستجابوا لا إرادياً لتعليمات النادل والذي قام بربط الأحزمة حول خصورهم عندما جلسوا على الكراسي المحيطة بالطاولة.

ما أن تأكد النادل من جلوس الجميع بشكل مناسب حول المائدة حتى أشار بيده لرفاقه والذين كانوا ينتظرونه بالقرب من حافة الطابق الأخير في الفندق.

بدأت الذراع بالحركة والخروج تدريجياً من المقصورة وما هي إلا لحظات وأصبح سالم ومن معه معلقين في الهواء بالقرب من قمة البرج.

شعر الجميع بشدة الهواء الذي كان يعصف بهم من كل اتجاه، وحمدوا الله أنهم أخذوا بنصيحة سالم الذي أكد عليهم بضرورة لبس ملابس دافئة.

اقترب النادل من الطاولة وقام بصب الماء في كئوس زجاجية مثبت في قاعها لوح مغناطيسي جعلها تستقر مع غيرها من الأطباق بشكل محكم فوق الطاولة ذات السطح الحديدي المختفي تحت قماش ناصع البياض.

توزعت الأطباق والملاعق والسكاكين والشوك بشكل منظم أمام الجالسين كما جرت العادة في أي مطعم راق ووفقاً لما يقتضيه بروتوكل الإتيكيت.

قام النادل بتوزيع قوائم الطعام على الجالسين، ثم ابتعد ليفسح لهم المجال ليختاروا ما يناسبهم من أطعمة.

استغرب سالم من السكون الذي خيم على زوجته وأصدقائه، فنظر في وجوههم بتمعن فوجدها وقد سحب اللون منها فبدت شاحبة وشبيهة بوجوه الموتى.

Twitter: @alqareah

انفجر سالم ضاحكاً من مظهر أصدقائه الذين كانوا لا يزالون تحت تأثير الصدمة، فلم يخطر ببال أحدهم أن يتناول طعامه وهو معلق في الهواء على ارتفاع ثلاث مئة متر عن سطح الأرض.

كان عادل كالعادة أول المتحدثين ولكنه هذه المرة نسي أنه يفترض به التحدث بالإنجليزية ليفهم الجميع ما يقوله، وبدلاً من ذلك تحدث باللهجة المصرية الإسكندرانية موجهاً بعض الشتائم لسالم قبل أن يعترف له أن الفكرة بالفعل مبتكرة وأنه بالرغم مما يشعر به من غضب إلا أنه سعيد بهذه التجربة.

أما روستام فبدا مسروراً جداً وناول هاتفه المحمول لجواد ليلتقط له بعض الصور.

في البداية كان جواد يشعر ببعض التوتر ولكنه في نهاية الأمر بدأ بالابتسام وأقر لسالم أنها تجربة لا تنسى بحق.

استغرقت نتاشا بعض الوقت قبل أن تتمكن من تمالك نفسها، وكانت على وشك الصراخ عدة مرات لولا خشيتها من أن تصبح أضحوكة أمام أصدقاء زوجها. في قرارة نفسها كانت حانقة جداً على سالم، ولكنها كانت متأكدة أنها بمجرد عودتها الى البيت واستلقائها على السرير لن تسبب لها ذكرى هذه التجربة إلا الضحك. عزمت مع ذلك على أن لا تذهب مع سالم الى أي مكان مجدداً قبل أن تعرف بالتفصيل مكان اللقاء وظروفه.

بعد أن هدأ الجميع واستوعبوا المفاجأة، اقترح سالم عليهم أن يدعوا له أمر اختيار الطعام ووعدهم أن يحوز الصنف الذي سيختاره لهم على إعجابهم. لم يرفض أحد منهم عرضه، ربما لأنهم وجدوا أنفسهم في موقع لا يحتمل الكثير من الجدال.

أشار سالم للنادل بالاقتراب، فلما فعل وهو يسير مجرجراً

Twitter: @alqareah

بالسلاسل كمتهم أو مجرم عتي الإجرام، طلب منه تشكيلة من الأطعمة البحرية المشوية على الفحم.

نظرت نتاشا الى سالم باستغراب، وقبل أن تفصح عن سبب استغرابها، هب عادل معترضاً بلغة انجليزية مشوبة بلكنة مصرية واضحة: لا داعي للاستغراب، فما دمتِ قد تقبلت فكرة تناول الطعام بين السماء والأرض، فإن أي تفاصيل أخرى لها علاقة بالطعام لن تكون غريبة أو مستهجنة.

ضحكت نتاشا وقالت موجهة كلامها الى عادل: صدقت، لكني فقط لم أستوعب فكرة الشي على الفحم لأنه سيبرد بعد أن يشووه في الأسفل ثم يرفعوه الى هنا.

قاطعها سالم قائلاً: من الواضح أنك لم تستوعبي فكرة هذا المطعم بعد. إنه مطعم متكامل معلق في الهواء مما يعني أن إعداد الطعام يتم هنا أيضاً كما سترين بعد لحظات، وأشار الى شخص يقترب منهم وهو يحمل منقلاً كهربائياً مخصصاً للشي قام بتثبيته بشكل محكم بالقرب من طاولتهم، ثم قفل عائداً الى حافة المبنى ليخرج من هناك شخصان آخران بدا جلياً من زي أحدهما وقبعته المرتفعة وبطنه المنفوخ ووجهه البشوش أنه الشيف المسئول عن إعداد الطعام، أما الآخر فاستنتجت نتاشا أنه مساعد الشيف لأنه كان يحمل صينية كبيرة عليها أصناف مختلفة من الطعام النيء.

حيا الشيف بشوش الوجه الحضور بلغة انجليزية سليمة وبلكنة مميزة خمن سالم أنها ربما تكون لكنة أيرلندية لأنها كانت شبيهة باللكنة التي يتحدث بها الأيرلنديون في بعض أفلام هوليود.

بدأ الشيف سريعاً بتحضير الطعام بشكل احترافي وبمساعدة من الفتى الذي كان يتبعه وبدا في أوائل العشرين من عمره.

Twitter: @alqareah

كان واضحاً أن هذا المطعم الراقي لا يحتوي في جزئه المعلق إلا على طاولة واحدة فقط أما باقي الطاولات فكانت في الجزء المغطى من المطعم في الطابق الأخير لمبنى الفندق.

تساءلت نتاشا في نفسها عن سبب استخدام المقصورة ورفعها الى هذا المكان بهذه الطريقة الدراماتيكية، ألم يكن من الممكن أن يصعدوا بالمصعد من داخل المبنى ثم يخرجوا من الطابق الأخير كما فعل الشيف وصاحبه؟

ربما كان مقصوداً إضفاء المزيد من الإثارة على التجربة فكرت نتاشا.

كان تركيز سالم وأصحابه منصباً على الحركات الرشيقة للشيف أثناء تقطيعه لسمكة الهامور ثم انهماكه في شيها مع الخضراوات ومن ثم إضافة الروبيان (الجمبري) والمحار وقطع من الحبار. كان الهواء يعصف بشدة بالشيف ومساعده، مما دفع سالم للتساؤل في نفسه عن طريقة تثبيت الشيف لقبعته ومنعها من الطيران بعيداً.

بعد دقائق قليلة فاحت الرائحة الزكية للبهارات عندما بدأ الطعام بالنضوج، وعندها اقترب النادل وأخذ الصحون التي امتلأت بأصناف مختلفة من الأطعمة البحرية المشوية والتي قام الشيف بتزيينها بشكل أسال لعاب الحاضرين. قام النادل بتوزيع الصحون على الجالسين حول المائدة، ثم انصرف مع الشيف ومساعده بعد أن تمنوا للحاضرين الاستمتاع بوجبة شهية.

كان سالم يختلس النظر الى وجوه أصدقائه وزوجته أثناء تناولهم للطعام وابتسم عندما تبين له أن وجوه الجميع كانت تفشي بأنهم كانوا يتلذذون بما يأكلونه. تساءل سالم في نفسه إن كان سبب استمتاع صحبه بالطعام يعود الى إتقان إعداده أم للظروف التي أحاطت بهم حيث اجتمع

Twitter: @alqareah

الجوع والبرد والخوف.

ما رأيكم هل أعجبكم الطعام؟ ابتسم سالم وهو يوزع نظراته على الحاضرين.

الطعام شهي، شكراً لك علق روستام بينما كان يلعق إصبعه الوسطى وسبابته وإبهامه الذين شاركوه الأكل.

شكراً لك لدعوتنا أضاف جواد وكان قد انتهى لتوه من بلع آخر قطعة سمك أمامه ومد يده وتناول خلاّلة أسنان خشبية وأخذ يزيل ما علق بين أسنانه من بقايا طعام.

الطعام طيب فعلاً، ولكن لا تتوقع منا العودة الى هذا المطعم مجدداً ضحك عادل على تعليقه الخاص ونظر في وجوه من حوله باحثاً عن مؤيدين لكلامه، فوجد أن الجميع قد أومأ برأسه موافقاً قبل أن ينفجروا بالضحك بما فيهم سالم.

لم تعلق نتاشا واكتفت بمشاركة الباقيين الضحك على الظرف الذي وضعهم زوجها فيه.

أشار سالم بيده الى النادل والذي كان يقف بعيداً وهو يرتجف من البرد في انتظار أن يفرغ الضيوف من تناول الطعام. اقترب النادل منهم ثم أخذ في رفع الصحون عن المائدة ووضعها على طاولة كان يجرها أمامه. طلب سالم منه إحضار الشاي الأخضر الساخن له ولمن معه. هذه المرة لم يستشر سالم أصحابه لأنهم اعتادوا على هذا الطلب بعد الفراغ من تناول الطعام كلما خرجوا سوياً.

أثناء شرب الشاي كان عادل يحاول اقتناص فرصة مناسبة ليحدث أصدقاءه بخصوص موضوع ترك شركته الحالية ورغبته في بدء عمل مستقل وحاجته للتمويل لتحقيق ذلك. انتظر الى أن فرغ الجميع من تبادل آخر الأخبار حول عملهم وحياتهم وما سمعوه أو شاهدوه في

Twitter: @alqareah

الأيام المنصرمة، وبدأ بالحديث بشيء من الإرهاب حول المشكلة التي طرأت بينه وبين زوجته وكانت سبباً في سفرها الى مصر. استولى عادل على تركيز الجميع وانتباههم، فقد كانت هذه المرة الأولى التي يتحدث فيها عادل عن أمر خاص يتعلق بحياته الشخصية.

شرح عادل لأصدقائه حيثيات الخلاف وأسبابه وحجة كل طرف، وتعمد عدم إخبارهم بالقرار الذي توصل إليه قبل أن يسمع آراءهم.

اسمح لي أن أقول لك أني أميل لرأي زوجتك في الخلاف الذي نشب بينكما، فمن حقها وحق أولادها أن تحصل في عملك على راتب يتماشى مع خبرتك، وإلا كان ذلك استغلالاً واضحاً من أرباب عملك لك وظلماً لا يرضاه أحد، لأنه من الجور أن تأخذ ربع ما يتقاضاه في شركات أخرى من هم في مثل تخصصك ولا يتمتعون بنصف خبرتك قال سالم معبراً عن رأيه وعن رأي الآخرين والذين كانوا يهزون رؤوسهم كناية على اتفاقهم معه.

في الحقيقة، فقد خطرت ببالي فكرة أود استشارتكم بها نظر عادل في وجوه أصدقائه الذين أومئوا له ليكمل حديثه. بعد تفكير عميق وصلت الى نتيجة مفادها أن الحل الأمثل لمشكلتي يتمثل في قيامي بإنشاء شركة خاصة بي، أديرها بما تجمع لدي من خبرة على مدار عشرين سنة في مجال تصميم اليخوت وصناعتها وصيانتها، بحيث تكون البداية بشركة صغيرة تختص بتصميم اليخوت وصيانتها، ومع الأيام عندما تكبر الشركة ويصبح لديها دخل جيد نستطيع التوجه للعمل في مجال صناعة اليخوت والسفن .

فكرة رائعة، أنا من المؤيدين للعمل الخاص، وما دام لديك الخبرة الكافية، فمن الظلم أن تعمل لدى الآخرين وأنت قادر على العمل بنفسك ولنفسك علق روستام بحماس واضح.

Twitter: @alqareah

لاحظ عادل أن سالم كان مستغرقاً في التفكير وكأنه يقوم بإجراء عمليات حسابية في عقله.

كم قدرت رأس مال الشركة في مرحلتها الأولى؟ سأل سالم باهتمام.

بحدود 200 ألف دولار أمريكي أجاب عادل وكان بانتظار هذا السؤال وما سيعقبه من تفاصيل.

أظنك لا تملك هذا المبلغ ولا عُشره، أليس كذلك؟ سأل سالم وقد وضع يده على الجرح وفهم ضمنياً سبب طرح عادل للموضوع، ونظر خلسة الى روستام وتبادل معه النظرات.

كما تعلمون فقد كنت أبعث ما يتوفر لدي من مال في السنوات السابقة الى مصر لشراء شقة هناك، لهذا فحالياً لا يتوفر لدي إلا جزء بسيط من هذا المبلغ، وقد أثرت هذا الموضوع أمامكم كي تفكروا معي في إيجاد حل مناسب.

هل فكرت بالاقتراض من البنك؟ سأل سالم بدون أن ينظر مباشرة في عيني عادل.

شروط البنوك صعبة وخاصة أنني لم يسبق لي القيام بأي مشروع تجاري من قبل لهذا ففرصة أن يوافقوا على تمويلي ضئيلة، وإن فعلوا فإنهم يطلبون فائدة ربوية مرتفعة، مع العلم أني أرفض فكرة القروض الربوية، والبنوك الإسلامية كما تعرف لا يمنحون قروضاً حسنة، ولن يخاطروا بالدخول معي في شراكة وأنا لا أملك خبرة مسبقة في إدارة الأعمال.

هل فكرت بالبحث عن ممول؟ سأل روستام وبدا وكأنه يزن الأمر في عقله.

فكرت في ذلك، ولكني ترددت لأن أصحاب الأموال عادة لا

Twitter: @alqareah

يميلون لاستثمار أموالهم مع أشخاص غرباء وخاصة عندما يكون مجال العمل الذي سيتم الاستثمار به غير مألوف لديهم. أجاب عادل آملاً أن يبادر روستام بنفسه باقتراح أن يدخل شريكاً معه.

قال روستام: لا أخفيك يا عادل ففكرة مشروعك مغرية شعر عادل بالغبطة لأن الحديث كان يسير وفقاً لما خطط وتمنى، وذلك قبل أن يتابع روستام حديثه بنبرة آسفة: وكان سيسعدني أن أمول شركتك ولكني دخلت منذ أيام قليلة في شراكة مع أحد تجار السيارات، لاستيراد السيارات المستعملة من كندا والولايات المتحدة وبيعها هنا في الإمارات، أو إعادة تصديرها الى بلدان أخرى، وما تبقى معي من سيولة لا يكفي للدخول في مشروع جديد.

شعر عادل بإحباط شديد، فقد أحس أن مشروعه قد انهار قبل أن يبدأ، فقد كان معلقاً الكثير من الآمال على دخول روستام شريكاً معه.

مرت فترة من الصمت قبل أن يقرر جواد المشاركة في الحديث: في الحقيقة ليس لدي أي خبرة في إدارة الأعمال، وليس لدي بالتأكيد المال الكافي للدخول في أي مشروع، ولكني ربما يكون لدي اقتراح يساعدك على جمع المبلغ المطلوب بل وأضعافه توقف جواد للحظة ليرى وقع كلامه على أصحابه، فوجدهم وقد أرخوا أسماعهم له.

قال عادل مستحثاً جواد على المتابعة: ما هو اقتراحك؟ عجّل به حماك الله بالرغم من حماسة عادل الظاهرة إلا أنه في قرارة نفسه لم يكن معولاً كثيراً على أي اقتراح يأتي من جواد فقد كانت نظرته إليه دوماً على أنه فتى مغمور، مع أن كان يعرف أن عمره قد تجاوز الخامسة والعشرين.

في البداية لدي بعض الأسئلة إن سمحت لي، وذلك كي أتأكد أن اقتراحي سيكون مفيداً لك.

Twitter: @alqareah

تفضل. اسأل ما شئت.

هل لديك خبرة في اكتشاف أعماق البحار، والتعامل مع الأجهزة التي تساعد على ذلك؟

نعم بالتأكيد وقد شاركت في حملات مصرية مختلفة لاكتشاف أعماق البحر الأبيض المتوسط بحثاً عن آثار مكتبة الإسكندرية وكذلك شاركت مع حملة فرنسية للبحث عن الآثار الخاصة بالملكة كليوباترا لكشف الغموض الذي يلف موتها، وكان لي دور فعال في المشاركة مع حملة أردنية بتمويل أمريكي لدراسة منطقة البحر الميت. أجاب عادل بشيء من الفخر.

تهللت أسارير جواد: ممتاز جداً، ثم أضاف بنبرة مترددة: وأتوقع أن لديك خبرة كافية في قيادة اليخوت، ولكن هل سبق لك أن تدربت على قيادة الغواصات المستخدمة في اكتشاف أعماق البحار والمحيطات؟

نعم لقد سبق لي أن تدربت على قيادة بعض هذه الغواصات، وقدت إحداها بالفعل بنفسي في واحدة من الحملات التي شاركت بها، وكانت غواصة من نوع Alvin أمريكية الصنع وهي تتسع لثلاثة أشخاص فقط. لم يعرف عادل أو أي من الحاضرين الهدف من هذه الأسئلة.

رائع. في هذه الحالة أتوقع أن اقتراحي سيكون مفيداً في حل مشكلتك.

أتعبت الرجل يا جواد. أخبرنا ما هو اقتراحك. قال سالم بنبرة عصبية نوعاً ما، وشرب ما تبقى في كوبه من الشاي الذي برد سريعاً دفعة واحدة.

شعر جواد أن عيون الجميع وانتباههم أصبح مركزاً عليه عندما بدأ بشرح فكرته: قبل أيام كنت أتصفح مجلة العلوم الأمريكية Scientific American ولفت انتباهي مقال مثير وهو في نفس الوقت إعلان موجه

Twitter: @alqareah

لمجموعات البحث العلمي المتخصصة في اكتشاف أعماق البحار وانتشال الأنقاض للدخول في مسابقة لاختيار أحدها لتشارك في انتشال قطار مستقر منذ تسعين عاماً في قاع بحيرة بايكال وهي بحيرة كبيرة تقع في روسيا.

ذكر الإعلان أن الفريق الذي سيتم اختياره للإشراف على عملية الانتشال سيحصل في حال نجاحه في إتمام المهمة على مبلغ خمسة ملايين دولار أمريكي.

ورد في الإعلان الكثير من التفاصيل حول غواصة تم تطويرها في جامعة موسكو من المفروض أن تكون مناسبة لهذه المهمة بالذات، ولكنها كما فهمت من المقال لم يتم اختبارها بعد، وقد تم تصميمها بحيث تتمكن من الوصول بسهولة الى قاع البحيرة والذي يصل الى عمق يزيد عن كيلو متر ونصف عن السطح.

في البداية لم أستوعب كيف ستستخدم هذه الغواصة في انتشال ذلك القطار وهي كما فهمت من الشرح صغيرة الحجم وتتسع لأربع أشخاص فقط ومزودة بذراع آلي يستخدم للتنقيب في قاع البحار، فكيف يمكن لغواصة بمثل هذا الحجم الصغير أن تنجح في انتشال عربات قطار كبيرة يصل وزنها الى مئات الأطنان؟ كما أني لم أعرف من المقال السر وراء الاهتمام بانتشال ذلك القطار القديم لاحظ جواد أن الجميع كانوا يصغون إليه باهتمام، وأنه نجح بالفعل في الاستيلاء على انتباههم. لم يتمكن جواد من إخفاء ابتسامته وتابع قائلاً: لهذا توجهت الى محرك جوجل على شبكة الانترنت وقمت بإجراء بحث عن الصفحات التي تحتوي على الكلمات الإنجليزية: train baikal lake.

حصلت على مجموعة من الصفحات تصف بحيرة بايكال بأنها أعمق بحيرة في العالم، وثاني أكبر بحيرة من حيث الحجم بعد بحر

Twitter: @alqareah

قزوين، وورد أن خط السكة الحديد يمر بمحاذاة البحيرة.

لـم أجـد معلومـات مفيـدة حـول القطار الغريـق أو أهميته، وكدت أفقد اهتمامي بالموضوع قبل أن أتنبه الى أن البحيرة تقع في روسيا ومن المفترض أن يكون القطار روسياً هو الآخر، وهكذا خطر ببالي أن أعيد البحث باستخدام نفس الكلمات الدلالية ولكن هذه المرة باللغة الروسية، وبما أني لا أفقه شيئاً باللغة الروسية فقد اخترت من أدوات جوجل أن يتم البحث عن نفس الكلمات ولكن بعد ترجمتها الى اللغة الروسية.

حصلت عندها على مجموعة أكبر من الصفحات وكانت كلها باللغة الروسية، فرجعت الى أدوات جوجل وقمت بترجمتها الى اللغة الانجليزية وتصفحتها واحدة تلو الأخرى، الى أن عثرت على صفحة تتحدث عن تاريخ روسيا وكدت أن أتجاهلها قبل أن أقرر أن أستعين بأدوات جوجل لتعليم كلمات البحث الواردة في الصفحة، وعندها كانت المفاجأة.

تظاهر جواد بحاجته لتناول كوب من الماء ليستمتع بمشهد أصدقائه وهم ينتظرون بفارغ الصبر معرفة المفاجأة التي كان على وشك إخبارهم بها.

لقد تبين أن هذا القطار الغريق يحمل مئات الأطنان من السبائك الذهبية التي كانت تحتفظ بها روسيا القيصرية قبل الثورة البلشفية، وقد فر بها مجموعة من الجنود التشيكوسلوفاك قبل أن يقوم الروس وبتصرف طائش وغبي بتفجير سـكة الحديد لإرغام الجنود التشيكوسـلوفاك على التوقف ومنعهم من تهريب الذهب الروسي الى خارج البلاد.

من سوء حظ الروس فقد أدى انفجار السكة الحديدية الى خروج القطار عن مسـاره ووقوعه في بحيرة بايكال واسـتقراره في القاع هناك مع ما يحمل من مخزون من الذهب والذي تقدر قيمته الآن بمليارات الدولارات.

Twitter: @alqareah

كانت علامات الدهشة والذهول واضحة على وجوه الجميع بينما كان جواد يقص عليهم تفاصيل سرقة الذهب ووقوع القطار واستقراره في قاع البحيرة الأكثر عمقاً في العالم.

بعد أن قرأت هذه المعلومات وتمعنت فيها عرفت الهدف من الحاجة لاستخدام غواصة صغيرة الحجم وبذراع آلي أضاف جواد قبل أن يقاطعه عادل وقد لمعت عيناه ببريق لم يألفه أصدقاؤه من قبل:

لن تستخدم الغواصة لانتشال القطار وإنما ستقوم باقتحام عربات القطار واستخراج صناديق الذهب منها ورفعها الى السطح، وهذا يفسر مكوث القطار كل هذه السنوات، فالتقنيات المتوفرة في انتشال الأنقاض من قاع البحار لن تكون فعالة في حالة القطار بعرباته الثقيلة وحمولته من السبائك الذهبية والمستقر في قاع بحيرة عذبة المياه، أما الغواصات الأصغر حجماً فمعروف عنها أنها غير مناسبة للحركة بانسيابية في الأعماق الكبيرة، وأتوقع أن المقال الذكور في المجلة العلمية والذي أشرت إليه يتحدث عن غواصة جديدة كلياً، ومن الواضح أن العلماء الذين قاموا بتصميمها قد تغلبوا على المشكلات التي ذكرتها واستطاعوا بشكل ما أن يجعلوها قادرة على الحركة بسهولة في قاع البحيرة ولابد أن الذراع الآلي سيكون مناسباً جداً لانتشال الصناديق من حطام القطار.

الآن هم يبحثون ببساطة عن فريق علمي متخصص في اكتشاف أعماق البحار وانتشال الأنقاض ليساعدهم على استخراج الذهب باستخدام هذه الغواصة الحديثة. أنهى عادل كلامه وقد ظهر الحماس جلياً على محياه.

ابتسم جواد ابتسامة كبيرة: أحسنت. لقد توصلتُ الى نفس الاستنتاج ولكني استغرقت بضع ساعات قبل أن تتكون لدي هذه الفكرة التي عبرت لتوك عنها.

Twitter: @alqareah

مـن صاحـب الإعـلان؟ هـل هي الحكومة الروسـية؟ سـأل سـالم باهتمام بالغ.

لم يذكر الإعلان الجهة المنظمة للمسابقة أو المسئولة عن عملية البحـث والتنقيـب، وإنمـا اكتفـى بعنـوان البريد الكتروني التالي لإرسـال طلبات الاشتراك إليه.

أخرج جواد قصاصة ورق من جيبه وكتب عليها بخط كبير وواضح: competition@nanotech.ru وقام بتمريرها بين أصدقائه. كان يسـتطيع بطبيعة الحال أن يكتفي بإخبارهم بعنوان البريد الالكتروني شفهياً، ولكنه وكي يسبغ على حديثه مزيداً من التشويق قرر أن يكتبه ويعرضه عليهم.

تابـع جـواد كلامـه بنبـرة تنـم عـن إعجـاب بالنفـس: بطبيعة الحال فقـد تمكنـت مـن معرفـة جميع التفاصيل الخاصـة بالمعلن، حيث قمت أولاً بالتوجـه الـى عنـوان الموقـع الالكترونـي الـذي خمنـت أن البريـد الالكترونـي الـذي ترونـه أمامكـم لابـد أن يكـون تابعاً لـه، فقمت بزيارة الموقع nanotech.ru. هذه المرة ذكر جواد العنوان شفهياً لأنه كان مكتوباً على الورقة.

وجدت أن محتويات الموقع باللغة الروسية، فقمت بترجمتها الى الانجليزيـة بالاسـتعانة بصديقـي العزيـز جوجـل، وعرفت أن الموقع هو لشركة روسية كبيرة متخصصة في الصناعات والمشاريع التقنية الحديثة تسمى نانوتيك، وهي واحدة من مجموعة شركات كبيرة يديرها الملياردير الروسي الشهير ميخائيل برينسكي.

لـم أجـد فـي الموقـع مـا يشـير مـن قريب أو بعيد الـى الغواصة أو الـى مشـروع انتشـال القطـار، لهـذا رجعـت الى جوجـل وقمت بالبحث عـن الصفحـات التـي تحتـوي على الترجمة الروسـية للكلمات الدلالية: nanotech Prinski train submarine فرجع المحرك بصفحة واحدة فقط

Twitter: @alqareah

تحتوي على هذه الكلمات الدلالية معاً، وكان جلياً من عنوان الصفحة أنها تابعة لمؤسسة حكومية لأنها كانت تنتهي باللاحقة gov.ru. ضغطت على الرابط لأفاجأ أن الصفحة لم تعد موجودة وأنها قد حذفت من الموقع، واستنتجت أن محرك جوجل كان قد عثر على هذه الصفحة سابقاً قبل أن تحذف، ومن الواضح أنها أزيلت من الموقع منذ وقت قريب، لذلك لم يتسنى لجوجل تحديث قاعدة بياناته وإزالة الصفحة منها.

كنت معتاداً على مثل تلك المواقف، ومن حسن الحظ فإن هناك حل سهل للإطلاع على محتويات مثل تلك الصفحات التي يعثر عليها جوجل وتكون قد حذفت في الواقع منذ وقت قريب، حيث يكفي أن نضغط على رابط صغير معنون بكلمة Cached بالقرب من رابط الصفحة المحذوفة ليقوم جوجل بعرض آخر نسخة من الصفحة يحتفظ بها في قاعدة بياناته.

وهكذا تمكنت من استرجاع الصفحة المحذوفة ووجدت فيها معلومات تفصيلية حول صفقة تم إبرامها بين الحكومة الروسية والملياردير الروسي برينسكي، يحصل الأخير بموجبها على تصريح بانتشال محتويات القطار الغريق في بحيرة بايكال، ويتم تقاسم الذهب الذي يتم استخراجه بنسبة واحد الى ثلاثة، أي أن برينسكي سيحصل على ربع حمولة الذهب، بينما تحصل الحكومة الروسية على الباقي.

ذكرت الوثيقة أن برينسكي ممثلاً بشركة نانوتيك يحق له الاستعانة بأي خبرات محلية أو أجنبية للمساعدة في انتشال الذهب، بشرط أن يتحمل هو جميع التكاليف المترتبة على ذلك.

من الواضح أنك بذلت مجهوداً كبيراً في جمع كل تلك المعلومات علقت نتاشا وقد بدا عليها الإعجاب بقدرات جواد التقنية.

ليس كثيراً، لأن عمليات البحث في الانترنت هي من ضمن روتين

Twitter: @alqareah

عملي اليومي قال جواد محاولاً أن لا يبدو مزهواً بنفسه.

ولكني في الحقيقة لم أفهم كيف ستساعد هذه المعلومات عادلاً في مشروعه؟ تساءلت نتاشا وقد ظهرت الحيرة عليها.

أسرع عادل بالإجابة قائلاً: أظنه يريد مني أن أتقدم لهذه المسابقة، على أمل الفوز بمبلغ الخمسة ملايين دولار وهنا قاطعه جواد: في الحقيقة لم أقصد أن تتقدم وحدك للمسابقة، بل قصدت أن نشكل نحن جميعاً فريقاً ونتقدم معاً للمسابقة على أن نتقاسم الجائزة في حال تم اختيارنا ونجحنا في المهمة، وفي هذه الحالة سيحصل كل منا على مبلغ مليون دولار وربما نتفق على أن تحصل أنت على حصة أكبر بما أن الجزء الأكبر من المهمة سيكون واقعاً على عاتقك، وأتوقع أن حصتك بكل الأحوال ستكون كافية لك يا عادل لتأسيس شركة محترمة.

نظر الجميع بذهول الى جواد، فلم يخطر ببال أي منهم فكرة تشكيل فريق من هذا النوع.

ولكن باستثناء عادل فإن أياً منا لا يمتلك خبرة في الغوص واكتشاف البحار، وحتى لو افترضنا أن عادل سيقوم بتدريبنا فمن المستحيل أن يقع اختيار الجهة المنظمة للمسابقة علينا، لأن هناك الكثير من الفرق الخبيرة في هذا المجال في الغرب قال سالم موضحاً استحالة تنفيذ فكرة جواد.

أنا أعرف ذلك، ولكن في البداية دعني أسألك يا عادل ووجه نظره نحوه: إن افترضنا جدلاً أن الاختيار قد وقع علينا بالفعل، فهل تعتقد أنك قادر على تدريبنا بشكل يضمن نجاحنا في تنفيذ المهمة؟

فكر عادل ملياً في سؤال جواد: إن افترضنا أني سأقوم بقيادة الغواصة وأن أحدكم سيتدرب على تحريك الذراع الآلي الملحق بالغواصة لانتشال الصناديق، وأن الباقين سيراقبون بعض المؤشرات على يخت ما فوق سطح الماء ويتواصلون معنا عبر اللاسلكي، وبما أن العملية

Twitter: @alqareah

لا تتطلب أن يقوم أي منا بالغوص بنفسه في الماء، وعلى افتراض أن الجميع يستطيع السباحة نظر عادل في وجوه الحاضرين والذين أومئوا له دلالة على إجادتهم للسباحة. من الممكن أن أقول أن المهمة قد تنجح بالفعل، ولكن هذا لا يعني أنها ستكون خالية من المخاطر وخاصة وأن الإعلان يذكر أن الغواصة لم يتم اختبارها بعد.

سأكون سعيداً جداً إن قمنا سوياً بهذه المغامرة علق روستام قبل أن يضيف: ولكني أتفق مع سالم في كون فرصتنا في أن يقع اختيارهم علينا تبدو ضئيلة للغاية هز الجميع باستثناء جواد رؤوسهم مؤيدين لكلام روستام.

أنا أعرف ذلك، ولكن دعوا مسألة الاختيار الى حينها. فمن يدري فقد تقع معجزة ما تجعلهم يقومون باختيارنا رغماً عنهم ابتسم جواد ونظر الى سالم وغمزه بعينه. في البداية لم يفهم سالم مراد جواد أو قصده، ولكنه بعد أن أعاد في عقله جملة جواد الأخيرة يقومون باختيارنا رغماً عنهم فهم ما كان يقصده جواد وابتسم وقال بشكل مفاجئ أدهش الباقين: أنا مؤيد لفكرة تأسيس فريق، ولن نخسر شيئاً إن تقدمنا للمسابقة. وستكون فرصة لقيامنا سوياً بزيارة روسيا وخاصة أنني لم يسبق لي زيارة ذلك الجزء منها حيث تقع البحيرة. ما رأيك يا عزيزتي؟ ونظر الى زوجته.

أنت تعرف أني أعشق المغامرة وما دمنا سنكون معاً فأنا موافقة. نظرت نتاشا بود الى زوجها.

وأنت يا عادل، هل أنت على استعداد لتدريبنا على مهامنا لمساعدتك في تحقيق الهدف وانتشال الكنز؟ سأل سالم بحماس ظاهر.

بالتأكيد، ولكن جواد لم يخبرنا بآخر موعد لتقديم الطلبات ونظر باتجاه جواد.

وفقاً للإعلان فإن آخر موعد لتقديم الطلبات هو الأول من حزيران

Twitter: @alqareah

يونيو أي بعد خمس وعشرين يوماً من الآن، وبعدها لدينا شهر لتقديم وثائق تثبت أن لدينا خبرة في هذا المجال وستكون تلك مهمتك يا عادل في جمع ما لديك من وثائق تثبت أنك عملت سابقاً في مجال استكشاف البحار.

في الفترة ما بين الأول من تموز يوليو والأول من آب أغسطس ووفقاً للإعلان سيتم إعلام الفرق المشاركة بالموعد الذي سيمح لهم فيه بزيارة موقع البحيرة ومعاينة الغواصة عن قرب، وسيعلن بعد ذلك بقليل عن اسم الفريق الذي تم اختياره. وقد بين الإعلان أن كل فريق من الفرق المشاركة سيحصل على رد مكتوب بنتيجة المسابقة، يُذكر به إن كان ناجحاً أم لا، ولن يعلن على الملأ اسم الفريق الفائز وذلك لأسباب أمنية، مما يعني أن فريقاً واحداً فقط سيحصل على رد إيجابي وسيعرف أن الاختيار وقع عليه.

تبدأ مهمة انتشال محتويات القطار بعد تلقي الفريق الفائز لبعض التدريبات على قيادة الغواصة والتحكم بها التقط جواد أنفاسه قبل أن يكمل علينا أولاً أن نقوم بتأسيس شركة هنا ونحدد نشاطها بحيث يكون منحصراً في اكتشاف أعماق البحار وذلك كي يتمكن عادل من تقديم طلب الاشتراك بصفته مديراً لهذه الشركة.

أظن أن روستام يستطيع أن يتكفل بهذا الأمر، علماً بأن إجراءات تسجيل شركة جديدة في إحدى المناطق الحرة في دبي لا يستغرق سوى بضعة أيام فقط علق سالم ونظر نحو روستام والذي أومأ برأسه موافقاً.

بالمناسبة هل تستطيع يا عادل أن تجمع لي أسماء جميع الفرق التي تتوقع وفقاً لخبرتك أنها قد تتقدم للمشاركة في المسابقة مع نبذة عن كل منها؟ سأل سالم اهتمام.

بالتأكيد، ولكن ما حاجتك بها؟

Twitter: @alqareah

لغاية في نفس يعقوب، فلدي فكرة لم تختمر بعد بشكل كامل في رأسي ابتسم سالم ونظر خلسة بطرف عينه الى جواد ثم أضاف وفي نفس الوقت فنحن بحاجة للتعرف على قدرات منافسينا وخبراتهم. هل تستطيع جمع الأسماء قبل انتهاء موعد تقديم الطلبات؟

أستطيع أن أسلمك القائمة بعد يومين إن أحببت أجاب عادل وبدا واضحاً أنه يشعر بحماس كبير لفكرة الاشتراك بالمسابقة، مع أنه لم يكن واثقاً من إمكانية مشاركتهم نظراً للأسماء الكبيرة في مجال اكتشاف البحار والتي لابد وستحرص على أن يكون لها دور فعال في تجربة مثيرة من هذا النوع.

أحس عادل أن جواد وسالم يضمران خطة ما ستزيد من فرصهم في النجاح، ولكنه في ذلك الوقت لم يخطر بباله مطلقاً ما الذي ينوون فعله.

وما الاسم الذي تقترحون أن نطلقه على شركتنا وفريقنا؟ نظر سالم بابتهاج الى رفاقه.

ما رأيكم أن نطلق عليه اسم الفريق الأول؟ اقترح عادل مبتسماً.

تقصد تشبهاً بمسلسل الحركة الشهير والذي كان يبث في الثمانينات، أليس كذلك؟ سأل سالم بدون أن يظهر أي حماس.

نعم، بالضبط.

لم يعجبني الاسم هزت نتاشا رأسها.

ما رأيكم أن نطلق على الشركة اسم: الشركة العربية لخوض البحار؟ اقترح جواد.

ولكن نتاشا وروستام ليسا من العرب اعترض سالم.

ما رأيكم بفريق دبي الدولي لأعماق البحار؟ اقترحت نتاشا بحماس.

لا بأس بهذا الاسم، لقد أعجبني علق عادل بينما أومأ الباقون برؤوسهم.

Twitter: @alqareah

حسناً إذاً، فلنشرب ما في هذه الكؤوس من ماء نخب تأسيس الشركة وانطلاق فريق دبي الدولي لاستخراج الكنز من أعماق البحار نظر سالم حوله وانفجر بالضحك مع رفاقه عندما تذكروا أنهم معلقون في الهواء.

كان من الواضح أن الجميع قد نسوا تماماً طبيعة المكان الذي يجلسون فيه، ولم يعودوا يشعرون بالبرد، لأن أذهانهم قد انشغلت كلياً بقصة الذهب.

أثار روستام انتباه سالم بحركة من عينيه وأشار بسبابة يده اليمنى نحو النادل الذي يقف بعيداً ويكاد يتجمد من البرد.

رفع سالم يده ملوحاً للنادل وأشار إليه بعلامة فهم منها النادل أنه يطلب الفاتورة ليدفع الحساب ويغادر. شعر النادل بسرور لم يستطع إخفاءه ودخل الى المبنى وعاد بعد قليل حاملاً لفاتورة الحساب.

دفع سالم الفاتورة كاملة بعد عراك معتاد مع أصدقائه الذين انبرى كل منهم مادّاً يده بحفنة من الأوراق النقدية.

أخذ النادل النقود ورجع الى حافة المبنى وضغط هناك على زر أدى الى تحرك الذراع الحديدي الذي يحمل الطاولة والجالسين إليها باتجاه المقصورة التي كانت لا تزال في انتظارهم.

ما أن استقرت الطاولة داخل المقصورة حتى نزع سالم ورفاقه الأحزمة المثبتة حول خصورهم، ونهضوا من كراسيهم وتوجهوا الى جدران المقصورة وأمسكوا بقضبانها، وأخذوا يراقبون الذراع الحديدية وهي تخرج من المقصورة مبتعدة، بينما وقف النادل ملوحاً بيده ومودعاً لهم.

أغلق باب المقصورة وأخذت بالهبوط تدريجياً نحو الأرض، وما هي إلا دقائق وأصبح سالم وزوجته وأصحابه يقفون على العشب بالقرب

Twitter: @alqareah

مـن مبنـى الفنـدق، وقـد انهمكـوا في تحريـك أرجلهم لإعادة تدفق الدم إليهـا بعـد الفتـرة الطويلـة التي جلسـوها في الأعلى ولـم يكونوا قادرين على التحرك من أماكنهم. هذا ناهيك عن البرودة التي أصابت أطرافهم.

ودع سالم وزوجته الباقين واتفقوا على التواصل معاً بشكل مكثف في الأيام المقبلة للتأكد من سير الأمور وفقاً للخطة، فقد كان على روستام المباشرة في إجراءات تسجيل الشركة الجديدة، بينما سيعمل عادل على جمـع أسـماء الفـرق المنافسـة مـع نبـذة عن كل منهـا، وفي نفس الوقت سيجمع الوثائق التي تثبت خبرته في مجال اكتشاف أعماق البحار.

أما جواد فطُلب منه إرسـال نسـخة من الإعلان مع ما جمعه من المعلومات الى البريد الإلكتروني لكل من أعضاء الفريق الجديد.

كان سـالم يعرف أن جواد سـيكون منهمكاً جداً في الأيام المقبلة لضمان اختيار فريقه فائزاً في المسابقة، أما هو فكان عليه أن يعمل سراً على بلورة الفكرة الجهنمية التي خطرت بباله تلك الليلة والتي سيكون لها تأثير كبير على نجاح المشروع برمته بل وعلى تغيير أهدافه أيضاً.

لم تعرف نتاشا في تلك الليلة ما هو الدور الذي ستلعبه في هذا الفريق، ولكنها بطريقة ما شعرت أنها ستكون عضواً فعالاً فيه.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل السابع

حادثة الاعتداء

لقد مضى أكثر من خمس وعشرين ساعة متواصلة لم يغمض له فيها جفن. كان يشعر بمزيج من الحزن والغضب واليأس. أخبروه في المستشفى أن حالة ابنته مستقرة، ولكنها قد لا تتمكن من مزاولة رياضة كرة المضرب مجدداً. كان يحاول ألاّ يتخيل مقدار الصدمة التي ستصاب بها ابنته عندما تفيق من غيبوبتها، وتكتشف أن مستقبلها كلاعبة تنس شهيرة قد توقف بين ليلة وضحاها وأنها أصبحت في عداد المعاقين بمقاييس هذه اللعبة.

تذكر ميخا كيف قامت كاتيا بتحيته وتقبيله بين عينيه عندما كان يتناول فطوره صباح يوم أمس. لقد أخبرته أنها في عجلة من أمرها، لهذا لن تتمكن من تناول طعام الفطور معه في ذلك اليوم، فلديها تدريب صباحي تمهيداً للبطولة التي ستشارك بها بعد يومين.

خرجت كاتيا من القصر في ذلك اليوم في تمام الساعة الثامنة والنصف صباحاً وتبعها ميخا بعد ربع ساعة وتوجه الى محل عمله.

في تمام الساعة الحادية عشرة صباحاً تلقى ميخا اتصالاً، يفيد بأن ابنته كاتيا تعرضت لضرب مبرح عند خروجها من النادي الرياضي الذي تتدرب فيه، وقد قام أحد المارة بالاتصال بالإسعاف، والتي هرعت الى موقع الحادث ونقلت ابنته الى المستشفى الحكومي رقم أربعة.

Twitter: @alqareah

وصلت كاتيا الى المستشفى وهي فاقدة للوعي، وبعد الفحص تبين أنها تعاني من كسور في اليدين، وخلع في الكتف الأيمن، مع ارتجاج في المخ وبعض الرضوض في أماكن مختلفة من جسدها، نتج عن تلقيها ضربات متواصلة بعصاً غليظة.

بمجرد تلقي ميخا للخبر أسرع الى المستشفى، وأمر بنقل ابنته وتحويلها الى المركز الطبي الأوروبي، والذي يعد واحداً من أفضل المستشفيات في العالم، وهناك قاموا بإجراء الفحوصات اللازمة لها وقاموا بتجبير الكسور، ووضعها تحت العناية المركزة في الجناح الذي حجزه والدها خصيصاً لها.

عرف ميخا من رجال الشرطة أن الشاب الذي أبلغ عن الحادث تمكن من إعطائهم مواصفات دقيقة للجاني، وأن الرسام التابع لجهاز الشرطة تمكن من رسم صورة واضحة لها، فقد تبين أن كاتيا قد تعرضت للضرب على يد فتاة في العشرينات من عمرها، وكان جلياً أنها لم تكن تحاول إخفاء هويتها أثناء تعديها على كاتيا. علم أيضاً أنه جاري الآن البحث عنها وتعميم صورها على مراكز الشرطة، وهم ينتظرون الآن أن تفيق كاتيا من غيبوبتها، ليعرضوا صورة الفتاة عليها، علها تتعرف عليها، فيتمكنوا من الإمساك بها بشكل أسرع.

أقسم ميخا على الانتقام من هذه الفتاة التي قوضت أحلام ابنته المفضلة في أن تتصدر يوماً ما التقييم العالمي للاعبات كرة المضرب. لم يتخيل أن يكون لابنته أعداء يكرهونها، الى درجة الرغبة في إيذائها بهذا الشكل، فقد كانت محبوبة من الجميع على حد علمه.

رن هاتف ابنته المحمول عدة مرات في ذلك اليوم وكانت أغلب الاتصالات من صديقها ساشا، الذي أتى لاحقاً في المساء بمجرد أن علم بالحادث من والدتها، والتي قام ميخا بإخبارها بمجرد أن اطمئن

Twitter: @alqareah

على استقرار حالة كاتيا، فأتت مسرعة الى المستشفى، وأخذت تبكي وتنوح بشكل وجده ميخا مبالغاً فيه.

مكث ساشا في المستشفى طول الفترة المسائية ولم يتحرك من جوار كاتيا على أمل أن تفيق فتجده الى جانبها، لكنها لم تستيقظ في تلك الليلة، وكان واضحاً أن الضربات التي تلقتها على رأسها كانت أشد مما توقع أحباؤها.

غادر ساشا المستشفى في تمام الساعة الحادية عشرة مساءً، عندما أبلغوه بانتهاء وقت الزيارة وعزم على العودة الى زيارتها في صباح اليوم التالي.

مكث ميخا وزوجته تيانا الى جوار ابنتهما في تلك الليلة، وحاولا مراراً الاتصال بابنتهما الكبرى لينا لإبلاغها بالحادث الذي تعرضت له أختها، ولكن دون جدوى، فقد كان هاتفها المحمول مغلقاً طوال الوقت.

أخذت تيانا بتلاوة بعض الفقرات التي تحفظها من الإنجيل، ليحفظ الله ابنتها ويعافيها من إصاباتها. لم تكن تيانا بالمرأة المتدينة، ولكنها كانت تزور الكنيسة أحياناً في بعض أيام الآحاد مع صديقاتها من باب المجاملة.

أما ميخا فكان متأثراً بالتربية الشيوعية، لهذا لم يكن على علاقة طيبة برجال الدين ولم يسبق له أن زار الكنيس اليهودي، أو شارك في أي من الفعاليات التي يدعون لها.

أشار ميخا على زوجته بأن تنال قسطاً من الراحة، وأن تنام على السرير الوثير في الغرفة المجاورة في الجناح الكبير الذي تمكث فيه ابنته. استجابت تيانا لنصيحة زوجها، وطلبت منه أن يوقظها بمجرد أن تستفيق كاتيا.

بقي ميخا مستيقظاً طوال الليل يتأمل وجه ابنته الطفولي، والذي

Twitter: @alqareah

لم يتعرض الى أي ضربات من حسن الحظ. فسر ميخا ذلك بقيام كاتيا بحماية وجهها بيديها تلقائياً وهو ما يحدث عادة لأي شخص عندما يتعرض للضرب.

حاول ميخا أن يخمن من قد يكون من مصلحته إيذاء كاتيا بهذا الشكل. هل يعقل أن تكون إحدى لاعبات التنس المنافسات لها قررت أن تزيحها من طريقها؟ ولكن وفقاً لكلام الشرطة، فالمعتدية لم تحاول أن تخفي وجهها، وهو إجراء بديهي إن كانت الجانية بالفعل إحدى لاعبات التنس، لأنها لن تعمد الى فضح شخصيتها وتعريض نفسها لخطر إلقاء القبض عليها.

استثنى ميخا في عقله لاعبات التنس من قائمة المتهمين.

هل من الممكن أن يكون الاعتداء على ابنتي ما هو إلا رسالة من أحد أعدائي أو منافسيّ في مجال العمل؟ فكر ميخا محاولاً أن يحصي في عقله كل من يحمل في قلبه عداوة له وقد يرغب في إيذائه. خطر بباله الكثير من الأسماء ولكنه لم يستطع أن يتخيل أن تصل العداوة بينه وبين أي من أصحاب تلك الأسماء لدرجة الإقدام على إيذاء ابنته بهذا الشكل.

لقد كانت أغلب خلافاته مع منافسيه لا تتعدى قيامه بالفوز بمناقصة ما، أو نجاحه في إبرام صفقة كبيرة قبل غيره. وهذه الأمور لا تستدعي التفكير في الأذية الجسدية، وخاصة أن ميخا بعد أن ذاع صيته وتعددت شركاته، لم يكن يلجأ لأي من الطرق الملتوية في إنجاح أعماله، بل كان يحرص على الحصول على ثقة منافسيه واحترامهم، كما أن الكثيرين من أصحاب الشركات الصغيرة أصبحوا يدينون له بالفضل في نجاحهم في الصمود خلال الأزمة الاقتصادية، عندما تساهل معهم في تحصيل ديونه منهم، بل وسمح لهم بالاستمرار في الحصول على بضائع جديدة

Twitter: @alqareah

عن طريق شركاته، على أن يسددوا ثمنها بعد أن ينجحوا في تسويقها، وليس قبل ذلك. لهذا كان من الصعب على ميخا أن يتصور أن يلجأ أي شخص لإيذائه أو إيذاء أي من أفراد أسرته.

كانت كاتيا تتقلب في نومها بين الحين والآخر فيهب ميخا ليقف فوق رأسها ظناً منه أنها أفاقت من غيبوبتها، ولكنه كان يكتشف في كل مرة أنها لا تزال نائمة. أخبره الطبيب المشرف على حالتها، أن تقلبها في النوم هو علامة جيدة على قيام المخ بوظائفه بشكل سليم، وإشارة أيضاً الى قرب استفاقتها من غيبوبتها.

في صباح اليوم التالي حضرت الشرطة للتحقيق في حادثة الاعتداء وعرض صورة المتهمة على كاتيا. لم تكن كاتيا قد أفاقت بعد من غيبوبتها، وكانت تتيانا لا تزال نائمة في الغرفة الأخرى.

أخذ الضابط بطرح بعض الأسئلة على ميخا حول من له مصلحة في أذية كاتيا، واقترح أن يعرض عليه صورة الجانية كما تم رسمها وفقاً لوصف شاهد العيان.

أخرج الضابط الصورة من ملف كان يحمله وأعطاها لميخا. شعر ميخا بخدر يتسلل الى جميع أنحاء جسمه، وأحسس بالشعر على ساعده وهو يقف منتصباً من هول المفاجأة. لم تكن الصورة لأي من زميلات كاتيا في الدراسة أو منافساتها في الرياضة، لم تكن الصورة لمجرمة ما أو لشخص بعث به أحد أعداء ميخا أو منافسيه في العمل. لم يكن ليخطر بباله ولا في أحلك كوابيسه أن يكون الجاني قد خرج من قصره. لم تكن المعتدية خادمة حانقة على سيدتها أو جارة حقودة وصل بها الحسد أن تعتدي على ابنته.

لم تكن الصورة إلا رسماً دقيقاً لوجه ابنته الكبرى لينا بما يحتويه من علامات فارقة. لقد كان من الجلي أنها لم تبذل فيما يبدو أي مجهود

Twitter: @alqareah

لتغطية وجهها أو إخفاء شخصيتها.

عقدت الصدمة لسان ميخا فما عاد قادراً على التعبير عما يختلج في صدره من ألم. لم يدر ما يفعل أو يقول. لقد كان في وضع لا يحسد عليه، فالضابط ينتظر منه أن يتعرف على الجانية التي أوسعت كاتيا حبيبته وفلذة كبده ضرباً، وتركتها في حالة يرثى لها، وكانت سبباً في تحطيم طموحاتها. لكنه في نفس الوقت لا يستطيع أن يبلغ عن ابنته الكبرى ليتم القبض عليها وزجها في السجن.

في قرارة نفسه لم يعرف إن كان عليه أن يتستر على ابنته الكبرى، والتي كان له دور أكيد في وصولها الى هذه الحالة، أم عليه أن يسلمها بيده الى الشرطة انتقاماً لابنته الأخرى المفضلة، والتي لن تسامحه إن منعها من قول الحقيقة للشرطة. جانب أناني من شخصيته حذره من الفضيحة الكبرى التي ستمتلئ بها الصحف ووسائل الإعلام، عندما ينتشر خبر القبض على ابنته الكبرى بتهمة التعدي بالضرب على أختها.

سيد ميخائيل الكساندرفيتش، هل أنت بخير؟ سأل الضابط ميخا عندما شعر بحالة الذهول التي أصابته، وبعد أن لم يجب على أسئلته المتكررة عن شخصية الفتاة التي تظهر في الصورة وإن كان يعرفها أم لا.

أرجو المعذرة. أنا بخير ولكني استغرقت بالتفكير بحثاً في ذاكرتي عن هذه الشخصية، ولكني وبكل أسف لم أهتدي للتعرف عليها سكت ميخا برهة ثم أضاف: بالمناسبة هل تم نشر هذه الصورة في مراكز الشرطة؟

أصدرت الأمر بالأمس لتعميمها على مراكز الشرطة، وحتى الآن لم يصلنا أي شيء، فلم يتم التعرف عليها في قوائم المشتبه بهم وأصحاب السوابق، والى الآن لم يشاهدها أحد أو يبلغ عنها.

هل لي بمعرفة اسمك الكريم كي أتصل بك لأتابع مجريات

Twitter: @alqareah

التحقيق؟

فلاديمير فلاديمرفتش. سأكون سعيداً بالرد على اتصالك في أي وقت.

لدي طلب خاص أتمنى منك أن تساعدني في تحقيقه.

تفضل سيد برينسكي. ما هو طلبك؟ سأل الضابط بفضول واهتمام.

لدي رجاء حار بعدم تسريب خبر الاعتداء على ابنتي للصحافة والإعلام، فأنت تعرف حساسية مركزي ومدى تأثير مثل هذا الخبر على أعمالي.

ابتسم الضابط ابتسامة صغيرة لا تكاد تُلاحظ: بالتأكيد، يسرني أن ألبي طلبك، فراحة المواطنين من أهم واجباتنا، وأنت من أصحاب الأيادي البيضاء على المجتمع ولا أحد يستطيع أن ينكر ذلك.

عزم ميخا في قرارة نفسه على إرسال سكرتيره الخاص في وقت لاحق الى الضابط ليطلب منه إقفال التحقيق بدون إبداء أسباب، وسحب صور المتهمة من جميع مراكز الشرطة بعد أن يجزل له العطاء، ويأمره بنسيان كل ما يتعلق بهذه القضية من قريب أو بعيد.

أخبر ميخا الضابط أن كاتيا لن تستيقظ في وقت قريب لهذا باستطاعته إن شاء أن يغادر الآن، وسيقوم هو بنفسه بالاتصال به عندما تفيق من غيبوبتها.

استجاب الضابط لاقتراح ميخا وغادر المستشفى، فما كان من ميخا إلا أن اتصل فوراً بسكرتيره سيرغي وأملى عليه أوامره بخصوص إقفال القضية.

اعتاد سيرغي تنفيذ أوامر سيده بحذافيرها دون أن يحاول إشباع فضوله، أو التطفل على أمر لا يعنيه، وقد أدى ذلك الى نجاحه في نيل رضا ميخا وثقته وأصبح مع الأيام يده اليمنى التي لا يستغني عنها،

Twitter: @alqareah

وكان مدركاً أن ميخا من أولئك الأشخاص الذين يجزلون العطاء لمن يخلص لهم.

أقفل ميخا خط الهاتف ورجع ليتفقد ابنته، ولاحظ أنها بدأت تتململ في سريرها فعرف أنها على وشك أن تستيقظ.

كان عليه أن يقرر سريعاً كيف سيواجه ابنته عندما تستيقظ، وتسأل عما حل بها، وكيف ستتقبل حقيقة أنها ما عادت قادرة على ممارسة لعبة كرة المضرب.

عزم ميخا في قرارة نفسه أن يخفي عن كاتيا حقيقة إصابتها، وأن يؤخر ذلك الى أن تتعافى ولو جزئياً. كان عليه أن يفكر أيضاً بم سيجيبها عندما تسأله عما سيحل بأختها التي اعتدت عليها بوحشية وبدون سبب واضح.

توجه ميخا الى الغرفة المجاورة لتفقد تتيانا فوجدها لا تزال نائمة، فقام بإيقاظها وقص عليها ما حدث مع الضابط.

كانت مفاجأتها كبيرة ولم تتقبل بسهولة حقيقة أن تكون لينا هي المعتدية على أختها، وأخذت بالبحث عن وسيلة تثبت فيها براءة ابنتها، فتارة ادعت أن الصورة التي تم رسمها بتوجيه من شاهد العيان غير دقيقة، وأن التي تظهر فيها لا تمت للينا ابنتها بصلة، وتارة أخرى اعترفت أنها تشبه لينا، ولكن فسرت الأمر على أنه وقيعة من المعتدي الحقيقي ليفرق بين الأختين وأن الشاهد مشترك في الجريمة.

ستستيقظ كاتيا قريباً، وهناك احتمال كبير أن تكون قد تعرفت على الجانية، لهذا لابد أن نقرر ما سنقوله لها، في حال كانت مدركة أن المعتدية هي أختها نبه ميخا زوجته.

لا أصدق أن تقوم لينا بمثل هذا الفعل الشنيع، ولا أعرف ما سأقوله لكاتيا لتبرير فعلة أختها، وإقناعها بالصفح عنها وعدم زجها في السجن،

Twitter: @alqareah

وخاصة عندما تعرف حقيقة الضرر الكبير الذي أصابها.

نعم. بخصوص إصابتها أرى أن نخفي عنها الآن هذه الحقيقة، ونخبرها أن إصاباتها لا تتعدى كونها كسور بسيطة ستلتئم سريعاً، أما بخصوص موقفها من أختها، فربما نستطيع إقناع لينا بالسفر الى مدينة أخرى، ولو مؤقتاً الى أن يخبو غضب كاتيا، وعندها ربما تستطيع أن ترجع لينا فتعتذر بصدق من أختها توقف ميخا برهة ليتأكد من أن زوجته قد استوعبت كلامه بشكل جيد، ثم تابع: وستكون تلك مهمتك في التأثير على لينا للاعتذار من أختها، أما أنا فسأبذل جهدي في إقناع كاتيا بقبول اعتذار أختها وعدم اللجوء الى الشرطة، وقد أرسلت سيرغي ليتكفل بأمر الضابط للتعتيم على القضية، وإقفالها بأسرع وقت ممكن، قبل أن يلقوا القبض على لينا أو تصل القصة الى الإعلام.

حسناً فعلت يا ميخا، فنحن لا نريد أن يزج بابنتنا الكبرى في السجن ابتسمت تتيانا لزوجها بامتنان.

هل لديك أي تفسير لقيام لينا بهذا الفعل الشنيع بأختها؟ سأل ميخا زوجته بامتعاض واضح.

ما زلت غير مصدقة أن لينا هي التي كانت وراء الحادث، ولكن إن ثبت ذلك فعلاً، فتفسيري المنطقي الوحيد، هو أن تكون قد اعتدت على أختها تحت تأثير المخدرات، والتي لم أفلح بإرغامها على تركها، وأنت لا تساعدني في هذا الجانب، فقد تركت مسئولية تربيتها على عاتقي وحدي. قالت تتيانا بنبرة عتاب وتأنيب.

تجاهل ميخا الجملة الأخيرة من كلام زوجته وكأنه لم يسمعها، وعلق على الباقي بقوله: حسناً سنؤكد على هذه الفكرة، ونحاول أن نقنع كاتيا بأن اعتداء لينا عليها لم يكن وهي في وعيها، وإنما نتج عن تناولها لكمية كبيرة من المخدرات جعلتها في حالة من الثورة والغضب،

Twitter: @alqareah

وكان من سوء حظ كاتيا أن ظهرت أمام أختها في ذلك الوقت، فتعرضت للضرب بدون أن تكون هي المقصودة لذاتها. أعجب ميخا بهذا التبرير الـذي وصـلا إليـه، وتوقـع أن يكـون بمقدوره إقناع كاتيا به، لكنه كان لا يزال قلقاً من موقف كاتيا عندما تعرف أن الكسور التي أصابتها ستمنعها مـن ممارسـة لعبتهـا المفضلـة. حـاول ميخا أن يؤخر التفكير بهذا الأمر، وعزم على استشارة أفضل أطباء العظام في العالم، لعل أحدهم يستطيع أن يساعد ابنته في التماثل التام للشفاء والعودة مجدداً الى ملاعب التنس.

بينمـا كان ميخـا جالسـاً فـي الغرفـة المجـاورة مـع زوجتـه، والتي نهضت أخيراً من السرير وتوجهت الى دورة المياه لتغسل وجهها وتصلح هندامها، سـمع رنة هاتفه المحمول تصدر من الغرفة التي تسـتلقي فيها ابنته. كانت رنة قصيرة استنتج منها أنه تلقى رسالة ما.

توجـه ميخـا الـى غرفـة ابنتـه وألقى نظرة سـريعة عليها فوجدها لا تزال لم تسـتيقظ بعد. التقط هاتفه باهظ الثمن من نوع Vertu وتصفح صندوق الرسائل الواردة. وجد رسالة وحيدة مبعوثة من سكرتيره سيرغي. استغرب ميخا الأمر، فلم يكن من عادة سيرغي أن يبعث برسائل قصيرة، وإنما كان يحرص دوماً على الاتصال هاتفياً لإبلاغ سيده شفهياً ما يود إبلاغه به.

كانت الرسالة مكونة من سطر واحد فقط:

شاهد التلفاز الآن. قناة روسيا اليوم.

Twitter: @alqareah

الفصل الثامن

تقديم الطلب

شعر عادل بالراحة عندما انتهى من تقديم طلب الاشتراك في مسابقة انتشال القطار، باسم فريق دبي الدولي لأعماق البحار.

في البداية ظن عادل بينه وبين نفسه أن الأمر لا يعدو أن يكون مزاحاً، فهو لم يتوقع أن يكون أصدقاؤه جادين في مسألة إنشاء فريق فعلي والدخول في مسابقة من هذا النوع، ولكنه فوجئ عندما اتصل به روستام بعد أسبوع من اجتماعهم في المطعم المعلق، ليخبره أن إجراءات تأسيس الشركة في المنطقة الحرة لجبل علي قد تمت بنجاح. حينها تأكد عادل أن رفاقه جادون في مسعاهم للمشاركة بالمسابقة.

في ذلك الوقت لم يعرف عادل كيف سيتمكنون فعلياً من خوض المسابقة فحظوظهم تبدو ضئيلة للغاية، وخاصة إذا ما قورنت بحظوظ الفرق العالمية المتخصصة في هذا المجال. حاول عادل أن يستفسر عن الخطة التي بدا له أن سالم وجواد يعدانها بشكل سري لضمان نجاحهم في المسابقة. فضل سالم أن لا يخبره بتفاصيل الخطة إلا بعد نجاحها، وعلل ذلك بأن الخطة ما زالت تطبخ في عقله، وقد تتغير مع الوقت، لهذا يفضل أن لا يشارك بها أحداً، سوى من سيكون له دور فعلي في تنفيذها. لم يقتنع عادل كثيراً بهذا التبرير، وحاول بينه وبين نفسه أن يخمن ما يدور في عقل سالم وجواد.

Twitter: @alqareah

أنا أعرف أن سالم يجيد الروسية، وأنه عاش فترة طويلة في أوكرانيا وزار روسيا عدة مرات أثناء دراسته، ولابد أنه يعرف طبيعة الشعب الروسي وكيف يفكر وما هي الأساليب المثلى للتعامل معه. فكر عادل بينما كان يجلس على كرسي هزاز في شرفة منزله ويتأمل النجوم المنتشرة في السماء الصافية لتلك الليلة المقمرة.

هل يعقل أن يفكر في رشوة أحد المسئولين عن المسابقة، ليضمن وقوع الاختيار على فريقنا دون غيره؟ تساءل عادل قبل أن يستدرك: ولكن لماذا طلب سالم مني إعداد قائمة بأسماء الفرق الدولية التي قد تشارك في المسابقة؟ وما دور جواد في ذلك كله؟ كان عادل يعرف أن جواد محترف في كل ما يتعلق بالأمور الغامضة لعالم الكمبيوتر، ولكنه لم يستطع أن يخمن دوره في موضوع المسابقة.

ربما طلب سالم من جواد أن يجمع له معلومات عن طريق الانترنت حول أعضاء لجنة التحكيم واختيار الفريق الفائز خمن عادل.

على أي حال لن أرهق نفسي بالتفكير طويلاً بهذا الأمر، وما دام سالم جاداً في المشاركة في المسابقة، فسأبذل جهدي لتنفيذ الجزء المتعلق بي، وهأنذا قد قدمت طلب الاشتراك إلى البريد الالكتروني الذي زودني به جواد. بقي علي أن أعد قائمة بأسماء الفرق التي أتوقع أن تشارك في المسابقة، وهو أمر هين فأنا أتابع أخبار هذه الفرق وأستطيع أن أحصيها بسهولة فهناك فريق فرنسي، وآخر ألماني، وعدة فرق أمريكية، إضافة الى فرق من هولندا والسويد وكندا واليابان وروسيا نفسها. كل ما علي فعله أن أعد نبذة عن قدرات كل منها وأبعثها الى سالم.

بإمكاني أن أستخدم شبكة الانترنت لجمع معلومات دقيقة حول هذه الفرق، وربما أستعين بقدرات جواد في هذا المجال، فأزوده بأسماء الفرق ويقوم هو بجمع معلومات عنها، فهو أسرع مني بالتأكيد

Twitter: @alqareah

في استخراج المعلومات من الانترنت، فأنا لا أجيد انتقاء كلمات دلالية مناسبة لمحركات البحث، وعادة ما أستغرق وقتاً طويلاً عند البحث عن معلومة ما تفيدني في مجال عملي فكر عادل وابتسم عندما تذكر ذلك الموقف، عندما أراد البحث عن معلومات عن شركة دولفين المختصة في تصنيع الدهانات المستخدمة في طلاء السفن، فاستغرق الأمر منه ساعات عديدة محاولاً فرز الصفحات التي رجع بها محرك البحث واستبعاد تلك التي تتحدث عن حيوان الدولفين والمؤسسات المختصة بحمايته، أو عشرات الشركات التي تحمل نفس الاسم ولكنها تختص بأمور أخرى.

رن هاتفه المحمول وكان يحمله في جيبه، فأجفل من صوته المرتفع، وخرج من تأملاته وأفكاره. ذكّر نفسه مجدداً أن عليه أن يخفض من صوت جرس الهاتف. في نفسه كان يعرف أنه سينسى تنفيذ ذلك بمجرد انتهائه من المكالمة.

نظر عادل الى شاشة هاتفه فوجد أن زوجته هي المتصلة من مصر.

كيف حالك يا منى؟ وكيف حال أحمد ومحمد؟

الحمد لله. نحن بخير. والولدان مشتاقان لك كثيراً.

لم تجمع نفسها معهما فكر عادل قبل أن يقول لها: وأنا أيضاً مشتاق لكم جميعاً، وأتمنى أن نجتمع قريباً.

هل معنى ذلك أن لديك أخبار جديدة بخصوص العمل تود أن تشاركني بها؟ سألت منى وهي تأمل أن يكون زوجها قد تشجع، وطالب بحقه في زيادة راتبه وأن تكون الشركة قد استجابت لطلباته.

فكر عادل لثواني معدودة قبل أن يقرر أن يبوح لزوجته بحقيقة ما حصل، وأن مدير الشركة لم يوافق على منحه أي زيادة بل ولمح لإمكانية الاستغناء عنه.

شعرت منى بالغضب يعتمل في صدرها، فقد ظنت أن زوجها قد

Twitter: @alqareah

خنع كعادته ولم يقم بأي تصرف: وأنت ماذا كانت ردة فعلك؟ انتظر لا تخبرني. دعني أخمن. لقد استكنت كالعادة ورجعت الى عملك بدون أن تنطق بكلمة اعتراض واحدة. أليس كذلك؟ بعد أن أنهت جملتها، أحست منى أن نبرة صوتها كانت مرتفعة، وأنها ربما تكون قد تجاوزت حدودها عندما كلمت زوجها بهذه الطريقة الجارحة.

من حسن الحظ فقد كان عادل متوقعاً لردة فعل زوجته لهذا نجح في كظم غيظه: أولاً تحدثي بصوت منخفض ولا داعي للإهانات، فأنا أجيد تسديدها أيضاً توقف لحظة ثم تابع: أما بخصوص ردة فعلي على موقف المدير مني، ورفضه منحي زيادة في الراتب، فقد عزمت وبعد تفكير عميق، أن التصرف الأمثل هو أن لا أعمل موظفاً لديه أو لدى أي شركة أخرى سكت عادل كي يسمح لزوجته باستيعاب ما قاله، وابتسم عندما خمن أنها ستسيء فهم مقصده.

أحست منى بدلو من الماء البارد يصب على رأسها، وتساءلت بخوف: وكيف سنتدبر أمرنا إن تركت العمل؟

ألم تطلبي مني التصرف بحزم؟ هأنذا أنفذ ما طلبته اتسعت ابتسامته خلف الهاتف.

لم أطلب منك أن تصبح عاطلاً عن العمل علقت منى بعصبية.

من قال لك أني سأصبح عاطلاً عن العمل. لقد قلت أني لن أعمل موظفاً عند أحد.

ماذا تقصد؟

قرر أن يلقي قنبلته: لقد قررت العمل لصالحي، سأؤسس شركة لتصميم وصيانة اليخوت، وأديرها بنفسي بالاستفادة من خبرتي الطويلة، وعشرات الزبائن ممن يثقون بجودة عملي، وسيسرهم التعامل معي. أظن أن هذا القرار سيكون هو الرد الأمثل على ذلك المدير المتعالي.

Twitter: @alqareah

احتاجت منى لبضع ثوان كي تستوعب المفاجأة: هل أنت جاد يا عادل؟ بالله عليك هل ستصبح حقاً مديراً لشركتك الخاصة؟ هذا أسعد خبر سمعته في حياتي.

سعد عادل بنبرة السرور التي بدت جلية في صوت زوجته.

لم تستمر سعادة منى بالمفاجأة طويلاً، فقد تنبهت الى أمر غاية في الأهمية: ولكن يا عادل من أين لك بالمال لتأسيس الشركة؟ وهنا أحست بالرعب لا تقل لي أنك قررت بيع شقتنا في الإسكندرية. أنت تعرف أني محال أن أوافق على ذلك. لم تدع لزوجها فرصة ليوضح الأمر لها وتابعت: أنا لست مستعدة للتنازل عن البيت الذي انتظرنا طويلاً لشرائه، وقضينا سنوات عديدة نجمع ثمنه، لتقرر الآن بكل بساطة أن تبيعه، لتخوض مغامرة غير مأمونة العواقب. اسمعني جيداً، إني أرفض بيع البيت رفضاً تاماً، ولا تنسى أن البيت مسجل باسمينا معاً، ولا تستطيع التصرف به بدون موافقتي.

يا للنساء وما أسرع تقلب أمزجتهن. لقد انتقلت في ثوان معدودة من الغضب والاستهزاء، الى السرور والتقدير ثم عادت مجدداً الى الغضب والتهديد خاطب عادل نفسه مستنكراً تصرفات زوجته، واستعجالها في الخروج باستنتاجات خاطئة.

هدئي من روعك، فلا أنوي بيع البيت، ولم أفكر بذلك أصلاً. كل ما في الأمر أني عرضت فكرة تأسيس الشركة على صديقيَّ سالم وروستام، ليساعداني في تمويل الشركة على أن يحصلا على نسبة من الأرباح قرر عادل أن لا يخبر زوجته بأمر المسابقة، لأنه يعرف أنها ستنهال عليه بأسئلة كثيرة، لن يجد إجابة لمعظمها، لهذا قرر أن يكتفي بأن يوهم زوجته أنه سيدخل في شراكة مع أصدقائه.

ولمن ستكون الإدارة؟ سألت منى وقد هدأت قليلاً، وبدأت بتوزيع

Twitter: @alqareah

المناصب والأرباح من الآن.

بالطبع سأتولى أنا إدارة الشركة، لأني الوحيد بين أصدقائي الذي يفهم في مجال عمل الشركة، أما روستام وسالم فسيساهمان في تمويل الشركة فقط، ولن يكون لهما أي دور في إدارتها وسيحصلان على نسبة محددة من الأرباح سنتفق عليها فيما بعد.

أقترح عليك أن تضع النقاط على الحروف من الآن، وتتفق مع شريكيك على النسبة التي سيحصل كل منكم عليها من الأرباح. أظن أن نسبة خمسين بالمائة من الأرباح تبدو مناسبة لك، بعد خصم راتبك كمدير للشركة. في هذا الوقت كانت منى قد هدأت تماماً، وتقمصت فوراً دور زوجة المدير العام.

ما زلنا لم نخض في هذه التفاصيل، ولكن اطمئني فكل منا سيحصل على ما يستحقه بالعدل. على أية حال أود أن أنبهك أن تأسيس الشركة، وبدءها بالعمل وجنيها للأرباح، سيستغرق فترة طويلة لا تقل عن عام، وسيكون عليَّ أن أقدم استقالتي حالما يتم تأسيس الشركة، لهذا عليك أن تتوقعي أن تكون الفترة المقبلة فترة تقشف، وتجهزي نفسك لهذا الأمر توقف برهة من الزمن كي يتأكد من استيعاب زوجته للأمر ثم تابع: سأترك لك حرية الاختيار بين البقاء في مصر ريثما تبدأ الشركة بالعمل، أو العودة قبل ذلك، ولكني بكل الأحوال لن أرضى أن تكونوا بعيدين عني عندما أبدأ بالعمل في الشركة الجديدة. أقترح عليك أن تعودي مع الولدين مع بدء العام الدراسي هنا، كي يتسنى لنا تسجيلهما في المدرسة.

أنصتت منى لزوجها ولم تقاطعه، وعندما انتهى من كلامه أخبرته أنها ستأخذ باقتراحه وتعود مع الولدين في الأسبوع الأخير من شهر آب أغسطس.

في النهاية وقبل أن تقفل الخط، طلب عادل من زوجته أن تستدعي

Twitter: @alqareah

أحمد ومحمد ليتحدث إليهما، فقد كان في شوق كبير لسماع صوت ولديه الوحيدين.

سر عادل كثيراً للّهفة التي بدت في صوتي ولديه عندما تحدثا إليه، وأخبراه بمدى شوقهما إليه، ورغبتهما برؤيته في القريب العاجل.

اطمأن عادل على سير دراسة ابنيه وتفوقهما. في الحقيقة لم يكن عادل قلقاً من هذه النقطة، أولاً لأنه يعرف أنه رزق بولدين ذكيين ومجتهدين، وثانياً لأنه واثق من اهتمام منى بولديها، فقد كانت إحدى أهم ميزاتها، وأفضل خصالها، العناية الكبيرة التي كانت توليها لتربية ولديه، وحثهما على الصلاة وحسن الخلق، والاهتمام بتحصيلهما الدراسي، والمحافظة على نظافتهما، وتوفير الجو الهادئ لهما وسط صخب الحياة في مصر.

ما أن أقفل عادل الخط، حتى رن هاتفه مجدداً، وكان المتصل هذه المرة سالم.

أراد سالم أن يطمئن على قيام عادل بتقديم طلب الاشتراك في المسابقة، وسر كثيراً عندما عرف أن الطلب قد أُرسل بالفعل.

لقد أعددت قائمة مبدئية بأسماء الفرق التي أتوقع أن تشارك في المسابقة، وسأجمع بيانات كافية عنها عن طريق الانترنت، وربما أستعين بجواد في هذه المسألة. طمأن عادل صديقه سالم.

عظيم. فقط لا تنسى أن ترسل لي نسخة بأسمائها قبل الأول من يونيو حزيران.

لا تقلق، ستكون القائمة جاهزة قبل الموعد بفترة كافية. لكنك لم تخبرني حتى الآن بسر اهتمامك بأسماء الفرق المنافسة، ولماذا تريد الحصول عليها قبل موعد انتهاء تقديم الطلبات؟ قبل أن يتمكن سالم من الإجابة على السؤال عاجله عادل بتنبيه سريع ولا تقل لي أن الغرض من ذلك هو التعرف على قدرات المنافسين فقط، لأني أعرفها سلفاً.

Twitter: @alqareah

ابتسم سالم على الطرف الآخر من الخط نعم، صدقت. لقد طلبت منك أسماء هذه الفرق لسبب آخر، لكني لن أستطيع الآن أن أبوح لك به، ولكن يكفي أن تعرف أن الهدف من ذلك هو زيادة فرصتنا في الفوز. تأكد أني سأخبرك بجميع التفاصيل بمجرد أن أتأكد أن الاختيار قد وقع علينا بالفعل.

استسلم عادل وأدرك أنه لن يتمكن من الحصول على مزيد من المعلومات حسناً أنا أثق بحسن تقديرك للأمور، وأتمنى أن يكون لهذه السرية فائدة حقيقية، وأن نتمكن في نهاية الأمر من المشاركة حقاً في المسابقة.

لا أستطيع أن أعدك إلا بأني سأبذل جهدي لتحقيق ذلك، وبعدها سيكون عليك قيادتنا للنجاح بانتشال الذهب.

اتفقنا إذاً. أنت مهمتك أن تضمن بطريقتك السرية أن يقع الاختيار علينا، وسيكون علي إكمال المهمة في انتشال الكنز بنجاح.

ما رأيك أن تدعونا الى محل عملك، في يوم من الأيام نتفق عليه، ويكون مناسباً لك ولباقي أفراد الفريق، لتزودنا ببعض المعلومات حول اليخوت والسفن والغواصات، وتدابير السلامة عليها، وأي أمور أخرى تجدنا في حاجة لمعرفتها استعداداً لخوض المغامرة؟ وربما أخذتنا في جولة بحرية قصيرة.

فكرة رائعة. سأنسق معكم لنتفق على موعد مناسب، وأتوقع أن يوم الجمعة هو الأنسب لكم لأنه يوم عطلة، وهو مناسب لي أيضاً لأننا سنتمكن من التجول بحرية في موقع العمل والذي سيكون خالياً من العمال والموظفين.

ممتاز، بإمكاني أنا ونتاشا أن نحضر يوم الجمعة بعد القادم. وسنكون بانتظار اتصالك لتأكيد الموعد بعد أن تتصل بالباقين لتدعوهم أيضاً.

سأفعل إن شاء الله.

Twitter: @alqareah

الفصل التاسع

اعتراف الجاني

ازدادت حيرة ميخا، فهو لم يعتد هذا الغموض من جانب سكرتيره الخاص. شعر بأن الأمر جلل ليتصرف سيرغي بهذه الطريقة ويكتفي بإرسال رسالة قصيرة يطلب فيها منه أن يشاهد قناة روسيا اليوم المتلفزة. بدأت قطرات من العرق تتسلل على جبينه.

بحث عن أداة التحكم بالتلفاز عن بعد، ووجدها فوق المنضدة بالقرب من سرير ابنته. قام بتشغيل التلفاز قياس 21 بوصة والمعلق في إحدى زوايا الغرفة.

وجد القناة المطلوبة سريعاً. كان الصوت مرتفعاً نوعاً ما فقام بإخفاضه كي لا يزعج ابنته. كان لا يزال قادراً على سماع المذيعة بشكل واضح. في هذه الأثناء انضمت تتيانا الى زوجها ونظرت باتجاه التلفاز.

تسمر ميخا وزوجته في مكانهما وبديا للناظر وكأن على رأسيهما الطير.

كان إطار الصورة في التلفاز مقسوم الى قسمين، على اليمين كانت مذيعة تعلق على المشهد المعروض في القسم الأيسر من الصورة.

في المشهد ظهرت فتاة في أوائل العشرينات من عمرها تقف أمام جمع من الصحفيين والمصورين ورجال الإعلام. في خلفية الصورة ظهر مبنى مركز شرطة وسط موسكو.

Twitter: @alqareah

أنـا لينـا برينسـكي الابنـة الكبـرى لرجـل الأعمال الشـهير ميخائيل برينسـكي، أقـر وأعتـرف أنـي قمـت البارحة وأنا في كامل قواي العقلية، بترصد أختي الصغرى كاتيا برينسكي أثناء خروجها من النادي الرياضي، وقمت بالاعتداء عليها بالضرب المبرح وإفقادها الوعي، وقد جئت اليوم لأسلم نفسي طواعية الى مركز الشرطة توقفت لينا برهة من الزمن لتلتقط أنفاسها، ثم تابعت وهي تنظر الى الكاميرا بشكل مباشر وقد تطاير الشرر مـن عينيهـا: أهـدي عملـي هذا الى والـدي الحبيب، وأطلب منه الصفح على إفسادي دميته المفضلة.

أنهـت لينـا كلامهـا واسـتدارت فـي اتجاه مركز الشـرطة، وتقدمت بخطى واثقة نحو البوابة. ضج الجمع الغفير من الصحفيين، وتسـابقوا لالتقـاط الصـور وتوجيـه سـيل مـن الأسـئلة لابنة الملياردير الشـهير. لم تعرهم لينا أي انتباه وتابعت طريقها ودخلت مركز الشرطة واختفت فيه.

أخـذت المذيعـة تعلـق علـى الخبـر وتداعياته، وتأثيره على سـوق الأوراق المالية، فأشارت الى انخفاض أسهم جميع الشركات المملوكة لبرينسكي، بمجرد انتشار خبر تسليم ابنته الكبرى نفسها لرجال الشرطة، واعترافها بالاعتداء على أختها لاعبة التنس الشهيرة.

شعر ميخا بجدران الغرفة تدور من حوله. لقد أفسدت ابنته جميع خططه للتعتيم على الموضوع، مما يعني أنه وعائلته سـيوضعون تحت المجهر أمام مختلف وسـائل الإعلام، وسـينبري المحللون لتفسـير فعلة ابنته الشنيعة، والتي سيزج بها في السجن بكل تأكيد.

ومـاذا عـن كاتيـا؟ لابـد أنها سـتقع تحت ضغط نفسـي كبير عندما يبدأ الصحفيون بملاحقتها للتعليق على الحادث وحيثياته، وقد لا أتمكن من إخفاء حقيقة إصابتها عنها. أخشى أن يتسبب ذلك لها بصدمة نفسية شـديدة لا يكـون مـن السـهل التعافـي منهـا كانـت تلك الأفـكار وغيرها

Twitter: @alqareah

تتسارع في عقل ميخا وهو لا يزال واقفاً في مكانه كالتمثال، غير قادر على تحريك أيٍ من أعضاء جسده.

أبي، ما الذي قالته لينا لتوها في التلفاز؟ هل ما زلت لم أستيقظ بعد من الكابوس المرعب الذي نغص علي نومي؟ وأين نحن الآن؟ لماذا لسنا في القصر؟ وما هذه الجبائر التي تحيط بيديّ؟ أرجوك يا والدي أخبرني أني لا أزال أحلم. تساءلت كاتيا وكانت قد استيقظت منذ دقائق معدودة، وتابعت المشهد المعروض في التلفاز من بدايته.

التفت ميخا الى ابنته فوجدها، وقد أخذت الدموع تسيل على وجنتيها الناعمتين. كانت تيانا تقف الى جانبها ولكنها لم تنبس ببنت شفة، وكأن المفاجأة قد أخرستها أو أصابت لسانها بالشلل.

اقترب ميخا من سرير ابنته وانحنى عليها يقبل رأسها وأطراف أصابعها. وضع رأسه الى جوار رأسها فالتصق خداهما الأيسران. احتضن بيديه بعناية شديدة جسد ابنته المصاب، وأخذت الدموع تنسال من عينيه ولم يتمالك نفسه وهو يقول لها: سامحيني يا ابنتي، أنا السبب. أنا السبب فيما وصلت إليه الأمور بيني وبين أختك لينا، والتي قررت أن تنتقم مني في شخصك، لأني أهملتها وأشعرتها أنني قد رزقت ببنت واحدة فقط هي أنت.

لا يجب أن لا يلام أحد غيري على ما حدث. أخبريهم يا تيانا أني الملام، فليأتوا وليقتصوا مني. تحول بكاء ميخا الى نحيب وسالت دموعه بغزارة أكبر.

لا تقلقي يا ابنتي سأصلح ما أفسدته. سأحرص على أن يتابع حالتك أشهر أطباء العالم لتتماثلي سريعاً للشفاء وتعودي الى ملاعب التنس في أقرب وقت. أما أختك فأرجوك رجاءً حاراً أن لا تحقدي عليها، وأتمنى من كل قلبي أن تتنازلي عن حقك في أن تنال عقابها، فهي ضحية مثلك

Twitter: @alqareah

تماماً، وسأبذل أنا جهدي في توكيل أفضل المحامين في البلد لتخفيف العقوبة عنها. رفع ميخا جذعه عن جسد ابنته ونظر في وجهها.

كما تشاء يا والدي. لن أفعل إلا ما تأمرني به قالت كاتيا بصوت منخفض وأغمضت عينيها واستسلمت شيئاً فشيئاً للنوم.

نظر ميخا الى زوجته فوجد الدموع قد ترقرقت في عينيها. اقترب منها فباعدت بين ذراعيها، واحتضنته بقوة وهمست له: آن الأوان يا ميخا لنلتفت الى ابنتينا ونرعاهما سوياً. ما حصل اليوم هو إنذار وتحذير لنا، وعلينا الاستجابة له وإصلاح أخطائنا قبل فوات الأوان.

تنبه ميخا الى أن ما قالته تيانا الآن، كان أكثر الجمل التي سمعها منها حكمة طوال حياتهما معاً.

كان على ميخا الآن ترتيب أوراقه وإعداد خطة لتدارك ما حدث، والخروج بأقل الخسائر سواء على الصعيد الشخصي أو العملي. اتصل أولاً بسكرتيره الخاص سيرغي، وطلب منه أن يدعو لاجتماع مع مستشاريه للاتفاق على صيغة البيان الذي سيصدرونه حول ما جرى. اتصل بعدها بكبير محاميه، وطلب منه أن يجهز فوراً طاقماً من أفضل وأدهى المحامين للدفاع عن ابنته لينا. أخيراً توجه الى غرفة الأطباء، وتحدث مع الطبيب المشرف على حالة كاتيا وأبلغه برغبته في علاج كاتيا في الخارج، وطلب منه نصيحته حول أفضل المستشفيات في العالم لعلاج وجراحة العظام.

نحن نقوم بتقديم كل ما قد تحتاجه ابنتك من علاج، ولكن مع ذلك إن رغبت في أن تعالج ابنتك في مستشفى متخصص في حالتها، فأنصحك بالسفر بها الى نيويورك، حيث يوجد مستشفى الجراحات الخاصة وهو الأفضل في العالم في علاج وجراحة العظام.

شكراً جزيلاً لك، وأنا مقدر لجهدك وتفانيك في علاج ابنتي،

Twitter: @alqareah

وسآخذ بنصيحتك وأسافر بها الى نيويورك، وأتمنى منك أن تأتي معنا، لأني أثق بك، وسأتكفل بجميع تكاليف السفر والإقامة هناك، وتستطيع أن تحدد أي مبلغ تريده في مقابل سفرك وإشرافك على حالة ابنتي في الخارج.

ابتسم الطبيب كردة فعل أولية.

لم يستطع ميخا تفسير الابتسامة، فهل تعني أنه قد تحمس للسفر؟ أو أن فكرة تحديد أي مبلغ يريده قد أعجبته؟ أم أنه ابتسم سخرية من عرضه؟

دعني أولاً أتصل بالمستشفى في نيويورك، وأعرض عليهم حالة ابنتك، وأرسل لهم ملفها الطبي، فإن أخبروني بإمكانية أن يقدموا لها أي مساعدة إضافية لا تحصل عليها هنا، فسيسعدني أن أسافر في صحبتكم الى هناك للإشراف على علاج كاتيا ولو بشكل مؤقت.

شكر ميخا الطبيب لتعاونه، وأحس في قرارة نفسه بوجود أمل في إصلاح الخراب الذي تسبب هو فيه.

اجتمع ميخا لاحقاً في ذلك اليوم مع مستشاريه بعد أن دعاهم للالتقاء به في الجناح الخاص في المستشفى. لم يرغب ميخا بالخروج من المستشفى لأنه عرف أن كوكبة كبيرة من الصحفيين والإعلاميين يقفون بانتظاره أمام باب المستشفى، يترصدونه ليلقوا عليه وابلاً من الأسئلة بمجرد خروجه.

أقترح عليك أن تصدر بياناً مقتضباً تطلب فيه عدم التدخل في شئونك الخاصة، بدون إبداء أي تعليق على ما حدث أشار أحد المستشارين على ميخا.

رد مستشار آخر: ولكن ذلك سيؤدي الى مزيد من البلبلة في سوق المال، وستعاني أسهم شركاتنا من انخفاض كبير، لأن مالكي الأسهم

Twitter: @alqareah

يخافون من الغموض، وسيفسرون ردنا بأنه تهرب من المسئولية، لهذا أقترح أن نصدر بياناً نقول فيه أن لينا الابنة الكبرى لميخائيل برينسكي، كانت تحت تأثير السكر عندما أقدمت على الاعتداء على أختها، والتوجه الى مركز الشرطة لتسليم نفسها، ونستطيع أن نقنع رجال الشرطة باعتماد كلامنا والتصديق عليه، وبهذا نخرج من الأزمة بأقل الخسائر.

حرك ميخا رأسه معترضاً وقال: أخشى أن يزيد مثل ذلك البيان الطين بلة، لأن أحداً لن يصدق هذا الهراء، وخاصة أنه كان من الواضح أن لينا كانت بكامل عقلها ووعيها، عندما اعترفت أمام الجميع بفعلتها. سيعرف الجميع أننا نكذب، وأننا قمنا برشوة رجال الشرطة وسيؤدي ذلك الى تدمير سمعتنا التي بذلنا في بنائها جهداً كبيراً في السنوات السابقة، وسيتبعه تدهور كبير في أسعار أسهمنا، أرجو أن تبحثوا لي عن طريقة تعيد ثقة كل من المستثمر الغني، والمستهلك البسيط بنا.

تدخل سيرغي: أظن أن أفضل تصرف في مثل هذه الحالات هو قول الصدق، لهذا أشير عليك يا سيد برينسكي أن تخرج بنفسك، وتقف أمام الإعلاميين وتعترف لهم كما فعلت ابنتك. اعترف لهم بأنك أخطأت في حق ابنتيك، وأن انشغالك بتكوين إمبراطورية الأعمال كان على حساب عائلتك. اعذرني إن وجدت كلامي قاسياً أو غير مهذب، ولكني أعتقد أن هذا هو الحل الأمثل.

أطرق ميخا مفكراً في كلام سيرغي. كان يعرف أنه محق، ولكنه كان يجد صعوبة في تقبل فكرة أن يقف أمام العالم ليعترف بأخطائه.

علي أن أكون بمثل شجاعة ابنتي قال ميخا لنفسه، ثم أكمل بصوت مسموع: نعم يا سيرغي. سآخذ برأيك. أرجو أن تخرج للصحفيين في الخارج وتبلغهم أني سأدلي بعد قليل بتصريح هام.

أرجو منك أن لا ترد على أي من أسئلة الصحفيين مهما استفزتك،

Twitter: @alqareah

فقط أدل بما لديك من تصريح وعد مباشرة الى داخل المستشفى، وأنا سأكون بانتظارك في السيارة أمام المدخل الخلفي للمستشفى والمخصص لدخول سيارات الإسعاف. أومأ باقي المستشارين مؤيدين لتوجيهات سيرغي.

تابع سيرغي إرشاداته قائلاً: يجب أن تأتي متخفياً عندما ترغب بزيارة المستشفى أو التوجه الى مكتبك، وأقترح عليك بشدة بعد أن تطمئن على ابنتيك في الأيام المقبلة، أن تسافر الى أي من المدن التي تمتلك فيها شقة، لتختفي عن الأنظار فترة من الزمن، ريثما ينسى الجميع ما حصل، وتأكد أنك كلما ابتعدت عن الإعلام في الأيام المقبلة، بعد إدلائك بتصريحك، كلما ساهم ذلك بنسيان الناس لما حدث، وستنطبع صورتك في أذهانهم كأب شجاع اعترف أمام العالم بأخطائه وعزم على تصحيحها، وأنا واثق أن ذلك سيكون له أثر إيجابي في تعافي الأسهم بشكل سريع.

توقف سيرغي برهة ليتأكد من موافقة ميخا على اقتراحاته، فلما لمحه يومئ له برأسه تابع قائلاً: تستطيع أن تتابع أعمالك من أي مكان في العالم، ونستطيع تجهيز الشقة التي ستنتقل إليها بجميع المتطلبات التقنية، لتتمكن من إدارة المجموعة بكفاءة من المكان الذي ستتواجد به.

حسناً إذن. في هذه الحالة أرجو منك أن تتكفل بتجهيز شقتي في دبي، فقد دعتني تتيانا مراراً لقضاء بعض الوقت هناك، وأظن أن موقعها البعيد سيكون مناسباً في حالتنا هذه.

اختيار موفق يا سيدي، فالبنية التحتية المتطورة للاتصالات في مدينة دبي سيسهل علينا تجهيز الشقة بجميع المتطلبات التقنية الضرورية لربطها مع مكاتبنا حول العالم.

انفض الاجتماع وخرج سيرغي ليخبر الصحفيين والإعلاميين

Twitter: @alqareah

المرابطين أمام باحة المستشفى، أن السيد برينسكي سيخرج لهم بعد قليل ليدلي بتصريح هام.

في لمح البصر تحولت الجموع الغفيرة من الصحفيين في الخارج الى خلايا نحل، إذ انهمكت جميع القنوات التلفزيونية المحلية والعالمية في الإعداد للبث المباشر للكلمة التي سيلقيها الملياردير الشهير، وأسرع الصحفيون لحجز أماكنهم أمام المنصة التي ظهرت فجأة ليقف برينسكي وراءها ويدلي بتصريحه.

في هذه الأثناء عكف ميخا على تجهيز الكلمة التي سيدلي بها أمام الحشد في الخارج.

جلست تتيانا الى جانب ابنتها والتي كانت تفيق لدقائق معدودة ثم تغفو مجدداً. أخذت تفكر بحال ابنتها الأخرى في السجن، وتمنت أن تحصل على معاملة جيدة هناك، وعزمت على أن تزورها بمجرد أن تطمئن على استقرار حالة كاتيا.

كانت الساعة تقترب من الثالثة عصراً عندما خرج ميخا من باب المستشفى وبصحبته مستشاروه وحرسه الخاص. هب الصحفيون وضجوا بمجرد أن لمحوه يقترب من المنصة. رفع أحد مستشاري ميخا يده لهم في علامة كي يسكتوا وينصتوا.

بدأت الكاميرات بالتقاط الصور بينما رُكزت كاميرات الفيديو على وجه ميخا والذي كان ينبئ بحزن دفين.

لم يحمل ميخا أي ورقة معه ليقرأ منها، فقد أراد أن يبدو كلامه تلقائياً وصادقاً. حاول أن لا ينظر مباشرة في وجه أحد من الصحفيين، وإنما ركز نظره بعيداً وكأنه شارد في حالة تأمل.

بدأ يتحدث بصوت هادئ ورزين يؤسفني أن يضطر الشعب الروسي في هذا اليوم أن يشاركني فجيعتي في ابنتيّ لينا وكاتيا. لابد

Twitter: @alqareah

أن كثيراً منكم قد شاهد سابقاً في هذا اليوم اعتراف ابنتي الكبرى لينا بتعديها بالضرب على أختها كاتيا.

أود منكم أن تسمعوني جيداً، فكلامي موجه الى كل أب قصر في تربية أبنائه، أو قدم العمل عليهم فلم يعتني بهم ويمنحهم حقهم في الرعاية.

إنني أعترف لكم كما اعترفت ابنتي لينا من قبل، بأني الوحيد المسئول عما اقترفته يداها. إني أعترف أني كنت أباً سيئاً، ولم أعتني بابنتيّ كما يجب.

أتمنى أن لا تلوموا ابنتي لينا على ما فعلته، فأنا الوحيد الذي أستحق اللوم والعتاب، فقد أهملت عائلتي لأصبح أغنى رجل في روسيا. لكن بالله عليكم أخبروني ما فائدة المال وابنتي الكبرى في السجن، بينما الأخرى في غيبوبة لا نعلم متى ستفيق منها.

أود أن أوجه رسالة الى كل أب وأم يجريان وراء المال ويهملان تربية أبنائهما. أقول لهم توقفوا وراجعوا أنفسكم قبل فوات الأوان، فالأولاد هم أعظم ثروة فلا تبددوها فتندموا حين لا ينفع الندم.

أود أن أعلن أمامكم جميعاً أني سأتحمل مسئولية تقصيري، وسأبذل الغالي والرخيص لأنقذ ابنتيّ، ولن أتخلى عن أي منهما، وأعاهدهما أمامكم جميعاً أن تكون لهما الأولوية دائماً قبل العمل.

الى ابنتي لينا، أتمنى أنك تسمعينني الآن. أنا أشعر بالخزي والأسف، لقد كان علي أن أقف معك دائماً وفي جميع المواقف. لن أتخلى عنك مجدداً بعد الآن بدأت دموعه تذرف عندما تذكر لينا عندما لجأت إليه وهي في الخامسة عشرة من عمرها، فصدها ونبذها وتخلى عنها وترك مهمة تربيتها لأمها.

ابنتي كاتيا، لا تحقدي على أختك لينا فهي ضحية مثلك تماماً.

Twitter: @alqareah

سأبذل جهدي للإصلاح بينكما، وسأكون الى جواركما دوماً. كما وأتمنى أن تتعافي قريباً وتعودي الى الملاعب التي تحبك وتحبينها.

نظر في وجوه الصحفيين وقال: أشكركم جميعاً على إنصاتكم لي وأتمنى أن تنقلوا كلامي الى قرائكم ومتابعيكم. شكراً لكم. أنهى ميخا كلامه ولم يلتفت الى السيل العارم من الأسئلة التي انهالت عليه بمجرد أن ابتعد عن المنصة. ما السبب وراء اعتداء لينا على أختها كاتيا؟، هل كنت تفرق في المعاملة بين ابنتيك؟، هل لينا مدمنة على تعاطي المخدرات؟، متى تخليت عن لينا أول مرة؟، هل سيكون بإمكان كاتيا العودة الى ممارسة لعبة كرة المضرب؟، هل ستستقيل من عملك؟، هل ستتنازل كاتيا عن حقها في الاقتصاص من أختها؟

أحاط حراس ميخا ومستشاروه به، وشقوا له طريقاً بين جموع الصحفيين ودخلوا معه الى المستشفى، وهناك توجه الى مدخل الطوارئ ليجد سيرغي واقفاً بانتظاره الى جانب سيارة صغيرة ظللت نوافذها باللون الأسود، ركبا سوياً وانطلقا بهدوء بعيداً عن مبنى المستشفى.

Twitter: @alqareah

الفصل العاشر

المرحلة الأولى

كان لدى جواد مهمة محددة طلبها منه سالم عندما اجتمعا سوياً لوضع خطة لضمان فوز عادل وفريقه على باقي الفرق الخبيرة المتقدمة للمشاركة في مشروع انتشال قطار الذهب.

في ذلك اليوم طلب سالم من جواد أن يلتقيا بمفردهما، لأنه لم يرغب في تلك المرحلة من المشروع، أن يطلع باقي أفراد الفريق على ما يدور في خلده. كان سالم يرى أن جواد هو الشخص الأنسب ليعرض عليه أفكاره، لأن القسم الأكبر من الخطة سيقع على عاتقه.

قبل أن يجتمعا كان لدى جواد تصور مختلف عما يفترض القيام به لضمان فوز فريقه، فقد عزم على اختراق موقع شركة نانوتيك والتعرف على الفرق المشاركة، ثم استبدال معلومات أعضاء الفريق الفائز بمعلومات فريقه، وهكذا يذهب هو وأصدقاؤه بدلاً من الفريق الحقيقي. أخبره سالم أن الأمر لا يتم بهذه البساطة، وأنهم بحاجة الى خطة محكمة، فأي خطأ مهما كان بسيطاً سيؤدي الى الزج بهم في السجن.

كان لدى سالم تصور أكثر عمقاً لما يجب القيام به، فقد طلب من جواد أن يقوم أولاً باختراق سيرفر البريد الالكتروني، للإطلاع على الرسائل التي تصل الى الحساب competition@nanotech.ru، ونبهه أن

Twitter: @alqareah

المطلـوب فـي المرحلـة الأولـى هو المراقبة فحسـب، لهذا فكل ما عليه فعله بعد اختراق السيرفر أن يعدل من إعداداته بحيث يقوم بإرسال نسخة عن كل رسالة تصل الى ذلك الحساب الى بريد سالم الالكتروني.

في هذه الأثناء سيقوم عادل بإرسال طلب اشتراك فريقه الى البريد الالكتروني نفسه كأي فريق آخر، وهو ما حصل بالفعل.

في المرحلة الثانية من الخطة سيكون عادل قد جهز قائمة بالفرق التي يتوقع مشاركتها في المسابقة. سيكون على جواد وقبل ساعة واحدة من موعد انتهاء مهلة إرسـال الطلبات أي الأول من حزيران يونيو، أن يحدد الفرق الواردة في قائمة عادل والتي لم تتقدم للمسابقة.

سيختار سالم إحدى هذه الفرق، ثم يرسل طلباً بالاشتراك بالمسابقة بالنيابة عنها قبل انتهاء المهلة بفترة قليلة، مع تحديد عنوان بريد الكتروني مزور تحول الرسائل المرسلة إليه الى البريد الخاص بسالم. كان سالم مدركاً أن فريقهم لن يكون باستطاعته المنافسة مع الفرق الخبيرة، لهذا فقد فكر بحيلة تجعلهم قادرين على المنافسـة وذلك بالمشـاركة بالنيابة عن فريق شهير بعد التأكد من عدم تقدمه رسمياً للمسابقة.

في المرحلة الثالثة من الخطة سيقوم عادل بجمع معلومات ووثائق كافية عن الفريق الذي سينتحلون شخصيته، ويقدمها في الفترة بين أول حزيران يونيو وأول تموز يوليو.

في المرحلة الرابعة من الخطة وبعد التعرف على آلية اختيار الفريق الفائز، وذلك من خلال اختراق الشبكة الداخلية لشركة نانوتيك، سيكون على جواد التعديل في ملفات الفرق المنافسة لضمان اختيار الفريق الذي ينوون انتحال شخصيته، وبما أن الإعلان عن الفائز لا يتم بشكل علني وإنمـا ترسـل النتيجـة بالنجـاح أو الفشـل على البريـد الالكتروني للفرق المشاركة، فإن باقي الفرق لن تعرف باسم الفريق الفائز، أما الفريق الذي

Twitter: @alqareah

سينتحلون شخصيته فسترسل رسالة بالنتيجة الى البريد المزور المذكور في طلب الاشتراك والذي سيحوّل تلقائياً الى بريد سالم الالكتروني، مما يعني أن الفريق الحقيقي لن يعرف مطلقاً أنه اشترك بالمسابقة وفاز بها، وسيعني ذلك أيضاً أن فريق دبي الدولي لأعماق البحار، لن يفوز بالمسابقة، وإنما سيفوز بها فريق آخر سيشارك عادل ورفاقه باسمه.

كان سالم يرى أن هذه الطريقة مضمونة أكثر من قيامهم بالمشاركة باسم فريقهم، لأنه فريق مغمور وسيثير الانتباه في حال تم التلاعب بالنتيجة ليفوز بالمسابقة، أما إن كان الفريق الفائز صاحب اسم معروف فإن أحداً لن يدقق في التفاصيل. طبعاً كان كل ذلك سابق لأوانه، ويعتمد على كثير من الافتراضات التي قد لا تتحقق وفقاً لخطة سالم، لهذا كان على جواد التأكد من تنفيذ مراحل الخطة بحذافيرها وبالترتيب المتفق عليه، والاجتماع بسالم دورياً لإخباره بآخر المستجدات. أما باقي الفريق فقد اتفق سالم وجواد أن لا يخبراهم بأيٍ من هذه التفاصيل الى أن ينجحا فعلياً في اجتياز المراحل الأربعة، وتصل الى سالم الرسالة التي تخبره بأن الاختيار قد وقع عليهم للمشاركة في المسابقة.

في البداية لم يقتنع جواد بأن خطة سالم أفضل منْ خطته الخاصة، وجادل بأن كلي الخطتين في نهاية الأمر ستعتمدان على التلاعب في المعلومات الواردة في ملفات الفرق المشاركة. إذن لم الحاجة لإقحام فريق جديد، إذا كان من الممكن أن ننتحل شخصيات الفريق الفائز بكل بساطة، بوضع صورنا مع معلومات وهمية بدلاً من الصور والمعلومات الحقيقية لأعضاء الفريق الفعلي، وذلك في ملف الفريق الفائز، ثم نستبدل عنوان البريد الالكتروني المذكور في طلب الاشتراك بعنوان بريد الكتروني آخر خاص بنا، ثم نرسل رسالة الى بريد الفريق الحقيقي تخبره أنه لم ينجح في المسابقة، أما نحن فستصلنا على البريد الخاص

Twitter: @alqareah

بنا رسالة تفيد بفوزنا.

نبه سالم جواد الى الثغرات الواردة في خطته، فأولاً من يضمن أن اللجنة المشرفة على المسابقة لن تطلع على أسماء وصور أعضاء الفريق الفائز، قبل أن يقوم جواد باستبدالها بصور ومعلومات أعضاء فريقه، ثم كيف سيضمن أن لا ترسل اللجنة رسالة النجاح في المسابقة الى عنوان البريد الالكتروني الحقيقي للفريق الفائز، قبل أن ينجح جواد بتغييره.

أما خطة سالم فكانت آمنة أكثر وتعتمد كما شرح لجواد، على المشاركة باسم فريق معروف مع وضع معلومات حقيقية عن أعضائه ولكن بدون صور مما يقلل من فرص انكشاف الخدعة في وقت مبكر، وبما أنهم سيضعون عنوان بريد الكتروني مزيف من البداية، فإنهم سيضمنون بذلك أن نتيجة الفوز لن تصل إلا الى سالم.

وضح سالم لجواد أن التلاعب الذي سيطلب منه إجراؤه على الملفات سيكون بعد أن ينجح بطريقة ما في التعرف على معايير اختيار الفريق الناجح، والتي ستكون على الأغلب بناءاً على خبراته ومؤهلاته في هذا المجال، وعندها سيقوم بتعديل هذه المعلومات في ملفات الفرق، ليضمن أن يتمتع فريقه المزيف بأفضل المزايا، وهو أمر يمكن تصديقه إن كان الفريق الذي سينتحلون هويته فريق معروف.

كان سالم مدركاً أن هذه المرحلة من خطته هي المرحلة الفاصلة، وكان يعرف أيضاً أنها الحلقة الأضعف، لأن عليه أن يضمن بطريقة ما أن يتم التلاعب في مؤهلات الفرق في الوقت المناسب، قبل قيام اللجنة بإجراء تقييمها، لهذا فهو يعتمد بشكل كبير على المعلومات التي سيجمعها جواد حول الآلية التي سيتم إتباعها لتحديد الفريق الفائز، لأنه بدون هذه المعلومات ستكون خطته عديمة النفع.

كان كلاً من جواد وسالم مدركاً أن ما سيقومان به يحمل في طياته

Twitter: @alqareah

الكثير من المخاطر ناهيك عن كونه يدخل تحت نطاق الغش. كان جواد يتعامل مع الأمر على أنه تحدي ويجب الفوز به لإثبات جدارته، أما سالم فكان ينظر الى الأمر على أنها مغامرة شيقة ولكن محفوفة بالمخاطر. كان كلاهما قلقين من موقف روستام تحديداً من الخطة، فهما يعرفان مدى التزامه وتدينه وتحريه للمال الحلال، لهذا قررا أن يؤجلا إخباره بالحقيقة، وعوّلا على بغضه للحكومة الروسية، ليوافق على الاشتراك معهم في تنفيذ الخطة.

بدأ جواد بالعمل، فتوجه الى موقع الشركة الالكتروني .nanotech ru وقام بإجراء بعض الاختبارات عليه للتعرف على نوع نظام التشغيل المسئول عن إدارة السيرفر الذي يشغل الموقع، فاكتشف أن الموقع مدار باستخدام نظام تشغيل لينوكس وتحديداً توزيعة Ubuntu إصدار 10.04 LTS، وهو من الأنظمة ذات الحماية القوية وفقاً لما يعرفه جواد.

كانت الخطوة التالية تتمثل في التعرف على نوع وإصدار الويب سيرفر. توقع جواد أن يكون الويب سيرفر المستخدم هو من نوع Apache ولكن كان عليه أن يعرف رقم الإصدار. تبين بعد تشغيل أداة مسح المواقع أن إصدار الويب سيرفر كان 2.2.1. ابتسم جواد ابتسامة كبيرة عندما عرف أن الإصدار الحالي للأباتشي هو 2.2.15 مما يعني أن الإصدار المركب على سيرفر موقع الشركة لم يتم تحديثه الى الإصدار الأخير، وهذه معلومة تبشر بالخير.

قبل أن يقرر كيفية الاستفادة من هذه المعلومة، قام بإجراء مسح على المنافذ المفتوحة في السيرفر ليتعرف على الخدمات المحملة وإصدارات البرامج المسئولة عنها. توجه بعدها لاختبار سيرفر البريد الالكتروني فتبين له أنه من نوع Postfix الإصدار 2.7.

بعد أن انتهى جواد من تجميع معلومات كافية عن سيرفرات الشركة

Twitter: @alqareah

على الانترنت، كان عليه الآن أن يستفيد من هذه المعلومات في اختراق الموقع، والوصول الى بعض الملفات المهمة المخزنة على السيرفر، والتي تحتوي على أسماء مدراء النظام وكلمات مرورهم، إضافة الى حسابات البريد الالكتروني وكلمات المرور المرتبطة بها.

كان عليه أن يبدأ بالبحث عن ثغرات في الأنظمة والبرامج المحملة على السيرفر، لهذا توجه الى موقع http: //www.securityfocus.com وهو موقع متخصص في أمن المعلومات، ويحتوي على قاعدة بيانات بجميع الثغرات التي يتم اكتشافها بمختلف الأنظمة والبرامج.

قام بمقارنة أسماء الأنظمة والبرامج المحملة على سيرفرات الشركة وإصداراتها، مع قاعدة بيانات الموقع الأمني، واستطاع العثور على مجموعة لا بأس بها من الثغرات في الويب سيرفر، وسيرفر البريد الالكتروني، وبعض البرامج المشغلة لخدمات أخرى على السيرفر.

عكف جواد بعدها على اختبار الثغرات، وتطبيقها واحدة تلو الأخرى بعد أن اختار تلك الثغرات التي تحقق له هدفه في الوصول الى الملفات السرية، ليكسر حمايتها ويفك شيفرتها فيما بعد، ليحصل على الأسماء وكلمات المرور المطلوبة.

في تلك الليلة كان جواد يقوم بتنفيذ هجومه باستخدام كمبيوتره المحمول، وانطلاقاً من شبكة لاسلكية خاصة بأحد المقاهي المنتشرة على ممشى شارع الجميرا بيتش ريزيدنس.

زيادة في الحيطة جلس جواد في أحد المقاهي، واستخدم الشبكة اللاسلكية لمقهى آخر مجاور، ثم وكي ينجح في إزالة آثار محاولة الاختراق التي يقوم بها، فقد قام بالاتصال عن طريق سيرفر وكيل Proxy في دولة أخرى، بحيث إن شعر مدير الشبكة التي يحاول اختراقها بنشاط غير عادي على السيرفر، فإنه سيظن أن الهجوم يتم من دولة أخرى وليس

Twitter: @alqareah

الإمارات حيث يتواجد جواد في تلك اللحظة.

كان الممشى يعج بالمارة من مختلف الجنسيات عندما رفع جواد رأسه عن حاسوبه، وقرر أن يأخذ قسطاً من الراحة، بعد أن أمضى 3 ساعات متواصلة في تنفيذ المهمة الموكلة إليه.

كان جواد قد تعافى أخيراً من قصة الحب التي عاشها من طرف واحد، وأصبح مستعداً لخوض تجربة جديدة.

أخذ يتفحص وجوه المارة بحثاً عن الفتيات ويضع تقييماً لكل منهن وفقاً للشكل والهندام وطريقة المشي: هذه الفتاة العربية نحيفة ومشيتها رشيقة، ولكنها لا تحسن اختيار الملابس، لهذا سأعطيها 6 درجات من عشر، أما هذه الفتاة الفلبينية فلا تستحق أكثر من درجة واحدة بغض النظر عن المشية والشكل والهندام، فأنا لا تعجبني الآسيويات. هذه الفتاة الأوروبية تبدو مناسبة فهي شقراء وطويلة وتبدو رياضية، كما أن الملابس التي تلبسها تبدو متناسقة، سأعطيها 8 درجات. انهمك جواد في توزيع الدرجات على الفتيات وكأنه حكم في مسابقة لاختيار ملكات الجمال، قبل أن يتنبه الى سخافة ما يقوم به.

يا لي من شاب بائس. هل انعدمت طرق الترفيه والتسلية عن النفس، فلم أجد إلا أن أتفرس في وجوه وأجساد الفتيات بهذا الشكل وأضع تقييماً لهن. ترى لو كنت أنا المار أمامهن، ما هي الدرجة التي سيمنحونني إياها؟ لو كنت مكانهن لمنحتني 3 درجات على الأكثر ضحك جواد وهو ينظر الى سروال الجينز الذي يلبسه منذ عدة أيام.

علي أن آخذ بنصيحة والدتي وأسافر الى سوريا، فهناك سيكون من السهل أن أجد فتاة تناسب ذوقي فكر جواد وهو يقلب في ذهنه صور الفنانات السوريات اللواتي كان يتابع مسلسلاتهن في رمضان من كل عام.

Twitter: @alqareah

نفـض جـواد هـذه الأفـكار من ذهنـه، وقرر العودة الى العمل. كان قد نجح في استغلال الثغرات التي عثر عليها، في الوصول الى الملفات السرية التي تحتوي على قوائم مشفرة بأسماء مستخدمي النظام وكلمات مرورهم. كان عليه الآن أن يقوم بفك التشفير عنها.

قرر أن يستخدم أداة جون ذا ريبر ويستعين بقوائم كلمات المرور الدارجـة، لمحاولـة فـك التشـفير، حيـث تقوم هذه الأداة بمقارنة كلمات المـرور فـي الملـف المشـفر مـع الكلمات الواردة فـي القوائم الدارجة، فإذا فشلت في العثور على أي كلمة مرور دارجة مستخدمة في النظام، فإنها تنتقل الى الطور الاستقصائي Brute Force حيث يتم تجربة جميع الاحتمـالات لجميـع الرمـوز التـي قـد تكون مسـتخدمة في تكوين كلمة المرور، وهذا الطور يكون النجاح فيه مضموناً عادة، ولكنه قد يستغرق فتـرة طويلـة جـداً، وخاصـة إذا كانت كلمـة المرور طويلة وتحتوي على خليط من الأرقام والرموز والأحرف الصغيرة والكبيرة.

كان جواد متفائلاً في أن يتمكن من فك التشـفير باسـتخدام طور قوائـم كلمـات المـرور الدارجـة، فهذه الطريقة لا تسـتغرق سـوى دقائق معـدودة، وبنـاءاً علـى كـم الثغـرات التي عثـر عليها حتى الآن، فإن ذلك يعد مؤشـراً واضحاً على ضعف الإجراءات الأمنية، مما يبشـر باحتمال أن يكون مدير النظام، قد اختار كلمة مرور سـهلة أو دارجة، وفي هذه الحالة سيكون صيداً سائغاً لجواد وأمثاله.

تـرك جـواد الأداة تقـوم بعملهـا وتختبر كلمات المرور، بينما نهض هو من كرسيه وحمل كمبيوتره، وحرص أن لا يغلقه، وقرر التوجه الى مقهى آخر. مشـي عشـرات الأمتار قبل أن يعثر على طاولة شـاغرة في أحد المقاهي القريبة من نهاية الممشى وكان مقهىً إيطالياً. جلس هناك وطلب كوباً ساخناً من الكابوتشينو بنكهة البندق.

Twitter: @alqareah

قرر جواد أن يتصفح بريده الالكتروني بينما تقوم أداة فك التشفير بعملها. وجد أن المنطقة التي يتواجد فيها الآن ليس فيها سوى شبكة لاسلكية واحدة للوصول الى الانترنت، وكانت تبث من المقهى الذي يجلس فيه.

لم يكترث جواد للأمر، لأنه لم ينوي سوى تصفح بريده الالكتروني، أما العملية التي تقوم بها الأداة فلم تكن تتطلب اتصالاً بشبكة الانترنت، وذلك لأنه قام بتحميل ملف كلمات المرور على جهازه الخاص، وهو يقوم الآن بفك تشفيرها عليه، وهكذا لم يكن هناك أي خطورة من استخدام الانترنت في هذا المقهى.

حاول الولوج الى الانترنت باستخدام الشبكة اللاسلكية الخاصة بالمقهى، ولكن تبين له أنه بحاجة الى كلمة مرور كي يتمكن من استخدامها، لأنها لم تكن شبكة مفتوحة كتلك التي استخدمها في المقهى السابق. كان يعرف أنه قادر على اختراقها بسهولة والولوج الى الانترنت بأقل جهد، ولكنه قرر أن يطلب من النادل أن يزوده بكلمة المرور ليتمكن من استخدام شبكة الانترنت.

عاد النادل وهو يحمل بطاقة صغيرة تحوي على كلمة مرور مؤقتة تصلح للاستخدام لمدة لا تتجاوز الساعتين. أخذها جواد على مضض وقد عزم على كسر حماية الشبكة اللاسلكية لهذا المقهى، ولكن في يوم آخر. غضب جواد من فكرة تحديد فترة الساعتين، وكأن ذلك يعني أن عليه أن يطلب مشروباً آخر بعد ساعتين وإلا سيحرم من استخدام الانترنت.

تصفح بريده الالكتروني الخاص، وكان قد انتقل منذ بضعة أشهر من استخدام بريد ياهو الى استخدام بريد جوجل والذي وجد أنه يعج بالأدوات التي تفيده في مهامه.

Twitter: @alqareah

وجد عدة رسائل جديدة، كان من بينها رسالة من مديره في العمل يطلب منه أن يساعده في العثور على كراك لأحد البرامج التي يستخدمها في المنزل. سر جواد لهذا الطلب مع أنه عرف أنه غير مضطر لتنفيذه فهو طلب خاص، ولا يمت لعمله في الشركة بصلة، لكنه كان مدركاً أن هذا الطلب هو اعتراف من مديره بقدراته وهو أمر يدعو للفخر، كما فكر جواد في تلك اللحظة.

أما الرسائل المتبقية فكانت عبارة عن إعلانات وأخبار تافهة تندرج تحت تصنيف الرسائل المزعجة، فقام بحذفها فوراً.

لاحظ في تلك الأثناء أن جهازه ما عاد يصدر صوتاً يشير الى انهماكه في تنفيذ مهمة ما، فاستنتج أن الأداة قد توقفت عن العمل، مما يعني أحد أمرين، فإما أن تكون قد نجحت في اصطياد إحدى كلمات المرور، أو أنها ببساطة لم تعثر على أي كلمة مرور دارجة وتنتظر منه أن يسمح لها بالانتقال الى الطور الاستقصائي.

أحس أن قلبه بدأ ينبض بشدة من الإثارة، وهكذا نقر على أيقونة الأداة في شريط المهام، فانتقل التركيز إلي نافذة برنامج فك التشفير، وهناك وجد أن الأداة قد توقفت وقد عرضت السطر التالي:

Root:adminroot12345

فهم جواد أن الأداة نجحت في فك تشفير كلمة المرور الخاصة بمدير النظام صاحب اسم المستخدم root، حيث تبين أنه استخدم كلمة مرور دارجة هي adminroot12345.

أحس جواد بسعادة بالغة إذ تمكن من اختراق النظام بنجاح وأصبح ما تبقى من مهمته حاصل تحصيل.

انتهى من شرب الكابوتشينو ودفع الحساب ثم نهض من مكانه

Twitter: @alqareah

وعاد أدراجه بالاتجاه الآخر من الممشى. كانت الساعة تقترب من الحادية عشرة والنصف ليلاً، وكانت جموع السياح والزوار والمتسوقين قد بدأت تغادر فخف الزحام واستطاع جواد بسهولة أن يجد مكاناً شارغاً في مقهى جديد ليجلس فيه وينهي عمله.

عرف جواد من النادل أن المقهى يغلق أبوابه في الواحدة بعد منتصف الليل. كان ذلك أكثر من كافي لجواد لينهي عمله وفقاً لتقديراته.

ولج هذه المرة الى الانترنت بسهولة من شبكة لاسلكية مفتوحة تبث من أحد الفنادق القريبة من مكان جلوسه. بحث هذه المرة عن سيرفر بروكسي روسي ليتصل عن طريقه بالسيرفر المستهدف فيبدو وكأن مدير النظام الحقيقي هو من يستخدم السيرفر في ذلك الوقت.

وهكذا دخل جواد الى سيرفر الشركة باسم مدير النظام، وباستخدام كلمة مروره التي اكتشفتها أداة فك التشفير. قام أولاً بتحميل جميع الملفات التي عثر عليها على السيرفر الى جهازه الخاص، ليتصفحها فيما بعد عله يعثر على معلومات مفيدة بخصوص المسابقة.

توجه بعدها الى سيرفر البريد الالكتروني ووجد أن كلمة مرور مدير نظام البريد هي نفسها كلمة مرور مدير نظام اللينوكس الذي يشغل الويب سيرفر. استنتج جواد أن مدير الأنظمة في هذه الشركة هو من ضمن الناس الذين يحبون استخدام كلمة مرور واحدة لجميع أنظمتهم، كي يسهل عليهم حفظها. كان جواد يعرف أن هذا التصرف خطر جداً، ولكنه كان سعيداً بوجود مثل هؤلاء الأشخاص، فهم يسهلون على جواد وأمثاله مهمتهم.

وهكذا قام جواد وبكل بساطة بتعديل إعدادات سيرفر البريد الالكتروني ليقوم تلقائياً بإرسال نسخة من جميع الرسائل التي وصلت أو ستصل الى العنوان competition@nanotech.ru وتحويلها الى بريده

Twitter: @alqareah

الخاص ونسخة أخرى الى بريد سالم. زيادة في الاحتياط قام بإنشاء بريدين الكترونيين جديدين له ولسالم لتلقي الرسائل المحولة من سيرفر الشركة الروسية عليهما.

من حسن الحظ وجد جواد أن السيرفر يحتفظ بجميع الرسائل التي تم تناقلها عبره على مدى شهرين كاملين، وهكذا ضمن جواد الحصول على جميع الرسائل الخاصة بالمشاركة بالمسابقة، والتي يحتمل أن تكون قد أرسلت قبل قيامه باختراق النظام.

قبل أن ينهي عمله خطر بباله أن يقوم بتحويل نسخ من الرسائل الخاصة التي تصل الى مدراء الشركة الى بريده أيضاً، فربما يجد فيها بعد فرزها وترجمتها من الروسية الى الانجليزية ما يفيدهم في خطتهم. كل ما كان عليه فعله هو الدخول الى صفحة التعريف بمديري الشركة في موقعها على الانترنت، والتعرف على عناوين بريدهم الالكتروني ليخبر سيرفر البريد بتحويل نسخ من الرسائل الواردة إليها الى بريده الخاص.

كخطوة أخيرة وكإجراء احترازي لإخفاء آثار عملية الاختراق، قام جواد بمحو جميع البيانات من سجلات النظام والتي تشير الى دخوله أو قيامه بأي عمليات على الأنظمة الداخلية لسيرفرات الشركة.

شعر جواد بالنشوة بعد أن انهي عمله وأكمل المرحلة الأولى من خطة سالم بنجاح كبير.

كانت الساعة تقترب من الثانية عشرة والنصف ليلاً عندما أرسل جواد الرسالة القصيرة التالية الى هاتف سالم المحمول:

Phase One: Mission Accomplished

Twitter: @alqareah

الفصل الحادي عشر

مبررات سالم

عادت نتاشا الى المنزل في وقت متأخر في تلك الليلة بعد يوم عمل طويل ومرهق، فقد أوكل إليها مهمة الترجمة الفورية من الروسية الى الانجليزية، لتغطية أحداث المعرض الدولي للأسلحة والذي أقيم في مدينة أبوظبي بمشاركة روسية كبيرة.

كانت تلك المرة الأولى التي يطلب منها في العمل أن تقوم بالترجمة الفورية على الهواء مباشرة، فقد اعتادت في السابق أن تترجم المقالات والأخبار كتابياً وتسلمها لمعد الأخبار، أما اليوم فكان عليها أن تستمع للمتحدث الروسي وتقوم بترجمة كلامه فورياً الى اللغة الانجليزية. في البداية أحست برهبة كبيرة من هذه المهمة، وكانت على وشك أن ترفضها، لولا أنها قررت في اللحظة الأخيرة أن تتصل بزوجها لتستشيره، فما كان منه إلا أن شجعها وحثها على قبول المهمة، وأكد لها أنها ستنجح في تنفيذ ما طلب منها على أكمل وجه، وذكرها أن هذه فرصة لا تعوض لثبت جدارتها ولتتقدم في مهنتها. ساهم كلامه في تهدئتها وإعادة الثقة لنفسها، وإن كان ذلك لم يمنع شعورها ببعض التوتر عندما وضعت السماعات على رأسها، وأخذت تنصت الى كلام المتحدث الروسي وتترجمه بدون أن يتاح لها أن تستمع الى كلامها المترجم.

Twitter: @alqareah

عانت في ترجمة الجمل الأولى من بعض البطء فخرجت الترجمة من فمها واضحة ولكن متأخرة، وكانت تضطر الى إسقاط بعض الكلمات. استطاعت بعد دقائق معدودة أن تتمالك نفسها، وأن تعدل من سرعة ترجمتها، فخرجت الجمل متناسقة ومفهومة، وبدت وكأنها تقرأ من مقال مكتوب.

أشاد رئيسها في العمل بجودة ترجمتها بعد أن انتهت الكلمة الأولى، مما أعطاها دفعة معنوية كبيرة أعانتها في ترجمة بقية كلمات المتحدثين الروس في ذلك اليوم الطويل.

بمجرد دخولها الى المنزل استلقت نتاشا على الأريكة المواجهة للنوافذ الزجاجية التي ترتفع من الأرض الى السطح، وتشغل ثلثي مساحة الجدران في الصالة، مما يسمح بالحصول على مشهد بانورامي رائع لمدينة دبي وخاصة من الارتفاع الشاهق في الطابق الثلاثين.

كانت نتاشا معجبة جداً بالشقة التي استأجرها سالم في هذه المنطقة الحيوية من المدينة والتي يطلق عليها دبي الجديدة، وكانت ممتنة له لأنه ترك لها مهمة تأثيثها وفقاً لذوقها، وإن كانت قد سمحت له بإبداء بعض الملاحظات، والمساهمة معها في اختيار بعض قطع الأثاث. لقد اتفقا سوياً على اعتماد الأسلوب الأمريكي في التأثيث، والذي يتميز بالأناقة والبساطة، والابتعاد عن التكلف والمبالغة، مع توفير مساحات كبيرة للتجول بحرية في الشقة.

حمداً لله على السلامة يا حلوتي فوجئت نتاشا بوجه سالم يطل عليها من الأعلى من خلف الأريكة حيث استلقت لتنال قسطاً من الراحة، وقد أغفلت خلع حذائها أو تغيير ملابسها من شدة التعب.

ابتسمت له بدلال.

تبدين مرهقة يا نتوش علق سالم على هيئتها، وناداها وعلى عادة

Twitter: @alqareah

أهل الشام وكثير من العرب غيرهم، باسم دلع مصغر اختاره لاسم نتاشا الروسي.

نعم يا حبيبي، فقد كان هذا اليوم طويلاً جداً ومرهقاً للغاية ردت نتاشا وقد أغمضت عينيها نصف تغميضة.

المهم بشريني، كيف كان أداؤك؟ هل أحسنت الترجمة؟ سألها سالم بنبرة فرحة تنم عن الثقة بالإجابة.

ابتسمت نتاشا وفتحت عينيها على وسعهما لقد كان أدائي رائعاً وقد أشاد الجميع بترجمتي.

كنت واثقاً من ذلك دار حول الأريكة وانحنى على زوجته، فاحتضنها وطبع قبلة على رأسها.

كان ذلك بفضل تشجيعك لي لفت ذراعيها حول رقبته وجذبته نحوها ومسدت شعر رأسه.

ما رأيك أن تقومي فتبدلي ملابسك، وأقوم أنا فأعد لك عشاءً شهياً؟ كان فمه بجوار أذنها.

طبعاً عندما تقول أنك ستعد لي عشاءً شهياً، فإنك تقصد أنك ستطلب بيتزا من المطعم ابتسمت نتاشا وهي تدفع زوجها بلطف بعيداً عنها لتنهض من الأريكة.

بالتأكيد، وهل أوحى كلامي بغير ذلك؟ ضحك سالم ووقف على قدميه بالقرب من الأريكة، وأمسك بيد زوجته وسحبها فنهضت معتمدة على قوة ذراعه.

قامت نتاشا فخلعت حذاءها ولبست خفافة، ثم ذهبت الى غرفة نومها فنزعت ملابس العمل، ثم دخلت الى الحمام الداخلي الملحق بالغرفة، فملأت المغطس بالماء الساخن، وأضافت إليه بعض الأملاح وقليلاً من سائل الاستحمام، ثم غمرت نفسها فيه.

Twitter: @alqareah

ساهمت الأملاح بتخفيف الإرهاق وآثار الإجهاد، وشيئاً فشيئاً شعرت نتاشا بالارتخاء، وقررت أن تسمح لنفسها بأن تغمض عينيها، علها تحصل على غفوة قصيرة.

أخذت الأفكار والذكريات تتسارع أمام عينيها، فشاهدت نفسها وعمرها لا يتجاوز العاشرة، وهي تلعب أمام المنزل في مدينة خاركوف الأوكرانية، وبصحبتها والداها الذان كانت أعينهما تفيض بالحب والحنان. انتقل المشهد سريعاً لذكرى أخرى بعد بضعة أعوام، فرأت نفسها تجلس على المدرج في الجامعة وحولها زملاؤها وزميلاتها. كانت في ذلك الوقت قد تحولت الى شابة حسناء يحاول الجميع خطب ودها. لقد حاول كثير من الشبان الروس التقرب اليها، ولكنها كانت تصدهم جميعاً لأنها كانت واثقة من سوء نواياهم. لم تكن نتاشا مثل قريناتها ولم تفكر مثلهن. أحست بقلبها ينبض بشدة بين جنباتها عندما انتقلت ذكرياتها الى لقاءها الأول بسالم، في مقهى الوردة البيضاء بالقرب من محطة مترو بوشكينسكايا.

تذكرت نتاشا أنها في لقائها الأول بسالم لم تستلطفه كثيراً، أما في اللقاء الثاني والذي كان في اليوم التالي فكان اللقاء مختلفاً تماماً فقد أعجبت بشخصيته جداً، مع أنها في ذلك اليوم كانت تظن أنها تجلس مع أخيه التوأم سليم، وذلك قبل أن تعرف فيما بعد أن سليم في الحقيقة كان قد مات في حادث تحطم الطائرة الذي نجى منه سالم. وحزنت كثيراً عندما عرفت أن سليماً ضحى بنفسه لينقذ أخاه سالم.

علمت نتاشا فيما بعد أن سالم كان قد تأثر جداً بالحادث لدرجة أن تقمص شخصية أخيه سليم، ليقنع نفسه أنه لم يمت وأنه موجود معه، وهكذا عرفت نتاشا أن الشخص الذي جلست معه في اللقاء الثاني وأعجبت بشخصيته كان في الحقيقة هو سالم نفسه، ولكن أثناء تقمصه

Twitter: @alqareah

لشخصية سليم أخيه.

تذكرت نتاشا الفترة الصعبة التي قضاها سالم وهو يعاني من الآثار النفسية لفقدانه أخيه، وتذكرت كيف بدأ حبه يتسلل الى نفسها شيئاً فشيئاً. كانت تخشى في البداية أن يكون هذا الحب ما هو إلا تعاطف مع فجيعته وأسىً على حاله. لكنها تأكدت فيما بعد أنها كانت تحبه فعلاً لشخصه وليس شفقة عليه، وذلك عندما اكتشفت العديد من جوانب شخصيته مما جعلها تهيم فيه حباً، فقد أعجبت بطيبته وشدة وفائه لأخيه، ورأت بعينيها صفاء قلبه ونقاء نفسه وقرب دمعه وصدق حبه، فوافقت على الزواج به بعد فترة قصيرة من تماثله للشفاء، وكانت سعيدة بإيداع نفسها أمانة في عنقه في الغربة بعيداً عن وطنها وأهلها.

فيما كانت نتاشا مستمتعة بذكرياتها رن جرس الباب، فخمنت نتاشا أن زوجها قد انتهى من إعداد الطعام، أو بالأحرى أن عامل التوصيل قد أتى بالبيتزا الى الشقة.

ما نوع البيتزا التي طلبتها اليوم؟ سألت نتاشا بصوت مرتفع من غرفة النوم، بعد أن خرجت من الحمام وأخذت في ارتداء منامة حريرية ناعمة.

بالمأكولات البحرية رد سالم من المطبخ، وقام بإحضار الشوك والسكاكين ووضعها على مائدة الطعام في الصالة.

بعد أن انتهت نتاشا من ارتداء ملابسها وتجفيف شعرها وتصفيفه، انتقلت الى الصالة فجلست الى المائدة على الكرسي المقابل لكرسي زوجها أنت تعرف أني أحب البيتزا بالخضار، فلماذا أحضرتها بالمأكولات البحرية؟ سألت زوجها معاتبة وهي تنظر الى قطعة البيتزا التي وضعها سالم في الصحن أمامها.

وأنا مثلك أحبها بالخضار، ولكن ارتأيت هذه المرة أن نجرب نوعاً جديداً ابتسم سالم وقطع بالسكين قطعة صغيرة من البيتزا التي

Twitter: @alqareah

في صحنه، ورفعها بالشوكة وقربها من فم نتاشا، ولوح بها كأنها طائرة تقترب من المطار.

ابتسمت نتاشا وفتحت فمها واستقبلت اللقمة بمرح.

ما رأيك هل أعجبك طعمها؟

مضغت نتاشا ببطء لتتذوق بشكل أفضل، وتتمكن من تقييم الطعم إنها جيدة لا بأس بها.

أرأيتِ؟ ما كان لنا أن نعرف بأن طعم هذا النوع من البيتزا لذيذ سوى بتجربته ابتسم سالم وهو يضع في فمه قطعة كبيرة.

لكني أخشى أن تكون نزعتك الى التنويع تمتد الى ما هو أبعد من مجرد تنويع في أصناف الطعام قالت نتاشا وهي تحاول أن تأسر عيون زوجها بنظرتها الخلابة.

ماذا تقصدين؟ سأل سالم بحيرة وأوقف يده بينما كانت تقترب بالشوكة من فمه.

أنا لم أنسى زيجاتك المتعددة عندما كنت طالباً في أوكرانيا ابتسمت نتاشا وهي لا تزال لم تطلق سراح عيني زوجها.

ابتسم سالم بدوره وعادت يده لتكمل طريقها نحو فمه من يملك الماس لا يهتم بالكريستال قال بعد أن انتهى من مضغ اللقمة التي أودعها فمه.

ألم تسمع بقصة اليهود الذين فضلوا الفول والبصل على المن والسلوى؟ غمزته بعينها.

هذه القصة موجودة في القرآن أيضاً مضغ قطعة جديدة لكني لست يهودياً من حسن حظك ضحك سالم.

ضحكت نتاشا بدورها وقررت أخيراً أن تطلق سراح عيني سالم.

تطوعت نتاشا بإعداد الشاي الأخضر بالنعناع لها ولزوجها، وجلسا

Twitter: @alqareah

سوياً على الأريكة، بعد أن أطفأت الأنوار، وقامت بإشعال شمعة معطرة برائحة أزهار الخزامى. لقد اعتادا على فعل ذلك كل ما سنحت الفرصة، للاستمتاع بالمنظر الليلي لمدينة دبي.

رأيت في العمل اليوم طفلة صغيرة آية في الجمال، أتت بصحبة والدتها التي تعمل محررة للأخبار في القناة ارتشفت نتاشا رشفة صغيرة من كوب الشاي الساخن الذي حملته بيديها الاثنتين، بعد أن انخفضت حرارته قليلاً فأصبح ملائماً لإمدادها بالدفء من غير أن يحرق يديها.

كم عمرها؟ سأل سالم وهو مستغرق في تأمل المشهد الليلي.

عامان ونصف.

الأطفال رائعون في هذه السن.

أجد نفسي في الفترة الأخيرة أفكر كثيراً في الأطفال، وأتلهف على مداعبة أي طفل صغير أراه في العمل أو السوق، أو في المصعد وأنا متجهة الى شقتي أو نازلة منها. ترقبت نتاشا ردة فعل سالم، وتمنت أن يكون قد فهم تلميحها.

إنها عاطفة الأمومة وهي طبيعية، وتشعر بها جميع النساء على حد علمي.

لم تكن هذه هي الجملة التي تنتظرها أو تتوقعها. حاولت مجدداً وأنت ألا تشعر بانجذاب نحو الأطفال؟

أنا أحب الأطفال وخاصة أولئك الذين لم تتجاوز أعمارهم الست سنوات.

حسناً، وماذا أيضاً؟ ألم تفهم بعد؟ تساءلت نتاشا في نفسها، ثم سألته بصوت مسموع: ما الاسم الذي تود أن تطلقه على مولودنا الأول؟

سليم. أحب أن أسميه باسم شقيقي التوأم رحمه الله.

وإن كان المولود الأول أنثى، ماذا تحب أن تسميها؟

Twitter: @alqareah

إن كانت بنتاً فسأدع لك مهمة تسميتها كان سالم لا يزال ينظر بعيداً عبر النوافذ المواجهة لأريكتهما.

هل يعني ذلك أنك تفضل أن ترزق بولد على أن ترزق ببنت؟ سألت نتاشا ورسمت على وجهها تكشيرة مزيفة.

لا فرق. في هذا الزمان لم يعد هناك فرق كبير بين الولد والبنت.

متى تحب أن نفكر جدياً بالإنجاب لأتوقف عن أخذ الموانع؟ سألته نتاشا بشكل مباشر بعد أن يئست من أن يفهم مرادها بمفرده.

نظر سالم إلي وجه زوجته وتأمله بتمعن هذا الأمر يعود إليك. أنا أحب أن أنجب أطفالاً منك، على أمل أن يحملوا ولو مقداراً ضئيلاً من جمالك.

ابتسمت نتاشا وتوردت وجنتيها خجلاً.

لكني تركت الأمر لك لأني أعرف تعلقك بعملك الجديد، ورغبتك في إثبات جدارتك. وأنت تعرفين أن الحمل والوضع، ثم رعاية المولود، ستأخذ الكثير من وقتك، وستضطرك على الأغلب لأخذ إجازة طويلة من العمل، قد تمتد الى سنة أو أكثر، فأنا لا أحب أن ننجب أطفالاً ثم نلقي بهم الى الخادمات والمربيات. لهذا إن وجدت نفسك مستعدة الآن للإنجاب والتضحية بعملك، ولو مؤقتاً، فأنا أؤيدك وأشد على يديك، وإن رغبت بتأجيل ذلك سنة أخرى، فلن أمانع أيضاً. وهكذا ترين أن الأمر يعود إليك أنت لتقرري، ولكن تذكري أن هذا القرار لا رجعة فيه.

أنصتت نتاشا الى كلام سالم، وكانت تومئ برأسها بين الفينة والأخرى.

لقد فكرت ملياً طوال الأسابيع الماضية قبل أن أقرر أن أفاتحك في هذا الأمر. صحيح أني متعلقة الآن بعملي وسعيدة به، ولكني أخشى مع مرور الوقت أن يزيد تعلقي به، فأجد صعوبة في تركه في المستقبل

Twitter: @alqareah

ولو بشكل مؤقت، كما أن عاطفة الأمومة كما سميتها قد طغت على حبي للعمل، وأصبحت أشعر أني تواقة للحصول على طفل منك يزيد من ترابطنا. وعلى العموم الى أن أحمل فعلياً وأقترب من الوضع، ستمر شهور عديدة، أكون قد حجزت فيها مكاناً مناسباً لي في القناة، بحيث لا أضطر لبذل كثير من الجهد لإثبات جدارتي مجدداً، عندما أرجع الى العمل بعد عام.

في هذه الحالة لا أملك إلا أن أشجعك على اتخاذ هذه الخطوة، وسيكون خبر حملك من أسعد الأخبار على قلبي، وأظن أن الوقت الأمثل لذلك سيكون بعد انتهائنا من المغامرة في روسيا قبل أن تعلق نتاشا على جملته الأخيرة وضع سالم كوب الشاي على الطاولة أمامه، وأخذ كوب زوجته أيضاً ووضعه أمامها، ثم اقترب منها وعانقها بحميمية، ومسد ظهرها براحة يده اليمنى صعوداً ونزولاً.

رن جرس هاتف سالم فتأفف الزوجان من ذلك المزعج الذي قطع عليهما لحظات الخلوة.

نهض سالم من الأريكة بعد أن طبع قبلة سريعة على شفتي زوجته، وتوجه الى المنضدة القريبة من التلفاز، حيث ترك هاتفه المحمول من نوع Blackberry متصلاً هناك بمقبس الكهرباء ليشحن بطاريته.

كان عادل هو المتصل. فكر سالم في البداية أن لا يرد على الهاتف، ويدعي فيما بعد أنه كان نائماً عندما تلقى الاتصال، وخاصة أن الساعة كانت تقترب من الحادية عشرة والنصف ليلاً، لكنه عدل عن ذلك عندما تذكر أن عادل لم يعتد الاتصال في وقت متأخر كهذا، مما يعني أن الأمر هام.

وعليكم السلام ورحمة الله، كيف حالك يا عادل؟

أخذت نتاشا تراقب زوجها بينما كان يتحدث بالهاتف.

Twitter: @alqareah

لا تقلق لازلنا مستيقظيْن نظر سالم الى ساعة يده.

تفضل، كلي آذان مصغية بدا الاهتمام جلياً على وجه سالم وهو ينصت الى شرح عادل.

لابد أنه أمر هام فكرت نتاشا.

عظيم علق سالم بسرور بالغ بعد دقائق من الصمت والهمهمة.

أرجو أن تبعث لي نسخة بالأسماء مع النبذة التي أعددتها عن كل منهم، ولا تنسى أن تبلغ جواد شكري لمساهمته في جمع هذه المعلومات، وقد أتصل به بنفسي لأشكره فدوره حاسم في المشروع أكثر مما قد تتصور، ولولاه لما كان من الممكن أصلاً أن نفكر بالمشاركة.

نعم أعرف أنك لا تعلم شيئاً عن دور جواد الفعلي. لقد وعدتك بإخبارك بجميع التفاصيل بمجرد إتمام الأمر وإعلامنا بالنتيجة.

شكراً لك، كدت أنسى رفع سالم راحة يده اليمنى وضرب بها ناصيته. نعم يوم الجمعة مناسب.

سأخبر نتاشا بالتأكيد نظر سالم الى زوجته.

هل دعوت باقي الشلة؟

عظيم. إذاً سيحضر الجميع.

نعم اتفقنا. نلتقي الجمعة إن شاء الله. في أمان الله.

أقفل سالم الخط، وعاد ليجلس بجانب زوجته.

ما الذي سيجري يوم الجمعة؟ سألت نتاشا باهتمام.

أرجو المعذرة، لقد نسيت أن أخبرك أني اتفقت مع عادل على أن نزوره نحن وباقي الشلة يوم الجمعة القادم في محل عمله، ليعطينا نبذة عن اليخوت والسفن والغواصات وكيفية قيادتها، والإجراءات المتبعة لضمان السلامة على متنها، وربما انطلقنا معه في رحلة بحرية على أحد اليخوت التي يقوم بإصلاحها.

Twitter: @alqareah

فكرة رائعة بالفعل. كيف لك أن تنسى أن تخبرني بهذا الأمر لأستعد له وأشتري الملابس المناسبة للسباحة؟ ابتسمت نتاشا ابتسامة خفية.

لم يذكر أحد أي شيء بخصوص السباحة، ومن قال لك أصلاً أني من الممكن أن أسمح لك بالسباحة أمام الناس؟ ظهر شيء من الغضب والدهشة على وجه سالم.

أرى أن عقليتك الشرقية بدأت تسيطر عليك ابتسمت نتاشا وهي تحاول استفزاز زوجها.

لا علاقة للشرق أو الغرب بهذه المسألة، كل ما في الأمر أن العرب والمسلمين يحرصون على أعراضهم أكثر من غيرهم.

لاحظت نتاشا أن مزاج سالم قد بدأ يتغير، فأسرعت لإصلاح الأمر أنا أمازحك فقط، فأنت تعرف أني وحتى عندما كنت في أوكرانيا كنت أحرص على ارتداء الملابس المحتشمة، كما أن أهلي يهتمون بمسألة الشرف مثلكم تماماً، مع أني أعترف أن عائلتي المحافظة تمثل حالة نادرة في أوكرانيا. اطمئن لن يرى جسدي الجميل سواك يا زوجي الغاضب ابتسمت بدلال وتصنعت الخجل.

نجحت نتاشا في امتصاص غضب زوجها فبادلها الابتسامة. لقد كانت نتاشا من أولئك الزوجات اللواتي يحسنَّ التعامل مع أزواجهن، فلا يسمحن لأمور تافهة أو مشاكل صغيرة أن تنغص عليهم حياتهم، لكن ذلك لا يعني أنها كانت زوجة مستكينة أو مستضعفة، وإنما كانت ببساطة تحسن إدارة الحوار والتعامل مع الأزمات، والوصول الى أهدافها بطرق محببة ربما استخدمت فيها حنكتها ودلالها.

ولكن كيف سنبحر معه في يخت غير مملوك له؟ سألت نتاشا.

أخبرني عادل سابقاً أنه كثيراً ما يضطر الى الإبحار باليخوت التي يقوم بإصلاحها لتجربتها، والتأكد من سلامتها وخلوها من أي أعطاب

Twitter: @alqareah

أو مشاكل إضافية، لهذا فالإبحار بهذه اليخوت يدخل في صميم عمله.

أومأت نتاشا برأسها وقد اقتنعت بإجابة زوجها.

سمعتك تتحدث معه عن مشروع وأسماء ومعلومات، هل تعملان سوياً على مشروع ما خاص بالعمل؟ سألت نتاشا باهتمام، وقد استلقت على الأريكة واتخذت من فخذ زوجها الجالس بقربها وسادة لها.

أخذ سالم يمسد شعر زوجته الحريري يا لك من فتاة فضولية تحبين استراق السمع قالها بلهجة المؤنب لطفل صغير.

مدت نتاشا شفتها السفلى ورسمت على وجهها تعبيراً حزيناً، فبدت كطفلة رفض والداها شراء دمية لها.

ضحك سالم حسناً. حسناً. أنت تعرفين أني لا أقوى على مقاومة هذه النظرة الحزينة. لا تحزني يا فتاتي الصغيرة، سأشتري لك دمية جديدة.

لم تتمالك نتاشا نفسها وضحكت رغماً عنها.

كنا نتحدث عن مشروع المسابقة التي سنشترك بها.

آه. لقد نسيت أمر هذه المسابقة تماماً، وأنت لم تزودني بأي أخبار حول آخر المستجدات.

صدقتِ في ذلك. باختصار فقد قام روستام بتسجيل الشركة التي تمثل الفريق، ونجح عادل في تقديم طلب الاشتراك عبر البريد الإلكتروني، وأخبرني اليوم أنه جمع بمساعدة جواد معلومات كافية عن الفرق التي قد تشارك في المسابقة.

ولم أنتم بحاجة الى جمع هذه المعلومات؟

ابتسم سالم نحن بحاجة الى هذه المعلومات للقيام بحيلة صغيرة لزيادة فرص نجاحنا في المسابقة. في الحقيقة لم أخبر أحداً بذلك عدى جواد لأنه الوحيد الذي سيتمكن من مساعدتي في تحقيق ما أخطط له .

Twitter: @alqareah

ولن تخبر زوجتكِ الحبيبة نتوش بما عزمت على القيام به كالعادة لجأت نتاشا لدلالها ونظراتها الآسرة التي تعمل عمل التنويم المغناطيسي، وكأن الأشعة التي تنطلق من عينيها فتخترق جسد سالم كانت مشبعة بعقار بنتاثول الصوديوم المستخدم في الإجبار على قول الحقيقة.

نجحت نتاشا أخيراً بعد عدة محاولات في إضعاف مقاومة زوجها، وحمله على البوح لها بكل ما يخفيه، وباتت محيطة بالخطة التي يعدها سالم بالاستعانة بجواد.

ألا ترى في هذه الخطة مخاطرة كبيرة؟ سألت نتاشا زوجها وقد عدلت من جلستها، فثنت ساقها اليمنى تحت فخذها الأيسر على الأريكة، وأنزلت قدمها اليسرى على الأرض، فأصبح وجه نتاشا مقابلاً لزوجها، والذي لم يغير من جلسته المستقيمة، وإنما اكتفى بإدارة جذعه قليلاً ليصبح وجهه مواجهاً لوجه زوجته، بينما اتكأ بساعده الأيمن على ذراع الأريكة.

أتفق معك أنها لا تخلو من بعض المخاطر.

وأنت مدرك أن هذه المخاطر تتضمن احتمال أن يتم القبض علينا والزج بنا جميعاً في السجن؟ سألت نتاشا والقلق بادٍ على وجهها الجميل.

تفكر سالم لبرهة من الزمن في سؤال زوجته قبل أن يجيبها وقد أشاح ببصره بعيداً عن عينيها أنا مدرك لذلك، وإن كنت في الحقيقة لم أفكر ملياً في هذه العواقب، لقد نظرت الى الأمر على أنه مجرد مغامرة كبيرة، وربما اعتمدت على ثقتي بقدرات جواد على إخفاء أي دلائل تشير الى تلاعبنا بالأسماء.

لكنك بذلك تضع مصيرنا بين يدي جواد، فأي هفوة صغيرة من طرفه ستتحمل جميعاً مسئوليتها، ثم هل أنت واثق أن روستام وعادل سيوافقان على المشاركة بخطة كهذه محفوفة بالمخاطر؟

Twitter: @alqareah

في الحقيقة إن المسئولية ستقع على جواد بالدرجة الأولى لأنه فعلياً هو من سيقوم بجميع عمليات الاحتيال الالكتروني، أما نحن فمشاركتنا محدودة في الأمور التي تعد مخالفة للقانون وجواد مدرك لذلك تماماً، وهو موافق على تحمل المسئولية في حال فشلت الخطة.

قد يكون ذلك ما هو إلا تهور منه، ثم من قال أننا لن نشارك في أمور مخالفة للقانون؟ أنسيت أننا ووفقاً لخطتك، سنشارك جميعاً منتحلين شخصية فريق أجنبي لا علاقة لنا به؟ بدأت نتاشا تتحدث بشيء من العصبية بدون أن تشعر.

نعم، صدقتِ. لقد غابت عن ذهني هذه الحقيقة بدا سالم كالطالب الذي يتلقى توبيخاً من معلمه على تقصيره في الدراسة.

ثم هل ترى أننا بحاجة لمخاطرة كهذه؟ وهل تجد أن الملايين التي سنحصل عليها في حال نجحت خطتك ثم تمكّنّا من انتشال الذهب، تستحق أن نعرض أنفسنا لخطر كهذا؟

في الحقيقة ليست النقود هي الدافع لدي للتفكير بهذه الخطة، وإنما الرغبة في المشاركة في مغامرة كبيرة. لقد سئمت الحياة الرتيبة، وأصبحت أتوق لفعل شيء خارج عن المألوف. أنت محقة أن الخطة محفوفة بالمخاطر، ولكن حياتنا كلها محفوفة بالمخاطر، فمثلاً هل تدركين أن الفلسطيني مثلي معرض في أي لحظة للاستغناء عن خدماته وطرده من أي بلد عربي، بمجرد أن تتسرب إشاعة تشير الى قرب توصل الإسرائيليين والفلسطينيين الى حل شامل للقضية الفلسطينية يتضمن توطين اللاجئين في البلاد العربية، فيدب الهلع في أوساط المتنفذين في الحكومات العربية، وتصدر القرارات بتهجير الفلسطينيين عنوة من البلاد قبل أن يصدر قرار دولي وبمباركة وضغط أمريكي بتوطينهم. هذا مع العلم أني لست لاجئاً وعائلتي تعيش في نابلس، ولكن حالة الرعب

Twitter: @alqareah

التي ستصيب الدول العربية ستجعلهم يعملون بمبدأ سد الذرائع، فمن لديه الوقت والجهد ليستطيع أن يفرق بين الفلسطيني اللاجئ والفلسطيني المواطن، سيكون من الأسهل طردهم جميعاً، وقد حدثت حالات كثيرة كهذه في عدد من البلدان العربية في فترات متباعدة، وكان الفلسطيني البسيط هو الضحية.

كما أن خطتي لا تتضمن أي اعتداء على أحد أو سرقة لمجهود الآخرين، كل ما في الأمر أننا سنجعل لأنفسنا الأولوية في المشاركة في عملية انتشال الذهب قبل غيرنا من الفرق، فإن فشلنا في العملية، ستنتقل المهمة تلقائياً لفريق آخر.

وأنت تدركين أننا ما كان لنا أن نفوز مطلقاً حتى وإن امتلكنا الخبرات الكافية، وذلك فقط لأننا آتون من الشرق الأوسط الموسوم بالإرهاب والمشاكل، وربما تذكرين تلك القضية التي شغلت الرأي العام عندما تقدمت شركة موانئ دبي العالمية لإدارة ستة من الموانئ الأمريكية، ورغم السمعة العالمية الطيبة التي تتمتع بها الشركة الإماراتية إلا أن الحكومة الأمريكية ممثلة في مجلس النواب سارعت الى إبداء مخاوفها، وعملت على استصدار قرارات تمنع الشركة العربية من القيام بمهامها، ثم لجأت الى ممارسة الضغوط على الشركة الى أن أعلنت تخليها عن المشروع، وتعهدها بنقل إدارة الموانئ الى جهة أمريكية.

لا تفهمي من كلامي أني أحاول أن أبرر ما أنا مقدم عليه، ولكني أود أن تعلمي أني عزمت على المشاركة في هذه المسابقة رغم ما تحمله من مخاطر، ولكني لن أرغم أحداً على مشاركتي، وسأحرص على إخبار روستام وعادل بتفاصيل الخطة بمجرد أن ينجح جواد في مهمته، وسأترك لهما الخيار في الاشتراك معنا أو الاعتذار عن الانضمام إلينا، وأنا مدرك انه سيكون من الصعب أن أجد بديلاً عن عادل نظراً لخبرته في أمور

Twitter: @alqareah

السفن والغواصات، ولكني مع ذلك لن أستسلم حتى وان اضطررت لاستمالة خبير ما للانضمام إلينا.

طبعاً أنا أتمنى أن ننفذ الخطة معاً بدون أن نضطر للاستعانة بغريب، ولكني في نفس الوقت لا أستطيع إرغام أحد على القيام بعمل يرفضه، وبطبيعة الحال لن أخدع أصدقائي بل سأوضح لهم جميع المخاطر التي تحف المشاركة في هذا المشروع.

وحتى أنت يا حبيبتي، تستطيعين أن ترفضي المشاركة معنا، وسأحترم رغبتك ولن أرغمك على شي. نظر سالم الى نتاشا فوجدها مستغرقة في التفكير. لقد كانت تنصت إليه بتركيز ولم تحاول أن تقاطعه أو تعترض على كلامه.

لقد عاهدتُ نفسي أن أكون دوماً الى جوارك، وسأخوض معك المخاطر مهما كانت، فأنا لا أستطيع أن أتصور حياتي بعيداً عنك، وما دمتَ قد عزمت أمرك على المشاركة في هذه المغامرة، فستجدني معك قلباً وقالباً فتحت نتاشا ذراعيها ومالت على زوجها فاحتضنته من خصره الضامر وأرخت رأسها على صدره.

قبل سالم جبهة زوجته ومسد رأسها بيده اليسرى بينما كانت يده اليمنى تربت على ظهرها كنت واثقاً من موقفك هذا. تأكدي أني لن أتهور وسأدرس كل خطوة من الخطة بعناية فائقة قبل الإقدام عليها، وأعدك بخوض مغامرة لن تنسيها طوال حياتك لمعت عيناه وظهرت الحماسة على وجهه.

لكنك لم تخبرني بعد بدوري في هذه المغامرة قالت نتاشا ورأسها لا يزال متكئاً على صدر زوجها.

سأخبرك في الوقت المناسب نفخ سالم على الشعلة فانطفأت الشمعة.

Twitter: @alqareah

الفصل الثاني عشر

السر الخطير

شعر ميخا بالراحة عندما نجح في صعود الطائرة المتوجهة الى دبي بدون أن يلفت أي من أنظار الصحفيين أو الإعلاميين الذين كانوا يلاحقونه في الأيام الماضية. قام سيرغي وكالعادة بمساعدته في التملص منهم والهرب بسيارته الخاصة. لقد وعده ميخا أن يشتري له سيارة جديدة عند عودته من الإمارات العربية مكافأة له على إخلاصه وتفانيه في العمل.

لم يكن ميخا يشعر بالتعب عادة في رحلاته الجوية، وخاصة أن سيرغي كان يحرص على حجز مقعد له في الدرجة الأولى، مع اختيار الوجبات التي يفضلها أثناء الرحلة. لقد اختار له هذه المرة طيران الإمارات.

بالرغم من الخدمات ذات الجودة العالية التي تمتع بها ميخا أثناء الرحلة، إلا أنه كان يشعر بالضيق، ليس لأنه كان مستاءً من أي من أفراد طاقم الطائرة، بل لأنه اضطر لمغادرة موسكو قبل أن يتمكن من الاطمئنان بشكل كامل على أسرته.

لقد أخذ بنصيحة الطبيب وسافر بابنته كاتيا الى الولايات المتحدة، بعد أن نسق مع المستشفى هناك وتأكد أنهم سيتمكنون من مساعدتها.

مكث ميخا مدة أسبوع بصحبة زوجته وابنته كاتيا في مدينة

Twitter: @alqareah

نيويورك، قبل أن يقرر العودة بمفرده الى موسكو لمتابعة قضية ابنته لينا، أما كاتيا فقد اطمأن أنه تركها في أيد أمينة في المستشفى حيث ستتلقى العلاج لبضعة أسابيع أخرى.

أمر ميخا طاقم المحامين لديه بأن يتركوا ما في أيديهم وأن يتفرغوا للدفاع عن لينا. من حسن الحظ فقد قامت كاتيا رسمياً بالتنازل عن حقها مما سهل على المحامين مهمتهم نوعاً ما.

أشار المحامون على ميخا أن يحاول أن يقنع لينا أن تغير من أقوالها وتدعي أنها لم تتعمد الاعتداء على كاتيا، وأن ما حصل كان عرضياً.

ذهب ميخا بنفسه الى مركز الشرطة حيث تُحتجز لينا، واضطر للدخول متخفياً ليتحاشى الصحفيين. طلب ميخا مقابلة لينا والانفراد بها، وخمن أنها سترفض الالتقاء به، وكان محقاً.

وافقت لينا على مقابلة تتيانا أمها، وكان ذلك قبل أن تسافر الأخيرة الى نيويورك. بذلت تتيانا مجهوداً كبيراً في محاولة إقناع لينا بأن أباها قد تغير بالفعل، وأنه ليس حاقداً عليها لأنها اعتدت على كاتيا بل يشعر بالأسى عليها مثلها مثل كاتيا، وأرتها تسجيلاً مصوراً على هاتفها المحمول للكلمة التي وجهها والدها للصحافة.

في البداية لم تقتنع لينا بكلام والدتها وظنت أن ما قام ميخا بفعله ومحاولته أن يساعدها للخروج من السجن، إنما هو ليحافظ على ماء وجهه أمام الإعلام ليظهر بمظهر الأب النادم الذي فطن متأخراً الى قيمة عائلته.

بعد عدة محاولات لانت لينا قليلاً واقتنعت باقتراح تتيانا أن تسمح لوالدها بزيارتها بعد عودته من أمريكا، لتحكم بنفسها على سلوكه، وتتأكد إن كان صادقاً في تصرفاته أم أن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد تمثيل.

Twitter: @alqareah

سمح الضابط في ذلك اليوم لميخا بالانفراد بابنته، وغادر المكتب بمجرد أن أُدخلت لينا إليه.

كان ميخا يجلس على كرسي محاذي لطاولة مكتب الضابط عندما دخلت عليه لينا وهي تمشي مشية اللامبالي بما يجري حوله. نظرت لينا الى عينيه مباشرة فأخفض بصره، ونهض من كرسيه وتقدم منها ببطء، فظهر بمظهر المتهم الذي ارتكب جريمة ما جعلته يشعر بالخجل من نفسه.

عندما رفع بصره ونظر إليها تفاجأت لينا، فقد كانت تلك المرة الأولى التي ترى فيها والدها وقد اغرورقت عيونه بالدموع. لقد كانت تحتفظ لوالدها في ذهنها بصورة مختلفة كلياً، لقد كانت تراه دائماً بمظهر الرجل الشديد قاسي القلب وعديم الإحساس. لم تستطع أن تجد تفسيراً لهذا التغير المفاجئ. هل هي دموع حقيقية؟ أم هي دموع تماسيح؟ تساءلت في سرها. كان شيء ما في داخلها يدعوها لتصدقه. لقد كانت في الحقيقة بحاجة لتصديقه رغم مكابرتها. لم تدر ماذا تفعل أو كيف تتصرف. لقد هزتها دموع والدها وأفقدتها حالة اللامبالاة والصلابة التي كانت تحاول أن تظهر بها.

فتح ميخا ذراعيه وتقدم خطوة إضافية من ابنته، ثم توقف مفسحاً لها المجال لتعبر عما يختلج في صدرها. فقدت لينا كل أدوات المقاومة، ووجدت نفسها تستسلم لا إرادياً لترتمي في حضن والدها وتحيط عنقه بذراعيها.

بدأت الدموع تسيل حارة على وجنتيها، وهي تهمس في أذن أبيها: أحبك يا أبي. لطالما أحببتك. لقد كنت بحاجة الى هذا الحضن الدافئ. لقد تأخرتَ كثيراً يا أبي. لم حرمتني هذا الحنان طوال تلك السنوات؟ ثم أجهشت بالبكاء.

Twitter: @alqareah

في البداية لم يقو ميخا على الرد، فقد خنقته العبرات هو أيضاً. سامحيني يا ابنتي. لقد كنت شخصاً أنانياً وظالماً، لقد كنت عديم الإحساس. إني بحاجة إليك أكثر من حاجتك إلي. اسمحي لي أن أكفر عن أخطائي بحقك. لقد استفقت من غيبوبتي متأخراً، ولكن لم يفت الأوان بعد. ما زلنا قادرين على تجاوز أخطاء الماضي والبدء من جديد.

كيف سنبدأ من جديد يا أبي وقد أفسدتُ حياتي واعتديتُ على أختي؟ بدأت لينا تنتحب عندما تذكرت ما فعلته بشقيقتها.

لا تقلقي يا لينا، سنتجاوز هذه المحنة معاً. وتأكدي أن كاتيا تحبك، فقد تنازلت عن حقها بطيب خاطر، وهي بخير الآن وبدأت تتحسن، وقد طمأنني الأطباء في نيويورك أنها ستتمكن من العودة لممارسة لعبة كرة المضرب بعد أن تتعافى بشكل كامل. كان ميخا يتحدث الى ابنته وهو لا يزال معانقاً لها.

استطاع ميخا وبمساعدة محاميه أن ينقذ ابنته من الورطة التي أوقعت نفسها فيها، وخاصة بعد أن وافقت على الإمتثال لأمر والدها وقامت بتغيير أقوالها.

عمد ميخا بمجرد خروج ابنته من السجن الى إيداعها في مركز متخصص لعلاج إدمان المخدرات، ووعدها بعد تعافيها من الإدمان أن يقف الى جانبها لتعود لتكمل دراستها الجامعية. لقد عزم على إصلاح جميع أخطائه بحقها، وتبين للينا أنه كان صادقاً في عزمه.

في تلك الأثناء كانت الصحافة قد بدت وكأنها قد تفرغت فقط للحديث عنه، وتتبع أخطائه وفضح ما فعلته ابنته بشقيقتها، والتهويل من الأمر فتارة ادعت أن كاتيا تعرضت للضرب المبرح الذي أفضى الى الموت، وتارة أخرى زعمت أن لينا قد أقدمت على الانتحار في السجن. وانهالت الاتصالات الهاتفية على مكتب ميخا للتعليق على

Twitter: @alqareah

هذه الشائعات وغيرها.

أشار مستشارو ميخا والمقربون منه عليه أن الوقت قد حان لمغادرة البلاد لبعض الوقت ريثما تهدأ الصحافة، وينسوا قصته ولو مؤقتاً الى أن تتعافى ابنتاه بشكل كامل، فيعود الى موسكو حينها ليدعو الى مؤتمر صحفي بصحبة ابنتيه فيكون ذلك بمثابة الرد الأمثل على جميع الشائعات، وسيكون له أبلغ الأثر على سمعته ووضع شركاته في السوق.

في البداية فكر بالعودة الى الولايات المتحدة ليكون قريباً من ابنته وزوجته، إلا أن سيرغي نبهه الى كونه شخصية معروفة في أمريكا نظراً للاستثمارات الكبيرة التي لديه هناك، لهذا فمن المحتمل جداً أن يتسرب خبر وجوده هناك الى الصحافة، فيزداد الأمر سوءاً وتكثر الإشاعات والتكهنات من جديد.

وهكذا وجد ميخا أن دبي هي الخيار الأمثل للابتعاد عن الإعلام وعيون الصحافة.

أعلن قبطان الطائرة أن الرحلة بين موسكو ودبي ستستغرق أربع ساعات ونصف، وسيصلون الى هناك في تمام العاشرة مساءً.

حاول ميخا أن ينال قسطاً من الراحة فيخلد الى النوم، ولكن الهواجس التي كانت تشغل باله لم تدعه ليفعل ذلك. لقد كان قلقاً أن لا يتمكن الأطباء في نيويورك من معالجة ابنته بشكل يسمح لها بالعودة الى ملاعب التنس، وكان يدرك الأثر بالغ السوء الذي سيتركه ذلك على نفسية كاتيا، والحقد الذي سيتولد لا إرادياً في قلبها نحو شقيقتها التي كانت سبباً في حرمانها من حلمها.

وماذا عن لينا؟ هل سامحتني فعلاً؟ هل سأتمكن من أصبح الأب الذي طالما كانت تتمناه؟ ماذا إن فشلت في ذلك؟ ماذا إن كنت لا أصلح لأن أكون أباً أصلاً. ولكني أحسنت تربية ابنتي كاتيا، ألا يدل

Twitter: @alqareah

ذلك على إمكانية أن أنجح كذلك مع لينا؟ أخذت هذه الأسئلة وغيرها تتردد في عقله مراراً وتكراراً، وكأنها سرب من النحل يطن داخل رأسه.

حاول أن يصرف عقله ولو مؤقتاً عن التفكير في ابنتيه وأخطائه التي ارتكبها في حقهما. أخذ يفكر في أعماله ومشاريعه التي توقفت بعد أن انهمك في معالجة مشاكله الخاصة. لقد اعتاد أن تكون له كلمة الفصل في جميع المشاريع التي تخوضها شركاته، ولم يسبق له أن عين نائباً مخولاً في اتخاذ القرارات الحاسمة نيابة عنه، لأنه أحب أن تكون السلطة في يده وحده، وهكذا كان عليه أن يوافق بنفسه على أي مشروع جديد قبل أن يرى النور.

من حسن الحظ فقد جُهزت شقته في دبي بجميع الوسائل التقنية التي ستسمح له بمزاولة أعماله وكأنه لا يزال في مكتبه في موسكو.

عندما تأكد ميخا أنه لن يتمكن من الحصول على قسط من النوم، جلس بعد أن كان مستلقياً، ثم أخذ يعبث بأزرار تحكم الكرسي فعدل من وضعيته فحوله من وضعية النوم الى وضعية الجلوس، ثم رفع حقيبة ملفاته التي كانت على الأرض بجانبه، وفتحها وأخرج منها حقيبة جلدية صغيرة بحجم دفتر الملاحظات.

رفع غطاء الحقيبة وضغط على الزر الوحيد الذي ظهر أمامه فأضاءت شاشة جهاز الآيباد. لمس سطحها بسبابته وحركها من اليسار الى اليمين فانفتح قفل الشاشة وأصبح الجهاز جاهزاً للعمل.

أخذ يتصفح مستندات العمل التي حملها معه:

دراسة جدوى عن مشروع المدينة الخضراء وملحق به تقريران عن مدينة مصدر الخضراء التي شرعت حكومة أبوظبي العربية في إنشائها، ومدينة مينابوليس سمارت إيكو سيتي في قبرص.

تقرير شامل عن مشروع الإعلانات الموجهة بعد شهر من تطبيقه

Twitter: @alqareah

في المراكز التجارية في موسكو، وملحق به توصية بتعميم المشروع على باقي المدن الروسية ودراسة ترويج الفكرة عالمياً.

تقرير عن التوصية بالتخلي عن مشروع تأجير الألعاب نظراً لعدم تعاون الشركات المنتجة لأجهزة ألعاب الفيديو.

تقرير بآخر المستجدات فيما يخص مشروع انتشال الذهب.

تقرير عن حالة السوق وتأثر الأسهم بفضيحة اعتداء ابنته الكبرى على أختها، والتوصيات المقترحة لتجاوز هذه الأزمة إعلامياً واقتصادياً.

كان عليه أن يتفرغ في الأيام المقبلة لدراسة جميع هذه التقارير والرد عليها في أقرب وقت ممكن.

ندم ميخا لأنه لم يضغط على سكرتيره سيرغي ليصطحبه معه الى دبي. كان يدرك في ذات الوقت أن وجود سيرغي في موسكو لابد منه، فقد كان عينه هناك وهو الوحيد الذي يثق بالأخبار التي يأتيه بها.

نظر ميخا الى ساعة يده فتبين له أن ساعة ونصف قد انقضت فقط. كان عليه الانتظار ثلاث ساعات أخرى. قرر أن يتصفح بريده الالكتروني ثم يعرج على موقع الأخبار الروسي برافدا.

وجد رسالة الكترونية من زوجته تتمنى له فيها الوصول بالسلامة الى دبي، وتطمئنه على حالة كاتيا وأنها تتحسن يومياً. رسالة أخرى وصلت من ابنته لينا أرسلتها من مصحة علاج الإدمان تروي له فيها الأحداث التي تمر بها يومياً في المصحة، والآلام التي عانت منها في الأيام الأولى لوجودها هناك، عندما كان جسمها لا يزال يتعطش للمخدر. أحس ميخا من رسالتها وكأن كاتبتها فتاة أخرى غير ابنته لينا، فقد كانت مفعمة بالأمل وتفيض بالعواطف الجياشة، وقد كتبت بأسلوب رائع يوحي بثقافة عالية وإطلاع واسع. اكتشف ميخا مجدداً أنه يعرف القليل عن ابنته.

Twitter: @alqareah

احتوى صندوق الرسائل الواردة على بعض الرسائل الأخرى وكانت جميعها من سيرغي، يخبره فيها بآخر المستجدات في العمل.

قرر ميخا أن يرد على رسالتي زوجته وابنته، أما رسائل سيرغي فلم تتطلب رداً عليها.

انتهى ميخا من الرد على الرسائل، وتوجه الى متصفح الانترنت سفاري وفتح موقع الأخبار المفضل له.

تصفح سريعاً العناوين الرئيسية:

تفشي الأزمة الاقتصادية في الاتحاد الأوروبي وإعلان المزيد من دوله عدم مقدرتها على سداد ديونها.

وكالة المخابرات الأمريكية تنجح في الحصول على تكنولوجيا العقاقير النفسية التي اشتهرت الكي جي بي باستعمالها على الجواسيس.

قررت روسيا استعادة وجودها البحري في جميع المحيطات.

بحث ميخا بين العناوين عن أي خبر بخصوصه هو أو عائلته، فوجد في الصفحة الاقتصادية مقالاً معنوناً بالخط العريض: **التاريخ الأسود للملياردير اليهودي ميخائيل برينسكي.**

شعر ميخا بموجة من الغضب تجتاح أوصاله وتخترق عظامه. لم يسبق لأحد أن هاجمه علانية بهذا الشكل أو ربط بين أعماله وديانته.

أخذت عيون ميخا تلتهم السطور سريعاً. تطورت موجة الغضب التي سيطرت عليه الى حالة من الهلع. أخذت قطرات من العرق تتسابق على جبينه وتتسلل نزولاً على سلسلة ظهره على الرغم من البرودة التي أحس بها في أطرافه.

شعر ميخا وكأن مطرقةً ضخمةً قد سلطت على مفاصله فأخذت

Twitter: @alqareah

تهشمها. رأى نفسه يقف عارياً في وسط شارع المال، وعيون أعدائه وغرمائه مسلطة عليه. لم يخطر بباله أن يأتي يوم يجد فيه نفسه في قفص الاتهام بهذا الشكل.

كان مقالاً طويلاً بذل معده الكثير من الجهد، وجمع فيه عدداً كبيراً من الوثائق التي استشهد فيها على اتهاماته.

استغرب ميخا كيف تمكن هذا الصحافي من الوصول الى هذه المستندات السرية التي تثبت علاقته بالحزب الشيوعي، وتوثق للأعمال غير الشرعية التي زاولها في بداية حياته العملية.

كان المستند الأكثر خطورة يتمثل في صورة عن وثيقة تثبت تلقي ميخا مبلغ مليون دولار من السفارة الإسرائيلية في موسكو، وكانت مؤرخة بتاريخ العاشر من سبتمبر من سنة 1991 أي خلال الفترة التي انهار فيها الاتحاد السوفيتي.

أخذ كاتب المقال يربط بين سطوع نجم ميخا كأحد أقطاب الاقتصاد وبين علاقته الوطيدة بإسرائيل، وكأنه يلمح الى إمكانية أن يكون ميخا جاسوساً إسرائيلياً تم زرعه في موسكو بعناية فائقة للسيطرة على اقتصادها، وتحريكه بما يخدم المصالح اليهودية في العالم.

لِم لَم يُشر سيرغي في رسائله الى هذا الخبر؟ أيعقل أنه لم يقرأه بعد؟ ما أثر مثل هذا الخبر على أعمالي وسمعة شركاتي؟ هل سيتمكن محاموي من الرد على كاتب هذا المقال وتفنيد ما جاء به؟ لابد من رفع قضية على الكاتب والصحيفة التي نشرت المقال فكر ميخا بعصبية.

لقد حرص ميخا وعلى مدى سنوات عديدة على أن يخفي أي علاقة تربطه بإسرائيل، فلم يكن يدعم سياساتها بشكل علني، بل وكان يحرص على عدم الإشارة الى أصوله اليهودية.

تذكر ميخا ذلك اليوم عندما تلقى دعوة من السفير الإسرائيلي في

Twitter: @alqareah

موسكو لحضور حفل يجمع عدداً من رجال الأعمال اليهود. كان وقتها لا يزال عضواً في الحزب الشيوعي في آخر أيام حكم غورباتشوف.

انفرد السفير الإسرائيلي به وأخذ يحدثه عن المستقبل، وعن توقعاته بانهيار الاتحاد السوفيتي قريباً، وأن إسرائيل مهتمة بأن يكون لها دور فعال في تشكيل روسيا الجديدة والتي تنبأ أنها ستنهض من جديد بعد بضع سنوات من الانهيار.

في البداية لم يفهم ميخا الغاية من هذا اللقاء أو الهدف من وراء دعوته إليه، ولكنه وبعد أن استمع ملياً لحديث السفير وتنبه الى تلميحاته، فطن الى رغبة السفارة بإمداده بالأموال التي ستساعده على تكوين عدد من الشركات الهامة، واستغلال فرصة الفوضى التي ستصاحب انهيار الاتحاد السوفيتي لإحكام السيطرة على مقدراتها ولكن بشكل لا يدعو للريبة أو يجلب الأنظار.

كان الاتفاق واضحاً وبسيطاً. سيتلقى ميخا مبلغاً كبيراً من المال لتأسيس عدد من الشركات، وسيكون له الحرية الكاملة في إدارتها بعيداً عن أي ضغوط، وفي المقابل سيكون عليه رد الجميل بعد عشر سنوات أو أكثر بالطريقة التي ستمليها عليه إسرائيل في حينها.

بين له السفير أنه وخلال هذه الفترة لن يتم الاتصال به بأي شكل، ودعاه الى أن يبتعد كلياً عن السياسة وأن لا يبدي رأيه في أي أمر له علاقة بإسرائيل وذلك لإبعاد الشبهات عنه.

فكر ميخا ملياً في العرض الذي كان يصعب عليه رفضه، لقد كانت دعوة ليصبح مليونيراً بين ليلة وضحاها، لقد كانت دعوة مفتوحة ليصبح واحداً من أهم رجال الأعمال في روسيا.

كان يعرف أنه سيكون تحت عيون الإسرائيليين، ولن يتمكن من الهرب ببساطة بالأموال. كان ذلك رداً على فكرة غبية طافت في عقله

Twitter: @alqareah

للحظة قبل أن يطردها.

لـم يفكـر ميخـا بطبيعـة الجميـل الذي سـيكون عليـه رده بعد أكثر من عقد من الزمان، وهكذا وافق على عرض السـفير ووقع على وثيقة تثبت استلامه لمبلغ مليون دولار أمريكي، استطاع بذكائه وحسن تصرفه أن يسـتغلها أفضل اسـتغلال ويبني لنفسـه اسـماً كبيراً في عالم الاقتصاد والأعمال.

لم يستطع ميخا وبعد أن ذاع سيطه ونجح في أعماله أن يخمن كيف استطاع الإسرائيليون أن يتنبئوا بنجاحه، أو يعرفوا في ذلك الوقت أنهم قد أحسـنوا الاختيار. هل توقعوا يا ترى أنه سـيصل الى ما وصل إليه؟ هـل كان ذلـك جـزءاً مـن الخطـة؟ لكنهم لم يتدخلـوا في أعماله مطلقاً، ولم يكن لهم أي دور فعلي في نجاحه سوى بإمداده بذلك المبلغ من المال. كان ميخا كثيراً ما يفكر بهذا الأمور كلما نظر الى ذلك الشـيك بمبلغ مليون دولار، والذي كان يحتفظ بنسـخة عنه إضافة للعقد الذي أبرمه مع الإسرائيليين ويثبت علاقته بهم في خزنته الخاصة التي يمتلك وحده رموز قفلها.

انتقل ميخا بذاكرته الى حدث آخر حصل بعد خمس عشـر سـنة من زيارته للسفارة. كان ميخا وقتها في أوج مجده، وكان صيت شركاته قد بلغ الآفاق.

كان جدول أعماله مزدحماً في ذلك اليوم، عندما دخل عليه سيرغي وكان قد رقاه منذ فترة وجيزة ليصبح سكرتيره الخاص، بعد أن أعجب بإخلاصه وتفانيه في العمل.

أخبره سيرغي بأن أحد الأشخاص ينتظره في الخارج ويصر على الدخول إليه ويرفض أن يصرح باسمه، ويزعم أن ميخا يعرفه وسيرحب به عندما يتذكر الحفل الذي جمعهما سوياً قبل خمسة عشرة عاماً.

Twitter: @alqareah

في البداية لم يستطع ميخا أن يخمن عن أي حفل يتحدث، وبدأ يعد الأعوام قبل أن يفطن الى ذلك الحفل الذي يستحيل أن ينساه، لقد تذكر ميخا أن الحفل الوحيد الذي شارك فيه قبل خمسة عشرة عاماً كان حفل السفارة الإسرائيلية.

شعر ميخا بتوتر كبير لم يستطع إخفاءه، وحاول أن يتمالك نفسه أمام سكرتيره، وطلب منه أن يسمح للشخص المنتظر في الخارج بالدخول.

بدء شعور غير مبرر بالخوف يتسلل الى نفسه ويعبث بأمعائه. لقد أدرك ميخا فوراً أنه حان وقت رد الجميل.

دخل الزائر فعرفه ميخا على الفور رغم السنوات التي تركت أثرها على وجهه. رحب ميخا بالسفير السابق، والذي اعتزل السياسة منذ زمن بعيد، أو على الأقل هذا ما حاول أن يشيعه.

سأل السفير السابق ميخا عن آخر أخباره، وهنأه بالإنجازات الكبيرة التي حققتها شركاته، وبالمركز المرموق الذي أصبح يشغله. كان ميخا يرد عليه بكل تهذيب، وعقله يحاول أن يخمن نوع الطلب أو الخدمة التي سيكون عليه تلبيتها.

هل تذكر اجتماعنا قبل خمس عشر سنة؟ سأل السفير السابق وهو يحدق في عيني ميخا بنظرة لا تخلو من تعالي، وقد قرر الدخول في الموضوع الذي جاء من أجله.

كيف لي أن أنسى؟ لقد كنت أنتظر زيارتك بفارغ الصبر كان كاذباً في ذلك، فقد كان يتمنى في قرارة نفسه أن ينسى ذلك الحفل المشئوم، وكان يقنع نفسه واهماً أن إسرائيل قد تغاضت عن مطالبته برد الجميل.

لاحظ الزائر قطرة العرق التي تسللت على الجانب الأيمن من وجه ميخا، فابتسم ابتسامة خفية، فقد أدرك أنه المسيطر في ذلك اللقاء، وأن ميخا مستعد لتنفيذ جميع طلباته.

Twitter: @alqareah

أخذ الزائر يلقي على ميخا محاضرة طويلة عن الأخطار التي تحدق بالدولة اليهودية، وعن تنامي المد الأصولي الإسلامي، والذي يدعو الى اجتثاث إسرائيل من جذورها، وأنه واجب على كل يهودي في العالم أن يهب لنجدتها وأن تتضافر جهودهم لحمايتها.

أنصت ميخا محاولاً أن يظهر بمظهر المتأثر والمهتم بوجود إسرائيل كدولة لليهود. في قرارة نفسه كان يتمنى فقط أن يمر هذا اليوم بسلام، بدون أن يضطر للاستجابة الى أوامر لا يكون قادراً على تنفيذها. لقد كان يخشى أن يفشل في تلبية مطالبهم فيتعرض لغضبهم، لقد كان يسمع كثيراً عن حالات الاغتيال التي يقوم الموساد بتنفيذها بحق كل من تسول له نفسه الإضرار بمصالح إسرائيل.

أخبره الزائر أن إسرائيل تعد العدة لاجتياح جنوب لبنان مجدداً للقضاء على المجموعات الإرهابية هناك، وأنها بحاجة ماسة للمال.

شعر ميخا بشيء من الراحة عندما استنتج من كلام السفير السابق أن عليه رد الجميل بدفع مبلغ ما من المال، فسحب أحد أدراج مكتبه وأخرج دفتر شيكاته، بينما كان الزائر لا يزال يتحدث.

حرر شيكاً بقيمة عشرة ملايين دولار أمريكي توقع في قرارة نفسه أن تكون كافية لرد الدَّين والبالغ مليون دولار.

سأل ميخا الزائر وهو يمرر له الشيك ليلقي نظرة على الرقم المكتوب فيه: باسم من أحرر هذا الشيك؟ أتمنى أن تقبل هذا المبلغ المتواضع مساهمة مني في الدفاع عن دولة إسرائيل.

ابتسم السفير ابتسامة صفراء عندما مد رأسه ونظر الى الشيك بدون أن يكلف نفسه العناء ليتناوله بيده.

لقد أسأت فهمي يا سيد برينسكي قالها بشيء من التهكم.

أرجو المعذرة، هل تود مني زيادة المبلغ؟ سحب ميخا الشيك

Twitter: @alqareah

ومزقه، وأخذ بتحرير شيك آخر. هل تكفي عشرون مليوناً؟

لم يرد الزائر فرفع ميخا رأسه عن دفتر الشيكات، ونظر في وجه السفير والحيرة تكسو وجهه.

تحتاج إسرائيل الى دعم متواصل من المخلصين أمثالك ابتسم وانتظر ردة فعل ميخا.

ماذا تعني، لم أفهم قصدك.

عندما اتخذت إسرائيل قرارها بتقديم دعمها المالي لك، لم تكن تنتظر أن ترد لها مبلغاً محدداً. إسرائيل دخلت معك شريكاً في أعمالك، لهذا فهي تنتظر منك أن تخصص لها نسبة ثابتة من أرباح شركاتك نظر الى ميخا فوجده يتصبب عرقاً، وقد أصيب بالدهشة. عليك تخصيص نسبة قليلة لا تتجاوز الخمسة والعشرين بالمائة فقط من صافي أرباحك، وهي نسبة عادلة جداً إذا أخذنا بعين الاعتبار الفوائد المتراكمة على مبلغ المليون دولار على مدار خمسة عشرة عاماً.

ألجمت المفاجأة ميخا، فلم يخطر بباله أنه سيضطر الى إدخال شريك معه ليقتطع هذه النسبة الكبيرة من أرباحه. كان موقناً بأنه لن يتمكن من رفض طلب الزائر، فعواقب الرفض وخيمة ولا يود أن يفكر بها، ولكنه عزم على أن يحاول أن يقنع السفير بتخفيض هذه النسبة قدر الإمكان.

أنت تعرف أني لن أتأخر عن خدمة إسرائيل وتلبية طلباتها، ولكنك كما تعلم فجل الأرباح تستخدم لتمويل مشاريع جديدة تضمن استمرار عمل الشركات وتوسعها، لهذا فأنا آمل من حضرتك تخفيض هذه النسبة الى عشرة بالمائة، وعندها سأتمكن من تلبية طلبك فوراً وبكل سرور. خطر ببال ميخا أن بإمكانه التلاعب في كشوف الربح والخسارة لتقليل مقدار هذه النسبة قدر الإمكان، ولكنه فطن الى أن كشوفات الربح

Twitter: @alqareah

والخسارة يتم نشرها أمام العامة، ولا يمكن التلاعب بها بهذه البساطة. ترحم في نفسه على العشرة بالمائة وتمنى أن يوافق السفير على عرضه.

يـا سـيد برينسـكي. إن لدينـا خبـراء في الاقتصـاد وإدارة الأعمال، وأؤكد لك أن النسبة التي حددناها جاءت بعد دراسة مستوفية لأعمالك وليست اعتباطاً. ببساطة بإمكانك أن تعتبر أننا أصبحنا ومنذ اليوم نمتلك خمساً وعشرين بالمائة من أسهمك الخاصة في جميع الشركات، ونود أن نحصـل علـى جميـع امتيـازات مالكـي الأسـهم. ربما نطلب منك في المسـتقبل تسـجيل هذه الأسـهم بأسـماء بعض الأشخاص الذين يعملون لدينا لتسهيل الأمر عليك. أما حالياً فسيكون عليك تحويل الأرباح الى حسـاب بنكي سويسـري سـتصلك تفاصيله لاحقاً هذا الأسـبوع تحولت نبرة الزائر الى نبرة آمرة.

أدرك ميخا أن لا مفر من تنفيذ أوامر الزائر: حسـناً كما تشـاءون، سأقوم بتنفيذ طلبكم نهض ميخا من كرسيه ومد يده ليصافح الزائر لإنهاء الاجتماع.

لـم يتزحـزح السـفير السـابق مـن مكانـه، وإنما نظـر في عيني ميخا وقال بهدوء: لم ننتهي بعد.

جلس ميخا على الكرسـي ورمى بثقل جسـمه رمياً. أخذ يفكر ما الذي لا يزال يريدونه مني لم يستطع إخفاء قلقه وتوتره.

كيف أستطيع أن أخدمكم أكثر؟

نود منك في الفترة المقبلة أن تسـعى لتكون رجل الشـعب، يجب أن تهتم أكثر بالمساهمة في المشاريع التي تخدم المواطن الروسي وتوفر العمل له. نريد منك أن تصبح شخصية عامة محبوبة وذات أيادي بيضاء.

هل هذا كل ما في الأمر؟ شعر ميخا بالارتياح.

فـي المرحلـة المقبلـة، نعـم. توقع زيارتي بعد بضع سـنوات عندما

Twitter: @alqareah

تحقق ما طلبته منك. أنت تعرف أني لا أحب الإكثار من الزيارات، لهذا لن تراني مجدداً إلا عندما تكون جاهزاً لاستقبالي، ولتنفيذ المرحلة التالية من خطتنا.

لم يفصح الزائر في ذلك اليوم عن الخطة التي تحدث عنها، وترك الأمر متاحاً لتكهنات ميخا وتخميناته.

رجع ميخا الى الحاضر عندما انطفأت شاشة الآيباد تلقائياً بعد أن توقف عن القيام بأي نشاط على الجهاز لعدة دقائق. لم يشغل الجهاز مجدداً، وإنما عاد بذهنه ليسترجع ذكرى حديثة حصلت قبل ثلاثة شهور.

كان وقتها مسافراً في رحلة استجمام الى الشواطئ الدافئة لمدينة سوتشي الروسية والتي تقع على ضفاف البحر الأسود.

فوجئ في ذلك اليوم بينما كان مستلقياً على الشاطئ، ومستمتعاً بقراءة رواية الإخوة كرامازوف للكاتب الروسي الشهير فيودور دوستويفسكي، بصوت شخص بدا مألوفاً له، ألقى عليه التحية.

رفع ميخا رأسه عن الكتاب ونظر حوله فوجد رجلاً في خريف العمر، يلبس ملابس مناسبة للسباحة، ينظر إليه وعلى محياه ابتسامة معبرة.

رحب ميخا بصديقه المرسال، وفطن إلى أنه قد حان وقت تنفيذ مرحلة جديدة من خطة مموليه السابقين وشركائه الحاليين.

لقد أطلت الغيبة يا سعادة السفير اعتاد ميخا أن لا ينادي السفير باسمه، ربما لأنه أراد تقمص شخصية العاملين في مجال المخابرات.

استلقى الزائر على سرير شاطئي بجوار ميخا أنت تعلم أني لا أحب الإكثار من الزيارات.

ولكن كيف عرفت بمكاني هنا؟ لم أخبر أحداً بوجهتي؟

ابتسم السفير السابق ولم يرد على سؤال ميخا وبدلاً من ذلك قال

Twitter: @alqareah

له: أولاً أود أن أشكرك على التزامك في السنوات السابقة في إرسال حصتنا من الأرباح الى حسابنا في سويسرا. لقد أثبت بالفعل إخلاصك لإسرائيل، وقد تبين لنا في الفترة الأخيرة أنك قد نجحت فعلاً في كسب قلوب العامة في روسيا، وأصبحت جاهزاً للانتقال الى المرحلة التالية من الخطة.

كلي آذان مصغية لقد تعود ميخا في تعامله مع هذا الزائر على الإنصات، بدلاً من الإكثار من طرح الأسئلة، لقد تأكد له أنه لن يحصل على أي معلومات زائدة عن القدر الذي يسمحون له به.

في الفترة المقبلة لن تكفي الأموال وحدها لخدمة إسرائيل توقف برهة من الزمن ثم تابع لابد من التأثير على الرأي العام في الدول الكبرى لخدمة مصالحنا، وهنا يأتي دورك كرجل صاحب نفوذ كبير وسمعة طيبة.

حاول ميخا أن يخمن الدور الذي تود منه إسرائيل لعبه هذه المرة ولكن دون جدوى هل لك أن تفصح أكثر حول طبيعة دوري في التأثير على الرأي العام؟

نود منك أن ترشح نفسك لعضوية مجلس الدوما، وسنساعدك باستخدام نفوذنا وعلاقاتنا على تحقيق ذلك، على أن تسعى بعد نجاحك مع زملائك الآخرين في المجلس ممن يحظون بدعمنا وتأييدنا، في خدمة القضايا الكبرى لإسرائيل بالتأثير على السياسة الخارجية لروسيا للوقوف الى جانب إسرائيل في المحافل الدولية، والتقليل من انجذابها لحليفها التقليدي سوريا، وسنكون على اتصال وثيق بك في الفترة المقبلة، لنملي عليك التوجهات التي نود منك اعتمادها بعد أن تنجح بالانضمام الى المجلس.

لم يكن ميخا يحب السياسة أو يهتم بها، ولم تعجبه جملة نملي عليك التي استخدمها السفير في معرض حديثه، ولكنه كان مدركاً

Twitter: @alqareah

للفوائد الجمة التي ستعود عليه وعلى أعماله بانضمامه الى مجلس النواب الروسي.

لقد أدرك ميخا أنه على وشك أن يصبح لعبة في يد إسرائيل تحركها كيفما تشاء لخدمة مصالحها، وكان متيقناً كذلك أن الوقت قد فات للتراجع، فقد أصبح عبداً لإسرائيل، بمجرد موافقته على أخذ شيك المليون دولار قبل ما يقرب من عقدين من الزمان.

لم يكن أمامه إلا أن يوافق.

لكنه الآن وبعد شهور من اللقاء الأخير، بات يشعر بقلق كبير، فسره الدفين على وشك أن يفتضح، هذا إن لم يكن قد افتضح بالفعل. لقد كانت الاتهامات الواردة في المقال تركز بشكل مباشر على علاقته بإسرائيل، والمرعب في الأمر أن كاتب المقال وعد بنشر مزيد من الدلائل والبراهين على ادعاءاته.

من أين لهذا الصحافي بكل هذه المعلومات؟ من أمده بهذه التفاصيل التي لا يعرفها أحد سواي أنا والسفير ومن يقفون خلفه. ليس من مصلحتهم بطبيعة الحال أن يفتضح هذا الأمر. إذاً من الذي سرب هذه الأخبار ولمصلحة من؟ لم يستطع ميخا أن يجد جواباً على أي من هذه الأسئلة.

كان عليه أن يفكر سريعاً في الطريقة المثلى للرد.

علي أن أتحدث مع سيرغي لينسق لي اجتماعاً فيديوياً عن بعد مع محامي المجموعة بمجرد وصولي الى دبي. فكر ميخا، سيرغي! نعم علي تأنيبه لأنه لم ينبهني الى هذا المقال الخطير.

هل يعقل أن يكون له.....

لا، مستحيل. أنا أعرفه جيداً.

للمخابرات أساليب لا تخطر ببال.

Twitter: @alqareah

أعـرف ذلـك، ولكنـي لا أسـتطيع أن أتخيـل أن يكون لسـيرغي يد في الموضوع.

لا تستبعد أي شيء. ابق على حذر.

ولكن حتى سيرغي لا يعرف بعلاقتي بالمخابرات الإسرائيلية.

ربما هو لا يعرف، ولكن لا تستبعد أن يكون أحد أجهزة المخابرات التابعة لدولة أخرى قد وضعت صديقك السفير تحت المراقبة، وعرفت بعلاقته بك ثم جندت سيرغي ليعمل لصالحها.

يـا إلهـي مـا الـذي أقحمـت نفسـي بـه؟ مـا لـي أنـا ومـا لأجهـزة المخابرات؟.

فات الأوان على هذا الكلام.

كيف أتصرف إذاً؟

فقط خذ حذرك وتعامل مع سيرغي بمزيد من الحيطة، ولكن بدون أن تشعره بشكوكك حوله.

سأجتمع بمحاميَّ وأستشيرهم.

عليـك أن تحـاول الاتصـال بصديقـك قبـل ذلك، ليشـير عليك بما يجب فعله.

نعم. معك حق. ولكني لا أملك وسيلة للاتصال به، فقد اعتاد أن يعثر هو علي عند الحاجة.

إذاً لا تقم بأي تصرف قبل أن يتصل بك، فلابد أن الخبر قد وصلهم وهم يعدون العدة الآن لرد مناسب.

توصل ميخا أخيراً بعد أن تشـاور مع عقله الباطن الى قرار جعله يشعر بشيء من الراحة. لقد قرر انتظار أوامر المرسال.

تنبه ميخا الى أنه لا يزال في الطائرة، وخرج من شروده عندما أعلن قبطان الطائرة اقترابهم من الأجواء الإماراتية، وقرب موعد هبوطهم في

Twitter: @alqareah

مطار دبي الدولي.

نظر ميخا من النافذة فوجد أنهم لا يزالون على ارتفاع شاهق لا يسمح بعد برؤية معالم المدينة. أعاد جهاز الآيباد الى حقيبته، وأخذ يتجهز معنوياً للفترة المقبلة التي سيقضيها في دبي. عرضت عليه زوجته أن تتصل بأحد معارفها في دبي ليستقبله في المطار لكنه رفض عرضها، كما رفض عرضاً مماثلاً من سيرغي لإرسال أحد الموظفين العاملين في أحد فروع شركاته في دبي لاستقباله في المطار وإيصاله الى شقته. لقد تعمد ميخا أن لا يجلب الأنظار، لقد أراد أن يصل الى دبي في هدوء وسرية تامة، فهدفه من زيارة دبي أساساً هو الابتعاد عن عيون الصحافة، ولهذا فقد اتفق مع سيرغي على أن لا يتم إعلام فروع شركاته في دبي بتواجده هناك، وطلب منه تجهيز شقته الخاصة ليمارس أعماله منها.

أحس ميخا بأن الطائرة بدأت تنخفض تدريجياً، وبعد دقائق أصبح بمقدوره أن يشاهد معالم المدينة المضيئة في الليل من نافذة الطائرة.

من يصدق أن هذه المدينة كانت صحراء جرداء قبل بضعة عقود من الزمن تساءل في سره قبل أن يجيب نفسه بنفسه لابد أن الفضل يعود الى اكتشاف النفط، ثم استدرك لكن هذا لا ينفي أن أهلها استغلوا أموال النفط استغلالاً جيداً، فبنوا مدينة تسابق المدن العالمية، ويشهد لها الجميع بالتألق، وان كنت أعتقد أنها بالغت في الاعتماد على النهضة العمرانية وتجارة العقارات، في الوقت الذي كان يجب أن تركز فيه على أمور أكثر أهمية.

كان ميخا من أكبر المعجبين بنهضة دبي وإنجازاتها، ولكنه كان يرى أن أبوظبي تصرفت بأموال النفط بشكل أكثر حكمة، لهذا كانت الرابح الأكبر في الأزمة الاقتصادية، واستطاعت التدخل في الوقت المناسب لاستغلال الأموال المتراكمة من بيع النفط في السنوات السابقة،

Twitter: @alqareah

فقامت بالمساهمة في عدد من الشركات العالمية التي انتقتها بعناية فائقة، وركزت على الاستثمار في المستقبل. لقد أعجب ميخا كثيراً بالخطوة التي اتخذتها حكومة أبوظبي عندما قررت المساهمة في شركة AMD المصنعة لرقائق الحاسوب وشراء جميع مصانعها، والإصرار على نقل صناعة التكنولوجيا الدقيقة الى أراضيها.

كان ميخا مدركاً أن إمارة أبو ظبي هي الإمارة الأغنى بين الإمارات السبعة التي تشكل الاتحاد، وأن أغلب حقول النفط تقع ضمن حدودها، أما إمارة دبي فقد كان اعتمادها على النفط محدوداً، وهذا يفسر تأثرها بالأزمة الاقتصادية بشكل أكبر من تأثر أبو ظبي العاصمة، ولكن ما لم يستطع ميخا فهمه أو استيعابه بشكل كامل فكان حول عدم قيام حكومة أبو ظبي بسداد ديون إمارة دبي، والسماح باهتزاز صورتها عالمياً.

أعلن قبطان الطائرة في تمام الساعة التاسعة وخمسين دقيقة مساءً عن هبوط الطائرة بنجاح في مطار دبي الدولي.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل الثالث عشر

في ضيافة عادل

استيقظ روستام باكراً في ذلك اليوم، وصلى صلاة الضحى، ثم أعد فطوراً سريعاً تناوله مع زميله في الشقة أصلان والذي وصل حديثاً من الشيشان ليبحث عن عمل في دبي. لم يكن روستام على معرفة مسبقة بأصلان والتقى به صدفة في المسجد القريب من منزله الواقع على ضفاف بحيرة خالد في مدينة الشارقة.

يتميز الشيشانيون بقدرتهم على التعرف على أبناء وطنهم بسهولة أينما كانوا وكيفما لبسوا أو غيروا من هيئتهم أو تحدثوا بغير لغتهم. هناك دوماً شيء ما يشير الى أصولهم. يعتقد أهل الشيشان بأن نوح عليه السلام رسا بسفينته على قمة أحد جبالهم، وبأنهم أصل الشعوب لأنهم كانوا بصحبته على السفينة.

عندما عرف روستام أن أصلان يبحث عن عمل وسكن، عرض عليه أن يوفر له عملاً معه، وأن يستضيفه في منزله مؤقتاً ريثما يحضر عائلته من الشيشان لتسكن معه. سر أصلان بالعرض كثيراً ووافق على الفور، واستطاع في فترة قصيرة أن يثبت جدارته ويحظى بثقة روستام ورضاه، فقد كان مستعداً للعمل لساعات طويلة وأحياناً لأيام متواصلة. أعجب روستام بإخلاص أصلان وتفانيه في العمل، وأمانته التي اختبرها عدة مرات، كما كان سعيداً بتدين أصلان الواضح ومحافظته على الصلاة

Twitter: @alqareah

وتحريه للحلال، فاتخذه صديقاً مقرباً، وأصبح في زمن قياسي يده اليمنى في العمل.

ما رأيك أن تأتي بصحبتي لتتعرف على أصدقائي؟ عرض روستام على صديقه بينما كان يتجهز للخروج من الشقة ليلتقي بأصدقائه في محل عمل عادل، حيث تلقى دعوة لزيارته هناك والقيام بجولة بحرية.

ربما في وقت آخر. كما تعلم فاليوم يوم جمعة وعلي الاستعداد للذهاب باكراً الى المسجد بعد أن أستحم. أحب أن أخصص يوم الجمعة للعبادة وقراءة القرآن، فهو يوم العطلة الوحيد أما باقي الأيام فلا يتسنى لي فيها غالباً الصلاة في المسجد. اذهب في أمان الله وحفظه.

خرج روستام من الشقة قبل نصف ساعة من موعد اللقاء، ولم يلق بالاً للازدحام اليومي على الطريق بين الشارقة ودبي، فيوم الجمعة مستثنى من الازدحام الصباحي الذي يعاني منه سكان الشارقة الذين يعملون في دبي، ويضطرون للسكن في الشارقة لانخفاض إيجارات شققها مقارنة بدبي، ويكون عليهم أن ينطلقوا يومياً وفي وقت واحد ومنذ الصباح الباكر ليتوجهوا الى أعمالهم، فتزدحم بهم شوارع الشارقة غير المهيأة للتعامل مع هذا العدد الكبير من السيارات. تستمر موجة الازدحام في كل يوم الى العاشرة صباحاً، ثم تختفي لتعود مجدداً في المساء ولكن في الاتجاه المعاكس من دبي الى الشارقة، عند عودة الموظفين من أعمالهم. أما يوم الجمعة ولأنه يوم عطلة رسمية للقطاع العام والخاص فيكون الازدحام فيه عادة في فترة العصر ويستمر الى ما بعد المغرب، ويكون في الاتجاه من الشارقة الى دبي حيث يتوجه سكان الشارقة مع عائلاتهم لقضاء يوم العطلة في المراكز التجارية وأماكن الترفيه المتنوعة التي تعج بها إمارة دبي.

كان أصدقاء روستام يستغربون من اختياره لإمارة الشارقة ليسكن

Twitter: @alqareah

فيها، مع أن شركته تقع في قلب دبي وجميع أعماله تتم ضمن حدودها، ولا تنقصه الأموال ليستأجر أفخم شقة فيها. ما لم يعرفه أصدقاء روستام والمقربين منه، أنه اختار مدينة الشارقة لأنه يشعر فيها بالطابع والجو الإسلامي أكثر من دبي المدينة السياحية العالمية. وقد حرص على أن يستأجر شقة في منطقة راقية من الشارقة تكون قريبة من دبي، وذلك لتقليص الوقت الذي سيقضيه على الطريق بين المدينتين قدر الإمكان.

انطلق روستام بسيارته التيوتا لاند كروزر موديل 2009 والتي اشتراها بمجرد أن نجحت أعماله وأصبحت تدر عليه أرباحاً كبيرة. أشار عليه أصدقاؤه أن يشتري السيارة بالتقسيط كي لا يحمّل نفسه أعباء جمع مبلغ كبير من المال، لكنه رفض ذلك وفضل أن يدفع ثمن السيارة دفعة واحدة، فقد كان من النوع الذي يكره أن تتراكم عليه الديون، وقد استغرب كثيراً حياة الناس في الإمارات والتي تعتمد اعتماداً كبيراً على الديون، ويصبح الموظف فيها مغلغلاً بأقساط السيارة والأثاث والبطاقات الائتمانية والقروض، هذا إضافة الى فوائدها إن كان ممن يتعاملون مع بنوك ربوية. لقد سمع كثيراً عن موظفين استغنت عنهم شركاتهم فأصبحوا مفلسين بين ليلة وضحاها، ولم يستطيعوا الالتزام بدفع الأقساط المتراكمة عليهم، فتعرضوا للمساءلة القانونية أو فروا من البلاد من غير عودة.

سأل أحدهم ذات ليلة عما يدفعه للجوء الى تكبيل نفسه بالديون للمصارف فأجابه راتبي كان بحدود سبعة آلاف درهم أي ما يعادل ألفي دولار أمريكي تقريباً، وهو راتب مرتفع إذا ما قورن براتبي المتواضع الذي كنت أتقاضاه في مصر. بطبيعة الحال فجل أقربائي في مصر باتوا يحسدونني على فرصة العمل التي سنحت لي في دبي، وأصبح كل منهم يتمنى أن يحل محلي وأن يتقاضى ما أتقاضاه. المشكلة أنهم لا يعرفون أني أضطر لإنفاق نصف راتبي كل شهر، مقابل إيجار الشقة المتواضعة

Twitter: @alqareah

التي استأجرتها في حي مكتظ في الشارقة، ولا يعلمون أن الحياة مستحيلة في الإمارات لمن لا يملك سيارة، وبما أني لا أملك مبلغاً كافياً لشراء سيارة فقد اضطررت لتقسيط ثمنها، وأصبحت ملزماً بدفع مبلغ ألف درهم شهرياً قسطاً لها. وبما أن لدي ولدين يذهبان الى المدرسة كنت مخيراً بين أن أعيش بمفردي بعيداً عنهم، أو أن أستقدمهم للعيش معي في الإمارات. لم أستطع الصمود بعيداً عنهم أكثر من عام واحد، وقررت أخيراً أن أستقدمهم مع أمهم، لأجد نفسي مضطراً لدفع ألفي درهم شهرياً رسوم الدراسة وكأنهما يدرسان في الجامعة الأمريكية وليس في مدرسة ابتدائية. وهكذا أصبح الراتب يتبخر في أول يوم من الشهر، ووجدتني مضطراً للاستعانة بالبطاقات الائتمانية والقروض الشخصية كي أتمكن من الصمود والعيش في هذا البلد على أمل أن يرتفع راتبي قريباً وأصبح قادراً على العيش برغد، أما ما لم أحسب له حساباً فكان تلك الأزمة الاقتصادية التي اجتاحت العالم في غفلة منه وعرَّت الاقتصادات الهشة، ووجدت نفسي فجأة عاطلاً عن العمل وكاهلي يرزخ تحت وطأة الديون.

التقى روستام بكثيرين يعيشون بنفس الطريقة، واستغرب المخاطرة الكبيرة التي يعرضون أنفسهم وعائلاتهم لها، فما داموا غير قادرين على تحمل تكاليف العيش في هذا البلد فلماذا لا يعودون الى أوطانهم؟ بحث روستام طويلاً عن إجابة، وسأل كثيراً من الناس ليفسر له هذه المعضلة، فتبين له أنه لا توجد إجابة واحدة لهذا السؤال، فبعض المقيمين هنا اعتادوا على الرفاهية التي لا يجدونها في بلدانهم، وبعضهم الآخر كان يستمتع بالحرية التي يفتقدها في بلده، وآخرون كانوا ببساطة يستمتعون عندما يسافرون الى أوطانهم في الإجازات، وينظرون الى عيون أقربائهم وهي تكاد تخرج من محاجرها حسداً وظناً منهم أن أقرباءهم يعيشون في الإمارات فوق الريح وفقاً للتعبير الدارج.

Twitter: @alqareah

وصل روستام الى مكان اللقاء قبل عشر دقائق من الموعد، ولكنه وجد صعوبة في العثور على عادل وأصحابه فمحل عمل عادل يقع في ميناء بحري ضخم يحتاج الى خريطة للتجول فيه، هذا ناهيك عن الحراسة المشددة التي يتمتع بها الميناء والتي بسببها أُوقف روستام عدة مرات للاستفسار عن الوجهة التي يقصدها في الميناء.

قرر روستام بعد أن فقد الأمل بالعثور على شركة عادل بنفسه، أن يتصل به ليرشده الى الطريق الذي عليه أن يسلكه.

وصل روستام أخيراً بالاستعانة بإرشادات عادل وتوجيهاته ليجد أن جميع أفراد الشلة قد سبقوه في الوصول. ألقى عليهم السلام وانضم إليهم في جولة حول المكان بقيادة عادل الذي قام بدور المرشد السياحي.

كان الميناء يعج بمختلف أنواع السفن الصغيرة والكبيرة، القديمة الأثرية والحديثة المتطورة. كان عادل يتوقف أمام كل سفينة ويعطي أصدقاءه نبذة عن مزاياها وعيوبها ومكان صنعها وطريقة قيادتها. كانت أغلب السفن الراسية في الميناء ذلك اليوم عبارة عن سفن للصيد أو للشحن ونقل البضائع، كما ظهرت في الأفق سفينة عملاقة أخبرهم عادل أنها ناقلة نفط.

أشارت نتاشا الى مجموعة من السفن الخشبية القديمة التي كانت ترسو في أحد زوايا الميناء وطلبت من عادل أن يحدثهم قليلاً عن تاريخ هذه السفن. سر عادل باهتمامها واقترب بهم من مجموعة السفن الأثرية وأخذ يحدثهم عنها. أشار الى سفينة خشبية كبيرة وأخبرهم أنها تسمى البغلة وأنها كانت مخصصة لنقل البضائع من الخليج الى الهند وشرق أفريقيا، وتصل حمولتها الى 400 طن بينما يصل طولها الى خمسين متراً وعرضها الى عشرة أمتار وترتفع اثني عشرة متراً. انتقل بعدها الى سفينة أخرى أصغر حجماً أخبرهم أنها تسمى جالبوت ويتراوح

Twitter: @alqareah

طولها ما بين سبعة وعشرة أمتار، كما تبلغ حمولتها من 15 - 60 طناً، ويقال أن أصل تسمية (جالبوت) جاء من اسم السفينة الهولندية (دالي بوت). انتقل بعدها الى سفينة أخرى أخبرهم أنه كان يطلق عليها اسم السنبوك وأنها كانت تستخدم في أسفار الغوص وصيد السمك، ويبلغ طولها عشرين متراً وتتراوح حمولتها ما بين 25 - 60 طناً، ويقال أن السنبوك في الأصل يعتبر من سفن المصريين القدماء. توقف أخيراً أمام سفينة شراعية أخبرهم أنها تعد من أشهر السفن الشراعية في منطقة الخليج ويطلق عليها البوم، وقد اتخذتها الكويت شعاراً لها لأن صناع السفن الكويتيين كانوا هم من طورها في أواخر القرن التاسع عشر، بعد أن استعانوا بتصميم سفينة البغلة، وغيروا من شكل مؤخرتها فجعلوها مدببة بدلاً من الشكل المربع، وأثبت هذا التصميم فعاليته وقدرته على الصمود في وجه الأمواج.

أخذ عادل بعدها يشرح لهم طريقة صناعة السفن الشراعية قديماً، فأخبرهم أن سفينة البوم على سبيل المثال كان يستغرق بناؤها ستة أشهر، تبدأ بعد جلب الأخشاب والمعدات اللازمة الى الأستاذ وهو مهندس السفينة، فيقوم بأخذ القياسات ثم إعداد خشبة القاعدة بشكل مستقيم، ثم يقوم بعدها بتركيب مقدمة السفينة بشكل مائل الى الأمام، وتركيب خشبة المؤخرة بشكل مائل الى الخلف. بعد تثبيت الميلين بالقاعدة يكون الإطار العام للسفينة قد اكتمل للقيام ببناء بقية أجزائها بما تتضمنه من ألواح وأضلاع وأعمدة وصواري وأشرعة وغيرها.

توجه عادل أخيراً الى القسم الذي ترسو فيه اليخوت الخاصة، والتي يتراوح طولها بين عشرة الى ثلاثين متراً. اختار عادل أحدها ودعا ضيوفه لدخوله. تردد أصدقاء عادل في البداية في الاستجابة لدعوته، لكنه أكد لهم أنه يمتلك تصريحاً بدخول اليخت بل وبالإبحار به، فهو

Twitter: @alqareah

المسئول عن صيانته.

كان يختاً كبيراً أبيض اللون يصل طوله الى 28 متراً، ومكون من طابقين. أخبرهم عادل أنه صنع في عام 2008 ويتسع لثلاثين راكباً ويحتوي على أربع غرف نوم إضافة الى قمرة القيادة وصالة للجلوس ومطبخ.

انبهر روستام بالرفاهية التي يوفرها ذلك اليخت، فقد كان الطابق العلوي مخصصاً لحفلات الشواء في الهواء الطلق، بينما احتوى الطابق السفلي على الصالة وغرف النوم والمطبخ.

سر عادل من علامات الدهشة التي ارتسمت على وجوه أصدقائه عندما تفاجئوا برحابة المكان في الأسفل والفخامة التي تذكر بفنادق الخمسة نجوم.

كانت الصالة مزودة بطقم أثاث فاخر ومفروشة بسجاد فارسي أصلي مصنوع يدوياً، وقد علقت على جدرانها اللوحات الفنية القيمة إضافة الى شاشة بلازما كبيرة قياس ستين بوصة. ونظام مسرحي لعرض الأفلام بتقنية دي في دي وبلوراي، إضافة الى أجهزة ألعاب الفيديو التي تنوعت بين البلي ستيشن 3 مع أدوات التحكم موف، والإكس بوكس 360 والمزود بتقنية كينيكت.

أما غرف النوم فقد احتوى بعضها على أسرّة مفردة واحتوى بعضها الآخر على أسرّة مزدوجة، إضافة الى خزانة ملابس وألحق بكل من الغرف حمام داخلي.

توجهت نتاشا لتفقد المطبخ فوجدته مزوداً بأفضل التجهيزات وأدوات الطبخ، وقد أعجبها تصميمه المعتمد على الفولاذ المقاوم للصدأ، وسرت بحجم الثلاجة الكبيرة وبغسالة الصحون والفرن الكبير قياس 90 سم.

Twitter: @alqareah

بعد أن انتهوا من التجول في الغرف دعاهم عادل الى قمرة القيادة، وأخذ يشرح لهم الغاية من العدادات والأزرار الكثيرة التي انتشرت خلف المقود، فحدثهم عن الرادار وعن نظام تحديد المواقع واستخدام جهاز اللاسلكي، وكيفية التحكم بسرعة اليخت وتوجيهه، ثم أعطاهم نبذة عن قوانين وقواعد الإبحار، وكيفية التصرف في حالات الطوارئ.

أحس عادل أن الملل بدأ يتسلل الى نفوس ضيوفه، وخاصة روستام الذي كان ينظر الى ساعته بشكل مستمر.

هل تأخرت عن موعد ما؟ وجه عادل سؤاله الى روستام وهو يشير الى ساعة يده.

كلا، ولكني أراقب الوقت كي لا تفوتني صلاة الجمعة.

لا تقلق، سنذهب جميعاً لأداء صلاة الجمعة عندما يحين وقتها قال عادل ثم تنبه الى وجود نتاشا بينهم، فنظر معتذراً الى سالم، والذي سارع فقال: سأوصل نتاشا الى المنزل أولاً ثم ألحق بكم الى المسجد.

هز عادل رأسه معترضاً وقال: لقد اتفقنا على تناول الغداء سوياً، لقد أمضيت ليلة البارحة في إعداد أشهى الأكلات المصرية، ولن أسمح لأحد بالمغادرة، كما أنه ليس منطقياً أن توصل نتاشا الى المنزل ثم تعود لتصحبها بعد الصلاة.

قاطعته نتاشا لا تقلقوا بشأني، سأنتظركم في السيارة ريثما تنتهوا من الصلاة ثم أذهب معكم أينما شئتم. بدا اقتراح نتاشا مقبولاً ولم يعترض أحد.

كان لا يزال متبقياً ساعتان على موعد الصلاة فاقترح عادل أن يأخذهم في جولة بحرية. سر الجميع بهذا الاقتراح والذي كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر كما يبدو.

قام عادل بتجهيز اليخت وفك الحبل الذي يربطه بالمرسى، ثم عاد

Twitter: @alqareah

الى قمرة القيادة فوجدها فارغة إذ قرر أصدقاءه أن يجلسوا في الطابق الأعلى ليستمتعوا بمنظر البحر.

بدأ اليخت بالتحرك تدريجياً الى الوراء، ثم عدل من وجهته وانطلق في البداية ببطء ريثما خرج من الميناء وابتعد عن السفن الراسية فيه، بعدها لاحظ الركاب في الطابق الأعلى أن سرعة اليخت بدأت تزداد بشكل تدريجي الى أن أصبح اليخت يشق عباب البحر تاركاً خلفه ذيلاً طويلاً من الزبد.

استمتع أصدقاء عادل بالريح التي أخذت تصفع وجوههم وبرذاذ البحر الذي بدأ يتساقط عليهم كالمطر. من حسن الحظ لم يكن أيٌّ منهم يعاني من دوار البحر، وكانوا جميعاً يجيدون السباحة وان كان ذلك لم يمنع عادل من إرغامهم جميعاً على ارتداء سترات النجاة تحسباً لأي طارئ.

أراد عادل مفاجأتهم فتوجه بهم نحو جزيرة ضخمة من صنع الإنسان تُرى من الفضاء الخارجي على شكل نخلة عملاقة. لقد تم افتتاح الجزيرة التي أطلق عليها نخلة الجميرا منذ سنوات قليلة ومازالت الأبنية تشيد فيها الى الآن. أحب عادل أن يقترب باليخت من الهلال الذي يحيط بالجزيرة والذي شيد عليه واحد من أفخم الفنادق في العالم وهو فندق أتلانتيس، والذي يشبه في تصميمه القصور التي ورد ذكرها في روايات ألف ليلة وليلة.

كانت مفاجأة سارة بالفعل فقد كانت المرة الأولى التي يشاهد فيها جواد وروستام هذا الفندق عن قرب، وكانت المرة الأولى لسالم وزوجته ليروا الفندق من البحر ويسمح بهم بالدوران حوله.

نظر عادل الى ساعته فوجد أنه لا يزال هناك متسع من الوقت لزيارة معلم بحري آخر، فتوجه الى جزر العالم وهي مجموعة من

Twitter: @alqareah

الجزر الاصطناعية تم تشييدها في البحر على شكل خارطة العالم. اقترب باليخت من إحدى هذه الجزر والتي تم تسليمها لأصحابها بعد بناء فيلا فخمة عليها تحيط بها حديقة غناء تحتل كامل مساحة الجزيرة. كان مشهد هذه الجزيرة هو الأروع في هذه الرحلة برأي نتاشا، فقد بدت الجزيرة شبيهة بجزر المالديف السياحية والتي كانت نتاشا تطالب زوجها باستمرار بالذهاب إليها لقضاء الإجازة، بعد أن شاهدت برنامجاً وثائقياً يتحدث عن روعتها وجمال طبيعتها واعتدال مناخها، وإمكانية أن يستأجر الزائر إليها جزيرة كاملة يقضي فيها أيام إجازته في جو من الخصوصية والرومانسية.

رجع عادل الى الميناء قبل نحو نصف ساعة من موعد خطبة الجمعة، وركب الجميع سياراتهم. اصطحب سالم جواد معه، وتوجهوا جميعاً الى إمارة عجمان حيث يقطن عادل، واتفقوا على صلاة الجمعة في الجامع القريب من منزله.

أصر عادل على نتاشا أن تصعد الى شقته لانتظارهم هناك ريثما ينتهوا من الصلاة بدلاً من الانتظار في السيارة. نظرت نتاشا الى زوجها فأومأ لها موافقاً فصعدت الى الشقة وفتحت الباب بالمفتاح الذي أعطاه لها عادل، وانتظرت في غرفة الجلوس، بينما ذهب الرجال الى المسجد للاستماع الى خطبة الجمعة وأداء الصلاة.

استغربت نتاشا من مدى نظافة الشقة وترتيبها. كانت تعرف أن شقق العزاب أو الأزواج الذين يقطنون بمفردهم تكون في العادة غير منظمة. كانت شقة عادل تمثل استثناءً لهذه القاعدة.

لاحظت نتاشا أن الأثاث في الشقة متواضع ولكنه متناسق وألوانه هادئة، كان سالم قد أخبرها فيما سبق أن المصريين يحبون أن يقتصدوا في عيشهم في الغربة لأنهم في قرارة أنفسهم يكونون مدركين أنهم لابد

Twitter: @alqareah

وسيعودون الى وطنهم، لهذا يحرصون على جمع مال كافٍ لشراء شقة أو منزل في مصر، ثم يقومون بفرشه على أحدث طراز، أخبرها أنه معجب بطريقة تفكيرهم والتي تختلف عن الفلسطينيين مثلاً والذين يظنون أن الغربة قد تصبح وطناً لهم، ولا يدركون إلا متأخراً أنهم ضيوف على أحسن تقدير، وغالباً ما يضطرون للخروج من البلاد التي استضافتهم رغماً عنهم بدون أن يكونوا قد تجهزوا لذلك.

عاد عادل بعد أقل من ساعة وبصحبته باقي المجموعة، دعاهم للتوجه الى غرفة الجلوس بينما دخل هو الى المطبخ لإنهاء إعداد الطعام.

جلس سالم بجانب زوجته على أريكة مزدوجة، وجلس جواد على مقعد بالقرب من سالم، أما روستام فاختار لنفسه أريكة ثلاثية تمدد عليها، وقام بتشغيل التلفاز ذي الواحد والعشرين بوصة، وسأل بصوت مرتفع كي يصل الى عادل في المطبخ هل طبق استقبال بث الأقمار الصناعية لديك موجه على القمر الصناعي الأوروبي هوتبيرد؟

سمع عادل السؤال، عندما سكنت في الشقة أخبرني مكتب التأجير أن لديهم في البرج طبق لاقط مركزي يلتقط بث أقمار عرب سات ونايل سات وهوتبيرد، لكني قمت بتوليف جهاز الاستقبال لعرض قنوات العربسات والنايلسات فقط، إذا كنت مهتماً بقنوات الهوتبيرد تستطيع توليف الجهاز بنفسك، أو اطلب من جواد أن يقوم بالمهمة بالنيابة عنك.

أود مشاهدة آخر الأخبار على قناة روسيا اليوم، والتي تبث بالعربية والانجليزية والروسية على عدة أقمار، ولكني مهتم فقط بالنسخة الروسية، لأنها تبث أخبار روسية محلية أكثر من مثيلاتها العربية والانجليزية، سأحاول توليف الجهاز بنفسي فإن فشلت وقمت بإفساد توليفتك الخاصة عندها سألجأ الى جواد نظر الى جواد وغمزه بعينه.

ابتسم جواد في المقابل ولم يعلق.

Twitter: @alqareah

انهمك روستام في محاولة إعادة توليف جهاز الاستقبال بحثاً عن القناة الروسية، أما عادل فكان على وشك الانتهاء من تسخين الطعام وإعداد السلطات.

اقترب جواد بمقعده أكثر من الأريكة التي يجلس عليها سالم ونتاشا، ثم مال بجسده وهمس في أذن سالم علينا أن نجتمع قريباً لننهي ما بدأناه، فقد بعث عادل بأسماء الفرق التي يتوقع مشاركتها، ولم يبق إلا أيام قليلة على انتهاء موعد تقديم الطلبات، لهذا أقترح أن نلتقي في شقتي قبل بضعة ساعات من انتهاء الموعد، ونقارن الأسماء التي جمعها عادل بطلبات الاشتراك التي أُرسلت الى اللجنة ووصلتنا نسخ منها على البريد الالكتروني، فنختار أحد الفرق التي لم تشارك في المسابقة، ونقدم طلباً بالنيابة عنه يكون البريد الالكتروني المذكور فيه خاص بنا، لنكمل هذه المرحلة من الخطة، ثم تذكر أمراً هاماً فتابع قائلاً لقد عثرت في سيرفر الشركة على معلومات غاية في الأهمية حول الإجراءات المتبعة لاختيار الفريق الفائز، ونستطيع الاستفادة منها لإحكام خطتنا.

أمال جواد بجسمه أكثر فأصبحت أذنه قريبة من فم سالم، والذي قال له هامساً كذلك: هذه أخبار ممتازة، سأحضر لزيارتك إن شاء الله في التاسعة مساءً من ليلة الأول من يونيو، أي قبل ساعات من منتصف الليل، ولكن ماذا سنفعل إن كنا سيئين الحظ وتقدمنا بطلب مشاركة باسم أحد الفرق، ثم قام الفريق الحقيقي بتقديم طلبه بعدنا بدقائق وقبل انتهاء الموعد؟

عاد الدور مجدداً الى جواد ليرد هامساً لقد فكرت بهذا الاحتمال رغم أنه مستبعد، ولكن وكإجراء احترازي قمت بالتعديل على إعدادات سيرفر البريد الالكتروني بحيث يوقف أي رسالة موجهة الى البريد الالكتروني الخاص بالمسابقة، فيرسلها إلينا أولاً لنقرر فيما لو أردنا أن

Twitter: @alqareah

نسمح لها بالوصول الى وجهتها أم لا، ما أقصده أنني سمحت لأنفسنا بأن نكون في مركز التحكم، فنتعامل مع أي أمر طارئ بما يتناسب مع مصالحنا.

ابتسم سالم وأومأ برأسه مسروراً من حنكة جواد وحسن تصرفه.

يبدو أنني أعدت اكتشاف جواد. من الواضح أنه خُلق ليكون عضواً بارزاً في المافيا الالكترونية ابتسم سالم لهذه الفكرة التي طافت على ذهنه.

كانت نتاشا تتابع سجال الهمسات بين زوجها وجواد، وخمنت أن للأمر علاقة بالخطة التي يعدونها من أجل الاشتراك في المسابقة. أكد سالم تخمينها عندما مال عليها وأخبرها هامساً بملخص ما دار بينه وبين جواد.

كانت نتاشا تستمتع عادة بمشاهدة تأثير سحرها على من حولها، فلم يسبق لها أن رغبت في معرفة سرِ ما وواجهت صعوبة في ذلك، لقد كانت تكتفي بإرسال سهام مسحورة من عينيها تفقد غريمها اتزانه فيبوح لها بسره عن طيب خاطر.

فاحت رائحة زكية ملأت المكان وأرغمت الضيوف في غرفة الجلوس على ترك ما بأيديهم، والتوجه بأنظارهم ناحية المطبخ، حيث خرج عادل وأخذ ينقل أطباقاً عامرة بأصناف مختلفة من الطعام. تطوع جواد لمساعدته في ترتيب المائدة وتوزيع الصحون والملاعق، وصب المياه في الكؤوس.

جلس الجميع حول المائدة حتى قبل أن يفرغ عادل من وضع جميع الأصناف التي أعدها.

أخذ عادل يحصي لضيوفه قائمة الأطعمة التي أعدها على الطريقة الإسكندرانية، فهذه ملوخية بالجمبري، وهذه شوربة بحرية تحتوي على قطع من سمك البوري إضافة الى جمبري صغير الحجم، وهذه كابوريا

Twitter: @alqareah

سـرطان البحر مسـلوقة، وهذه مجموعة من الأسـماك المنوعة المشـوية والمقلية وفقاً ولما يتناسب وحجمها، وهذه صيادية سمك بالرز، وهذا ورق عنب محشي بالرز والكزبرة، وتلك مجموعة منوعة من السلطات البحرية، وهذه مسقعة عملها خصيصاً من أجل نتاشا التي سبق وتذوقتها في زيارة سابقة مع زوجها، وأعجبت بطعمها. لقد كانت مائدة عامرة بما لذ وطاب.

سـر عـادل كثيـراً مـن سـيل المديـح الذي انهال عليـه عندما تذوق ضيوفه الطعام، وانبهروا بجودة إعداده، وطيب مذاقه.

هنيئاً لزوجتك بك علقت نتاشـا مبتسـمة وهي ترمق زوجها بنظرة معبرة.

هذه المرة الأولى التي أتناول فيها الملوخية بالجمبري. نأكلها في فلسطين عادة مع لحم الدجاج وبعض الناس يعدونها مع لحم الغنم أو البقـر، وأعـرف أنكـم فـي مصـر تفضلونهـا مع لحـم الأرانب نظر بطرف عينه الى زوجته ولمح رعشـة الاشـمئزاز التي توقع أن تصيبها عند ذكر الأرانب، ثم تابع أما بالجمبري فلم أسمع بها من قبل، ولا أخفيك فقد ترددت كثيراً قبل أن أقدم على تناول اللقمة الأولى، فقد توقعت أن يكون طعمها مريعاً، ولكني كنت مخطئاً من حسن الحظ، فطعم الملوخية بدا رائعاً، سلمت يداك يا عادل.

السر في البهارات وطريقة الطهي قال عادل متفاخراً.

الطعام لذيذ فعلاً، وان كنت أسـتغرب أن تجد وقتاً للطبخ. عندنا في الشيشـان لا يطبخ الرجل أبداً لقناعته بأن الطبخ من أعمال النسـاء، ومن العيب والمهانة أن يقوم الرجل به.

رمقـت نتاشـا روسـتام بنظـرة غاضبـة، فرفـع يديـه معبـراً عن عدم مسئوليته عما يعتقدونه في بلده.

Twitter: @alqareah

لقد سبق أن قرأت في أحد المواقع الالكترونية أن أشهر الطهاة في العالم هم من الذكور وليس الإناث تدخل جواد محاولاً أن يكون عضواً فاعلاً في النقاش.

أومأ الجميع برؤوسهم بما فيهم روستام الذي تنبه الى أن عبارته ربما لم تكن مناسبة، وأنها قد تحمل انتقاصاً غير مقصود من قدر عادل.

شكرت نتاشا عادل على جميع الأصناف التي أعدها، وخصت بالذكر أكلة المسقعة التي أصبحت تعشقها، وطلبت منه المقادير المستخدمة وطريقة الإعداد.

بعد الانتهاء من الوجبة الرئيسية، عاد عادل من المطبخ محملاً بصنوف من الحلويات التي أعدها بنفسه والتي تضمنت لقمة القاضي، البسبوسة، وأم علي.

سامحك الله يا عادل، لِم لَم تنبهنا الى أنك أعددت حلويات أيضاً، فنترك لها متسعاً في بطوننا؟

ضحك الجميع من تعليق سالم، وتناولوا ما أعده عادل بشراهة باستثناء نتاشا التي تناولت قدراً ضئيلاً للغاية، حرصاً منها على رشاقتها.

كانت نتاشا مدركة أن أي زيادة في وزنها قد يكون من الصعب التخلص منها في ضوء طبيعة العمل الذي يستهلك جل وقتها، فلا يتبقى منه ما يكفي لمزاولة الرياضة، كما أنها لم تكن ترغب في إعطاء زوجها ذريعة للنظر الى غيرها، بالرغم من ثقتها به.

لقد كانت حازمة بما يكفي لجعل زوجها يحافظ هو الآخر على لياقته البدنية، ولتثبت ذلك فقد مدت رجلها اليمنى خلسة من تحت الطاولة حيث كانت تجلس على الكرسي المقابل لكرسي زوجها، ولكزته بلطف بإبهام قدمها في بطنه.

انتفض سالم انتفاضة صغيرة لم يلحظها أحد سوى نتاشا التي

Twitter: @alqareah

ضحكت خفية، وأشارت برأسها الى صحن الحلوى الممتلئ أمامه، ثم لكزته مرة أخرى في بطنه، ثم نفخت خديها، ففهم أنها تود تنبيهه الى أن الإكثار من الحلويات يسبب السمنة.

رفع سالم قطعة كبيرة من البسبوسة بيده اليمنى، وأشار الى نتاشا بسبابة يده اليسرى واعداً بأن تكون القطعة الأخيرة التي سيتناولها.

هزت نتاشا رأسها معبرة عن رفضها، فوضع سالم قطعة البسبوسة من يده وحمل عوضاً عنها كرة صغيرة من حلوى لقمة القاضي، وأشار بها طالباً الإذن بتناولها، أومأت نتاشا بالموافقة فابتلعها فوراً مبتسماً.

من حسن الحظ لم يتنبه أي من الحاضرين الى معركة فرض الرأي التي جرت بين سالم وزوجته، والتي انتصرت فيها نتاشا بجدارة، وأثبتت في نفس الوقت رأفتها بخصمها.

كان روستام منهمكاً بمتابعة القناة الروسية التي نجح في توليفها، أما عادل وجواد فقد انشغلا في الحديث عن برنامج الأوتوكاد الذي يستخدمه عادل في تصميم اليخوت والسفن، فقد واجه عادل مشكلة في تحديث البرنامج نظراً لانتهاء صلاحية رخصته، وأراد أن يستفيد من خبرة جواد لحل المشكلة، بدون أن يضطر لدفع النقود من أجل تجديد رخصة البرنامج. وعده جواد بكسر حماية البرنامج في أقرب فرصة ليتمكن عادل من استخدامه وتحديثه بدون مشاكل.

كان يوماً ممتعاً قضى فيه زوار عادل وقتاً جميلاً، وشكروه على حسن ضيافته.

بعد غروب الشمس بقليل استأذن سالم وزوجته بالمغادرة واصطحبوا جواد معهم الى دبي ليوصلوه في طريقهم. خرج روستام معهم أيضاً، وتوجه بسيارته الى الشارقة.

Twitter: @alqareah

الفصل الرابع عشر

المرحلة الثانية

خطط جواد لتلك الليلة بشكل جيد. كان عليه التخلص من زميله في الشقة، ليتسنى له العمل بحرية عندما يأتي سالم لزيارته في الساعة التاسعة مساءً. أخبر جواد زميله المصري أنه بانتظار زيارة من أحد أقربائه، وسيكون من الصعب استقباله في شقتهما المكونة من غرفة واحدة فقط. فهم أحمد مراد جواد وعرض بنفسه أن يترك الشقة في تلك الليلة، لينام عند أحد أصدقائه، وقد اعتاد على فعل ذلك بين الحين والآخر، فقد كان يحب زيارة أصدقائه المصريين والمبيت لديهم، فمعهم يكون محاطاً بجو من الترفيه والتسلية، لا يستطيع الحصول عليه عندما يكون بصحبة جواد.

غادر أحمد الشقة في تمام الساعة السابعة مساءً. نظر جواد الى الشقة فوجدها في وضع مزري، لقد كانت المرة الأولى التي يزوره سالم فيها، ولم يشأ أن يترك لديه انطباعاً بأنه شخصٌ مهمل أو يفتقر الى التنظيم.

انهمك جواد في تنظيف الشقة وترتيبها، فبدأ أولاً بإزالة مخلفات الطعام الجاهز المنتشرة في أنحاء الغرفة والمتراكمة منذ عدة أيام أو ربما أسابيع. انتقل بعدها الى تنظيف الأرضية فكنسها أولاً، ثم عمد الى شطفها بالماء والديتول الى أن استعادت اللون الأصلي للبلاط.

Twitter: @alqareah

توجه أخيراً الى المطبخ، وهناك فزع من حجم تلة الصحون والأواني التي كانت في انتظاره في المجلى، لقد اعتاد مع زميله أن يغسلا فقط ما يحتاجانه وقت الأكل. شمر جواد عن ساعده وانهمك في جلي الصحون، وشعر بعد أن أصابه التعب بالتعاطف مع النساء اللاتي يجبرن على القيام بهذا العمل بشكل يومي.

كان يشعر بإنهاك شديد عندما انتهى من تنظيف دورة المياه. أخذ ينظر في أنحاء الشقة وشعر بالزهو مما استطاع إنجازه خلال ساعة ونصف.

علي أن أتذكر أن أتصل بوالدتي لأشكرها على محافظتها على منزلنا نظيفاً طوال هذه السنوات، وصبرها على لا مبالاتي أنا وإخوتي فكر جواد وابتسم عندما تذكر أنه كان دائماً ينظر الى المرأة على أنها مخلوق كسول لا يفعل شيئاً سوى التنغيص على الرجل حياته. ذكر نفسه بأن يعيد التفكير في قناعاته.

رن جرس الباب قبل ربع ساعة من الموعد، أسرع جواد بفتح الباب ورحب بصديقه.

علق سالم بشكل مقتضب على نظافة الشقة وترتيبها، فشعر جواد بالراحة لنجاحه في إخفاء معالم الحقيقة المزرية.

اختار سالم لنفسه الجلوس على مقعد بدا مريحاً، وكان قريباً من الطاولة الخاصة بجهاز الكمبيوتر المكتبي التي جلس جواد إليها. قام الأخير بتعديل وضعية الشاشة الكبيرة قياس عشرين بوصة بحيث أصبح سالم قادراً على رؤية ما تعرضه.

تذكر جواد أنه لم يقم بواجب الضيافة بعد، فعرض على سالم أن يتناولا أولاً طعام العشاء سوياً قبل أن ينهمكا في العمل. أخبره سالم أنه قد سبقه وتناول طعام العشاء قبل خروجه من منزله، لكنه طلب منه

Twitter: @alqareah

إعداد كوب من الشاي.

أعد جواد الشاي سريعاً وقدمه الى سالم، ثم جلس وأخذ يقص على سالم آخر ما توصل إليه بخصوص مشروعهما المشترك.

عرض جواد على الشاشة جدولاً مكوناً من عاموديـن احتوى أحدهما على قائمة بأسماء الفرق التي توقع عادل مشاركتها بالمسابقة، بينما احتوى العامود الآخر على قائمة بأسماء الفرق التي قدمت طلباتها فعلياً.

لقد تبين لي أن القائمة التي أعدها عادل دقيقة جداً، فقد وجدت أن جميع الفرق التي أرسلت طلباتها الى البريد الالكتروني الخاص بالمسابقة قد وردت أسماءها في قائمة عادل، ومن حسن الحظ فقد تخلف فريقان عن المشاركة أحدهما فرنسي والآخر هولندي، ولمزيد من الاطمئنان الى استبعاد أن يقوم أحدهما بإرسال طلب المشاركة في المسابقة في الساعات القليلة القادمة، فقد قمت بإجراء بحث مكثف عن هذين الفريقين وتصفحت مواقعهما الالكترونية بشكل مركز، فتبين لي أن الفريق الفرنسي سيكون منشغلاً في الشهور التسعة المقبلة بالمشاركة في مشروع ممول من قبل الحكومة الأسترالية لدراسة أسباب جنوح الحيتان الى شواطئها، وانتحارها الجماعي بهذه الطريقة بأعداد كبيرة كل عام.

أما الفريق الهولندي فهو منهمك في انتشال بقايا السفن الإسبانية التي أغرقها الأسطول الإنجليزي بالقرب من السواحل الإسبانية والبرتغالية، أثناء عودتها من السواحل الأمريكية قبل أربع مئة عام وهي محملة بالمعادن الثمينة. وقد ذُكر في الموقع أن هذه المهمة التي تولاها الفريق حديثاً، قد تستغرق عاماً كاملاً نظراً للعدد الكبير من السفن التي سيكون عليهم انتشالها من الماء، وخاصة بعد أن تبعثرت في قاع المحيط على مسافات متباعدة بمرور السنين.

Twitter: @alqareah

أخبار ممتازة ومجهود رائع تشكر عليه يا جواد. إعجابي يزداد بقدراتك يوماً بعد يوم علق سالم بسرور بالغ وكان يعرف أن جواد يحب هذا النوع من الإطراء والذي يستحقه بجدارة.

شكراً لك. علينا الآن أن نختار أحد هذين الفريقين لنقدم طلب الاشتراك باسمه، ولاستغلال الوقت قمت بجمع المعلومات اللازمة عن كلي الفريقين وقمت بتعبئة البيانات وبقي أن نحدد أحدهما.

فكر سالم ملياً في الأمر، كان عليه أن يحسن الاختيار محاولاً الاستفادة من أي ميزة قد يوفرها أحد هذين الفريقين دون الآخر.

قدِّم طلب الاشتراك باسم الفريق الفرنسي قال سالم فجأة، وكأنه تنبه الى ميزة حاسمة رجحت كفة الفريق الفرنسي.

وهل لي أن أسأل عن سبب اختيارك للفريق الفرنسي؟ انتظر جواد تفسيراً من سالم، وكان يدرك أن صديقه ليس من النوع الذي يتخذ قرارات عشوائية.

لقد تذكرت أن نتاشا تجيد اللغة الفرنسية وتتحدثها بطلاقة، وينطبق الأمر ذاته على عادل، فقد سبق أن أخبرني أنه نشأ وتعلم في مدرسة خاصة تحت إشراف راهبات فرنسيات، فكان يتحدث الفرنسية بطلاقة منذ صغره، وذلك استجابة لرغبة والدته التي كانت تحب أن تفتخر أمام صديقاتها، بأن ولدها يتحدث لغة أجنبية بطلاقة.

بما أننا قد عقدنا العزم على المشاركة باسم أحد هذين الفريقين فإني أجد أن من الحكمة بل من الضرورة أن يتحدث بعضنا بلغته، فمن يدري فقد نضطر في مرحلة ما من الخطة أن نزيل عن أنفسنا أي شبهة محتملة، واللغة كما تعرف هي أول ما قد يلفت النظر.

ملاحظة موفقة وفي محلها، ومن حسن الحظ أن لدينا في فريقنا عضوين يجيدان الفرنسية، مع أن شكل عادل لا يوحي بأنه فرنسي بتاتاً

Twitter: @alqareah

ابتسم جواد.

يستطيع أن يدعي أنه ذو أصول مغربية، إن دعت الحاجة.

حسناً، سأتصفح البريد الالكتروني مرة أخيرة لأتأكد من عدم وصول أي طلبات جديدة، ثم سأبعث بطلب الاشتراك بالنيابة عن الفريق الفرنسي.

لا تنسى أن تبعث الرسالة من بريد الكتروني وهمي خاص بنا، وان كنتُ لا أدري كيف ستستطيع أن لا تثير الشكوك إن استخدمت عنواناً لا يمت للفريق الأصلي بصلة، ألن يكون واضحاً من عنوان البريد الالكتروني أنه مختلف عن الموقع الرسمي للفريق على الانترنت؟ تساءل سالم وقد بدا عليه شيء من القلق.

ابتسم جواد وأجاب: لقد فكرت في ذلك الأمر، وقررت في البداية أن أحجز عنوان مجالٍ يكون شبيهاً شيئاً ما بعنوان الموقع الرسمي، فلو افترضنا أن الموقع الرسمي للفريق هو seashark.org فكان باستطاعتي أن أسعى لشراء اسم موقع قريب منه مثل seashark.net أو seeshark.org، ولكني قررت فيما بعد أن لا ألجأ الى هذه الطريقة لأنها تحمل في طياتها شيئاً من المخاطرة في حال اكتشف أحدهم أن اسم المجال مختلف، فشعر بالريبة وقرر الاتصال بالفريق الأصلي للتأكد من الأمر، وعندها سينهار مشروعنا قبل أن يبدأ. توقف جواد للحظات ليراقب ردة فعل سالم والذي عاجله بالسؤال عما قرر فعله للخروج من هذا المأزق.

لقد وجدت أنه من الأسهل علي أن أخترق سيرفر البريد الالكتروني الخاص بالفريق الفرنسي، ثم أنشئ حساباً جديداً فيه وأعده بحيث يقوم تلقائياً بإعادة توجيه الرسائل الواردة إليه الى بريدي الخاص، وهكذا أضمن أن العنوان الذي سنستخدمه لتقديم الطلب لن يثير أي شبهة لأنه عنوان حقيقي ويتبع فعلاً لموقع الفريق الفرنسي. كل ما في الأمر أن

Twitter: @alqareah

الفريق الفرنسي لا يعرف شيئاً عن هذا الحساب الذي يتلقى الرسائل ويعيد توجيهها إلينا.

رائع يا جواد، لقد اهتممت بأدق التفاصيل، ولكن كيف عرفت أني سأختار الفريق الفرنسي فقمت باختراق موقعهم؟ تساءل سالم ومشاعر الإعجاب لديه قد اختلطت بالحيرة.

ابتسم جواد ابتسامة أوسع من سابقيها في الحقيقية لم أعرف وإنما كان لدي بعض المتسع من الوقت في الأيام السابقة لهذا قررت القيام بنفس الخطوات مع الفريقين.

لم أفهم. ماذا تقصد بأنك قمت بنفس الخطوات مع الفريقين؟ سأل سالم وقد تضاعفت حيرته.

لقد قمت باختراق الموقع الخاص بكل من الفريقين وأنشأت حساباً سرياً خاصاً بي في سيرفر البريد الالكتروني لكل منهما.

انفجر سالم ضاحكاً من المفاجأة يا لك من شخص خطير قال مداعباً.

لم ينتهي الأمر عند هذا الحد، فقد قمت بالبحث عن سيرفرَي بروكسي أحدهما في فرنسا والآخر في هولندا، وذلك كي أرسل الرسائل عن طريق أحدهما وفقاً للفريق الذي ستقوم باختياره.

لم أفهم النقطة الاخيرة، فأنا لست متمرساً في أمور الحاسوب الى هذه الدرجة، وأحتاج أن تشرح لي بشكل أوضح.

تنهد جواد حسناً سأشرح لك. عندما نرسل رسالة ما بالبريد الالكتروني وتصل الى الطرف الآخر فإنها تكون مصحوبة ببعض المعلومات عن المسار الذي اتبعته الى أن وصلت الى العنوان المستهدف، ومن ضمن هذه المعلومات عنوان الجهاز أو الشبكة التي أرسلت منها الرسالة وهو ما يطلق عليه IP Address وهو يختلف من

Twitter: @alqareah

دولـة الـى أخـرى ومـن السـهل تتبـع مصـدره، وهكذا إن قمت بإرسـال الرسالة من جهازي ووصلت الى بريد المسابقة، وقرر أحدهم أن يتأكد من مصدرها، فسيعرف أنها أرسلت من الإمارات وليس من فرنسا، مما يثير الريبة والشـكوك بكل تأكيد، لهذا وكي أتجاوز هذه العقبة سـأقوم أولاً بالاتصال بسيرفر وكيل يكون موجوداً في فرنسا ثم أرسل الرسالة عـن طريقـه، وبهـذه الطريقـة سيشـير IP Address الملحق بالرسـالة الى عنوان فرنسي وبالتالي تزول الشبهة. تمنى جواد أن يكون شرحه واضحاً.

ما شاء الله. يبدو أنك متمرس حقاً في فنون الاختراق ولا تخلو جعبتك من العجائب.

سر جواد كثيراً من تعبيرات الإعجاب التي كست وجه سالم.

بقي أمر أخير أخالك لم تتنبه إليه قال سالم مبتسماً بحذر.

ومـا هـو؟ تسـاءل جـواد وقـد بـدا عليه الاهتمـام، رغم ثقته بأنه لم يفوّت أي ثغرة يمكن استغلالها.

ماذا عن أرقام الهواتف، ألم تضع في طلب الاشتراك رقماً هاتفياً للاتصال؟ ماذا لو قام أحدهم بالاتصال بأحد هذه الأرقام وتبين له أنها أرقام وهمية؟ لا أظن أنك اسـتخدمت الأرقام الحقيقية لهواتف الفريق الفرنسي.

ابتسـم جـواد ابتسـامته المميـزة فـي الحقيقـة لـم يفتنـي ذلـك. لقد وضعت في الطلب أرقام هواتف فرنسـية حقيقية ولكنها ليسـت الأرقام الحقيقية للفريق. إذا فكر أحدهم بالاتصال بأحد هذه الأرقام سيرد عليه نظام الرد الآلي، وهو نسخة عن نظام الرد الآلي الحقيقي الذي يستخدمه الفريق الفرنسي.

يسرد المجيب الآلي بعض المعلومات حول الفريق وإنجازاته، ولكن المشـكلة تكمن في أنه يقدم خياراً للتحدث مع موظفة الاسـتعلامات،

Twitter: @alqareah

عند الرغبة بالحصول على مزيد من المعلومات، ولتجاوز هذه المشكلة قمت بتحويل جميع الاتصالات الموجهة الى موظفة الاستعلامات الى رقم هاتفك المحمول. على العموم من الجيد أنك نبهتني الآن لأغير التحويلة الى هاتف زوجتك مادامت تجيد الفرنسية، ولكن لا تنسى أن تنبهها الى احتمال تلقيها اتصالاً بخصوص المسابقة، لتحسن الرد وتختار كلماتها بعناية.

أرجو المعذرة، لم أفهم مجدداً. من أين حصلت على الرقم الهاتفي الفرنسي وكيف استطعت التحكم به؟ وقع سالم في الحيرة مجدداً.

هذه المرة لديك الحق في الاستفهام، فأنا لم أصرح لك بأني قمت بشراء رقم هاتف فرنسي DID عن طريق الانترنت، وهي خدمة توفرها كثير من شركات الاتصالات، وتستفيد منها الشركات والمؤسسات التي تود أن تفتح لها فرعاً في بلد جديد قبل أن يكون لديها فعلياً أي موظفين في ذلك البلد، لهذا تقوم بشراء رقم هاتفي محلي في ذلك البلد، ثم تربطه بالمقسم الهاتفي الرقمي الخاص بها والمتصل بالانترنت IP-PBX، وهكذا يتم التعامل مع أي اتصال يتم استقباله على الرقم الهاتفي في الفرع الجديد، بأن يتم تحويله فوراً وفي لمح البصر عبر شبكة الانترنت الى المقسم المتواجد في الفرع الرئيسي للشركة في أي مكان آخر من العالم، ولا يشعر المتصل بعملية التحويل تلك ويظن أنه يتحدث الى موظف متواجد في نفس البلد.

وهكذا قمت ببساطة بشراء مجموعة من الأرقام الفرنسية مقابل رسم شهري لا يتعدى العشرة يورو في الشهر، ثم قمت بربطها بمقسم الكتروني أعددته بشكل كامل على حاسوب قديم لدي أشار جواد الى جهاز كمبيوتر مكتبي قد ركنه في أحد الزوايا، وبدا من مظهره أن الدهر قد أكل عليه وشرب، ثم تابع شرحه وقمت بتجهيزه بنظام رد آلي نسخته

Twitter: @alqareah

من المقسم الالكتروني الحقيقي للفريق الفرنسي، ثم قمت بإنشاء تحويلة تربط ما بين خيار التحدث مع موظفة الاستعلامات في نظام الرد الآلي، ورقم هاتفك المحمول.

هل اتضحت الصورة الآن؟

الى حد كبير، ولكنك لم تخبرني كيف يقوم جهاز الحاسوب القديم هذا بتحويل المكالمة الى هاتفي المحمول، وأنا لا أرى أنه متصل بأي خط هاتفي؟ تساءل سالم وهو يشير الى جهاز الحاسوب القديم.

سؤال وجيه ابتسم جواد يتم تحويل المكالمة في الحقيقة عبر مزود لخدمة الاتصال عبر الانترنت VOIP، ولهذا فلا حاجة لربط الحاسوب بخط الهاتف.

ومنكم نستفيد. لقد أثرت فضولي للاهتمام بعالم الحاسوب علق سالم، ثم توقف لحظة وقد تذكر أمراً ما، وتساءل أستطيع أن أفترض أنك قمت بخطوات مماثلة مع أرقام الهواتف الخاصة بالفريق الهولندي، أليس كذلك؟

ابتسم جواد واكتفى بأن أومأ برأسه.

من أين تجد وقتاً لتقوم بكل ذلك؟ ربت سالم على ظهر جواد مشجعاً.

بالممارسة تصبح هذه الأمور بسيطة ولا تستغرق الكثير من الوقت. احمر وجه جواد خجلاً.

وأين تعلمت كل ذلك؟ لا أظن أن لدراستك الجامعية أي فضل في ذلك.

مجهود شخصي يعود الفضل في أغلبه لحبي للقراءة، وبوجود الانترنت أصبح أمامي مصدر لا يكاد ينضب من المعلومات في شتى المواضيع. كان جواد يتكلم وهو مطرق برأسه بانتظار أن يزول أثر

Twitter: @alqareah

الخجل عن وجنتيه.

جهدك في الحقيقة يستحق الإطراء، ولكني أتمنى أن لا يكون ذلك على حساب حياتك الخاصة.

ابتسم جواد ولم يعلق على ملاحظة سالم، فمزاجه في تلك اللحظة لم يكن يسمح للتحدث حول مشاكله الاجتماعية والعاطفية، لقد أراد الاستمتاع بنتائج عمله. لقد كان بحاجة الى من يكيل إليه بعبارات الإعجاب والمديح والإطراء. في قرارة نفسه كان يعرف أن تصرفه هذا ربما كان شبيهاً بمعاقر الخمر الذي يبحث عن النشوة لينسى ما ألم به من هموم. لكنه على الأقل كان سعيداً لأنه كان يشغل نفسه بما هو مفيد، على خلاف شارب الخمر الذي يضيع عمره ويهدم حياته.

بالمناسبة أنت لم تخبرني بعد عن الوثائق والمعلومات التي جمعتها من موقع الشركة المنظمة للمسابقة، والتي ذكرت أنها ستفيدنا في مشروعنا. غير سالم الموضوع بعد أن لمح تحفظاً من جواد من الخوض في أموره الخاصة.

عادت الحيوية الى وجه جواد بعد أن فارقته للحظات نعم بالفعل لقد جمعت الكثير من المعلومات والوثائق الهامة من سيرفر الشركة، وأهم ما عثرت عليه كان وثيقة تحتوي على قائمة باللغة الروسية بالخطوات التي سيتم إتباعها، لاختيار الفريق الفائز بالمشاركة في انتشال القطار، وقد قمت بترجمتها الى الانجليزية كي يتسنى لي فهم ما ورد فيها.

رائع، هذا بالضبط ما كنت أنتظره بفارغ الصبر كي أتأكد من متانة خطتنا. ولكن كيف عرفت أن هذه الوثيقة هامة قبل ترجمتها؟.

اختصاراً للوقت عمدت الى ترجمة جميع الوثائق دفعة واحدة باستخدام أحد برامج الترجمة الشهيرة، والذي قام باستقبال الوثائق والملفات تلقائياً من مجلد خاص حفظتهم فيه، ثم قام بترجمتها واحداً

Twitter: @alqareah

تلـو الآخـر بـدون أي تدخـل منـي، وبعد برهة من الزمن أعلمني بانتهائه من ترجمة جميع الوثائق مع المحافظة على تنسـيقها الأصلي، فأخذت بالإطـلاع علـى محتوياتهـا واحـدة تلو الأخرى، وانتقاء الهام منها وعزله عن باقي الوثائق.

حسناً، والآن أخبرني عن الخطوات التي اكتشفتها في تلك الوثيقة بدا على سالم التركيز الشديد والمصحوب بنفاذ الصبر.

بحـث جـواد أمامـه فـوق المكتب عن ورقة مطبوعة، ثم ناولها الى سالم بعد أن وجدها تحت لوحة المفاتيح.

أخذ سـالم الورقة والتهمها سـريعاً بعينيه، ثم أعاد القراءة بصوت مرتفـع وبتأنـي للبنـود الـواردة فيهـا، والتي ترجمها جواد الى الانجليزية، مع أن سالم كان قادراً على قراءة الوثيقة الأصلية بلغتها الروسية.

أولاً:يتم استقبال طلبات الاشتراك في المسابقة الى الأول من يونيو، ولا يتم الإطلاع عليها إلا بعد انتهاء المدة واستلام جميع الطلبات.

ثانيـاً: بعـد اسـتلام طلبـات الاشـتراك يتـم تسـجيل أسـماء الفـرق المشـاركة وإمهالهـا ثلاثيـن يومـاً لتقديـم معلومـات تفصيليـة عن الفريق وأعضائه المشاركين، وسيتم إقصاء الفرق التي تفشل في تقديم معلوماتها التفصيلية في المهلة المحددة.

ثالثـاً: يتـم تحويـل ملفات الفرق المشـاركة الـى لجنة أمنية مهمتها التحقق من خبرات الفرق المشاركة. سيقوم كل عضو في اللجنة بمتابعة ملف فريق واحد فقط والتحقق مما ورد فيه من معلومات، ثم رفع تقريره بخصوص ذلك الى السـيد ميخائيل برينسـكي بشـكل مباشـر، ولا يحق لأعضاء اللجنة تبادل المعلومات حول ملفات الفرق التي يتم التحقق منها وذلك منعاً لتسريب أي معلومات أو السماح بتخمين اسم الفريق الفائز ونشر ذلك. لضمان ذلك فإنه لن يعلن عن أسماء الأشخاص المشاركين

Twitter: @alqareah

في اللجنة، مما يعني أن كل عضو من أعضاء اللجنة سوف يعمل بشكل منفرد، ولن يكون بمقدوره معرفة هوية الأعضاء الآخرين في اللجنة.

رابعاً: في المرحلة الأخيرة يقوم السيد ميخائيل برينسكي بالإطلاع على الملفات المنقحة بعد انتهاء الفريق الأمني من التحقق منها لاختيار الفريق الفائز بنفسه، بعد مقارنة خبرات الفرق المختلفة.

خامساً: يتم إعلام الفريق الذي وقع عليه الاختيار بفوزه، عن طريق البريد الالكتروني المذكور في طلب الاشتراك.

أخذ سالم يعيد قراءة البنود مراراً وتكراراً، وجواد مستمتع بمشاهدته.

معلومات غاية في الأهمية قال سالم بعد أن انتهى من استيعاب جميع البنود.

وتتناسب مع خطتنا بشكل جيد أضاف جواد.

سيكون علينا إعداد ملفي فريق عادل والفريق الفرنسي، وسنحرص على ذكر الحقائق في هذه المرحلة لضمان اجتياز فحص اللجنة الأمنية. سنطلب من عادل تجهيز ملف فريق دبي وذكر الخبرات التي يملكها، بينما تتفرغ أنت لجمع المعلومات حول الفريق الفرنسي وخبراته، وبعد الذي شاهدته من براعتك اليوم لا أظن أن الحصول على مثل هذه المعلومات سيشكل أي عقبة بالنسبة إليك.

الخطوة التالية ستكون بدراسة جميع الملفات المقدمة من باقي الفرق، بعد الحصول على نسخة منها بفضل اختراقك لسيرفر البريد الالكتروني الخاص بالشركة.

وأخيراً سيكون علينا الحصول على الملفات المنقحة التي تنتهي اللجنة من التحقق منها، ثم استبدالها بملفات أخرى نكون قد أجرينا عليها التعديلات اللازمة التي تضمن تفوق الفريق الفرنسي بالخبرات، ثم نرسلها الى السيد برينسكي ونأمل أن يختار الفريق الفرنسي بدون عناء.

Twitter: @alqareah

سـأحاول تتبع خط سـير ملفات الفرق بمجرد إرسـالها عبر البريد الالكتروني، وسأعلمك بأي تفاصيل جديدة أحصل عليها.

شعر سالم بالراحة إذ أحس أن خطته تسير بشكل جيد.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل الخامس عشر

تداعيات المقال

كان الجو حاراً ونسبة الرطوبة مرتفعة، عندما قرر ميخا أن يتنزه على شاطئ البحر مشياً على الأقدام. استغرب ميخا عندما وجد نفسه وحيداً في ذلك المكان، مع أنه يعرف أن شاطئ الجميرا من أكثر الأماكن السياحية اكتظاظاً بالسياح، وفقاً لما أخبرته به زوجته، والتي تعرف كل شيء عن أماكن الجذب السياحي في دبي.

بينما هو يمشي الهوينا، خيّل له أن أحداً ما يناديه من بعيد. تلفت حوله فلم يجد أحداً، حاول أن يرخي السمع أكثر.

أين ذهبت يا والدي؟

أنا بحاجة إليك.

إني أتألم ألماً شديداً، ولا أجد أحداً بقربي.

كيف هان عليك أن تتركني؟

لقد كان صوتاً ضعيفاً أحس أنه قادم من مكان بعيد. تكرر النداء وتكرر الاستنجاد.

إنه صوت ابنتي لينا قال في نفسه وهو يشعر بحيرة كبيرة.

لا يعقل أن تكون لينا قد تركت المشفى، ولحقت بي الى دبي كلم نفسه.

كان صوتها لا يزال يرن في أذنيه، عندما لمح شخصاً قادماً من

Twitter: @alqareah

بعيـد، بـدا وكأنـه ظهـر فجـأة. اقترب ذلك الشـخص من ميخا أكثر فتبين أنها فتاة.

كانت الفتاة تمشي ببطء وبشكل غير مستقيم.

فجأة أصبحت هذه الفتاة تقف أمامه. لقد تعرف على وجهها فوراً. إنها ابنته كاتيا.

انعقد لسانه من فرط المفاجأة، ولكنه كان سعيداً إذ رأى ابنته وقد تعافت كلياً.

كيف وصلتِ الى هنا، وأين أمك؟

لم تجبه، ولكنها اقتربت منه لتعانقه.

فزع ميخا فزعاً شـديداً عندما شـعر بيدي ابنته تحتضنانه. لم تكن يداها من لحم ودم، بل كانت أيدي خشبية.

تراجع ميخا الى الوراء ليستوعب المفاجأة، ولكنه اصطدم بشخص ما.

التفـت ليجـد جمعـاً مـن رجال الشـرطة الـروس أحاطوا به من كل جانـب. تقـدم أحدهـم وطلـب من ميخا تسـليم نفسـه بتهمـة التخابر مع جهات أجنبية.

ما كاد الضابط أن يضع في يدي ميخا الأصفاد، حتى سمعوا صوت سلسلة من الأعيرة النارية تستهدفهم من كل صوب.

شـعر ميخا بطلق ناري يخترق صدره، فأحس بألم شـديد وصرخ صرخة مدوية.

نهـض ميخـا فزعـاً مـن نومـه، لقـد كان واحداً من أسـوأ الكوابيس التي باتت تلاحقه يومياً.

لقد كانت الأيام السـابقة صعبة، ومشـحونة بالتوترات. فمن جانب كان ميخـا قلقـاً علـى حالـة ابنتيـه فـي موسـكو ونيويـورك، ومـن جانب

Twitter: @alqareah

آخر كانت تداعيات الأزمة التي أثارها المقال الصحفي حول علاقته بالمخابرات الإسرائيلية لا تزال تتفاعل وتثير الكثير من اللغط.

لقد أدى انتشار هذا الخبر الى ما يشبه الزلزال في أسواق المال، ولم تكد أسهم شركات ميخا تتعافى جزئياً من فضيحة اعتداء إحدى ابنتيه على شقيقتها، حتى عاجلها خبر تورط مؤسسها نفسه بفضيحة من العيار الثقيل، واتهامه على صفحات جريدة مرموقة بالتخابر لصالح إسرائيل، فهبطت جميع الأسهم هبوطاً حاداً جاء استجابة لحالة الفزع التي دبت في أوساط المستثمرين، الذين أصبحوا يخشون في ضوء هذه الفضائح المتتالية من انهيار الإمبراطورية الاقتصادية التي أسسها برينسكي.

لم تعلق السفارة الإسرائيلية بشكل رسمي على ما ورد في الصحيفة، واكتفى المتحدث باسمها برفض التعليق على كلام جرائد غير مدعم ببراهين حقيقية على حد قوله.

أما مستشارو ميخا ومحاموه فقد أشاروا عليه بضرورة رفع قضية على الصحافي وجريدته، وطلب تعويض كبير على ما لحق به من أذى. حاول ميخا تأخير البت في الأمر ريثما يتلقى تعليمات من صديقه السفير السابق، ولكن مضت الأيام ولم يتصل به أحد، فكان عليه التحرك سريعاً قبل أن يُفهم صمته على أنه اعتراف ضمني بما ورد في الصحيفة، وهكذا أمر ميخا بنشر تكذيب علني على صفحات جميع الجرائد والصحف الروسية الكبيرة، ونشر مقالات ومقابلات مدفوعة الثمن، تشيد بوطنية ميخا وإخلاصه لروسيا وشعبها.

كان الصحافي قد وعد بنشر المزيد من الحقائق المدعومة بالبراهين حول تورط ميخا بفضيحة التخابر لصالح إسرائيل، واستغلال منصبه السياسي في خدمة المصالح الإسرائيلية. يُفترض أن يقوم الصحافي بنشر مقاله التالي في عدد الغد من الجريدة.

Twitter: @alqareah

لقد كان لهذه الأزمة فائدة واحدة فقط، فبفضلها نسي الجميع حادثة اعتداء لينا على أختها كاتيا، وانصرف الجميع للانشغال بماضي ميخا وعلاقاته السياسية المشبوهة.

كان ميخا لا يزال غير قادر على معرفة مصدر تسريب هذه المعلومات الخطيرة، والمسئول عن هذه الفضيحة المدوية. كانت الشكوك في نفسه تثور حول احتمال تورط سكرتيره سيرغي في تسريب هذه المعلومات، فقد لازمه فترة طويلة، وتعرف على كثير من المعلومات الحساسة حول العمل، كما أن تصرفاته في الفترة الأخيرة كانت غريبة ومثيرة للريبة، فبداية أخفى سيرغي هذا الخبر عن ميخا وادعى عدم معرفته به، مع أن ميخا كان يعرف أن سيرغي قد اعتاد ومنذ فترة طويلة على تصفح جميع الجرائد الكبيرة يومياً، قبل البدء بالعمل.

وعندما اتصل ميخا به ليسأله عن تداعيات هذا المقال، شعر بتردد وارتباك في صوته، كما لاحظ أنه لم يكن مشجعاً للرد بعنف والتعامل بحزم مع كاتب المقال، وكأنه يخشى من افتضاح أمر مسرب المعلومات.

المشكلة أن ميخا كان يعرف أنه لم يكن يسمح لسيرغي بمعرفة أي تفاصيل حول علاقته بإسرائيل. في الحقيقة لم يطلع ميخا أي أحد على الإطلاق على هذا السر الخطير.

لقد كان ميخا محظوظاً إذ حدثت هذه الأزمة بينما كان مختفياً بعيداً عن العيون في هذه الإمارة الصحراوية الآمنة، والبعيدة عن جو المؤامرات والمكائد الروسية.

نهض ميخا من سريره متثاقلاً، وأخذ حماماً ساخناً أعاد له النشاط والحيوية، ثم دخل الى المطبخ فأعد لنفسه كوباً من القهوة سريعة الذوبان، وجلس يرتشفها بهدوء على أريكته الجلدية المفضلة.

حاول أن ينقي ذهنه ليستمتع بمشهد شروق الشمس من نوافذ شقته

Twitter: @alqareah

الكبيرة التي تحتل نصف الطابق السابع والأربعين.

كعادته في كل صباح فقد حمل جهاز الآيباد ووضعه في حضنه، وأخذ يتصفح المواقع الإخبارية الروسية، ويتمنى أن لا يجد فيها المزيد من الفضائح بخصوصه.

من سوء حظه فقد وجد خبراً تكرر في جميع المواقع الإخبارية. لقد تناقلت جميع وسائل الإعلام خبراً مفاده أن الصحافي صاحب المقال المثير للجدل قد أكد في حديث لقناة إخبارية، تمسكه بكل ما ورد في مقاله، ووعد مجدداً بمفاجئات مدوية سينشرها في مقاله الأسبوعي غداً.

لعن ميخا حظه العاثر، وأقسم على الانتقام من مسرب هذه المعلومات الى الصحافة، ولكن بعد الاهتداء الى معرفة هويته. لقد أفسد هذا الخبر يومه بكل تأكيد.

تذكر ميخا الحلم المزعج الذي أيقظه باكراً من نومه، فنظر الى ساعة الحائط الضخمة والمعلقة على الجدار المقابل له. كانت تشير الى السابعة صباحاً. أجرى حساباً سريعاً في ذهنه. لا بد أنها الآن العاشرة مساءً في نيويورك. فكر ميخا، وقد عزم على الاتصال بزوجته للاطمئنان على حالة ابنته كاتيا، فقد انشغل في الأيام السابقة عنها بموضوع المقال وكيفية الرد عليه. تمنى أن لا يكون الخبر قد وصل الى زوجته.

ردت تتيانا بعد الرنة الثالثة، وقد استغربت من رقم المتصل، كانت تعرف أنها مكالمة خارجية، ولكنها لم تخمن أن الاتصال قادم من الإمارات، فهي لم تكن تحفظ رمز الاتصال الدولي الخاص بها.

شعر ميخا بنبرة القلق في صوت زوجته عندما عرفت بهوية المتصل. أخبرته أنها كانت تحاول الاتصال به يومياً على رقم هاتفه الروسي والذي اعتاد أن يستخدمه في أي مكان في العالم. لم تعرف تتيانا أن زوجها قد اضطر لإغلاق هاتفه، بعد سيل الاتصالات التي

Twitter: @alqareah

تلقاها من كل حدب وصوب للسؤال عن حقيقة ما ورد في المقال المشئوم، وتعليقه عليه.

أخبرها ميخا أن شريحة الهاتف الروسية قد تعطلت لسبب ما لا يعرفه، وأنه اضطر لاستبدالها بشريحة إماراتية، ريثما يعود الى موسكو فيستبدلها مجدداً بأخرى روسية تحمل نفس رقمه السابق.

استفسر ميخا عن حالة ابنته كاتيا، فأخبرته أن حالتها تتحسن بسرعة وأنها تستجيب بشكل ممتاز للعلاج الطبيعي، وأن أطباءها في نيويورك متفائلون في عودتها قريباً لممارسة رياضتها المفضلة، وقد أوصوا بإبعادها عن أي مصدر من مصادر التوتر والإجهاد الذهني، لثقتهم بالتأثير المباشر لحالتها النفسية على سرعة استجابتها للعلاج.

سر ميخا لهذا الخبر، واستنتج ضمنياً من كلام زوجته أنها لم يصلها أي معلومات حول ما جرى في روسيا. ولمزيد من الاطمئنان سألها إن كانت على اتصال مع أي من صويحباتها في موسكو، فردت عليه بحسن نية وأخبرته أنها تتحدث معهن يومياً، كي لا تشعر بالملل في الأوقات التي تكون فيها كاتيا نائمة أو تخضع للعلاج.

استغرب ميخا كثيراً من ذلك الأمر، فهو يعرف مقدار حب صديقات زوجته للنميمة، وعشقهن للثرثرة، وتناقل أخبار الفضائح بعد إضافة التوابل والبهارات التي تزيد من التشويق. فهل يعقل أن يفوِّتن هذه الفرصة للتحدث عن فضيحة بهذا الحجم؟ لعلهن قررن فجأة أن يصبحن صديقات مخلصات، وتفهمن الوضع الحرج الذي تمر به صديقتهن فلم يشأن إزعاجها في الغربة، أو الإثقال عليها بمزيد من الهموم. صمت ميخا برهة من الزمن بينما كانت هذه التساؤلات تجري في ذهنه، فاستغلت تتيانا فرصة صمته وسألته عن رأيه في الشقة التي جهزتها بنفسها في دبي، فعبر لها عن إعجابه بموقع الشقة وفرشها الفاخر، وديكوراتها التي

Twitter: @alqareah

تنم عن ذوق رفيع.

في الحقيقة لقد تساءل بالفعل عن سر هذا التحول الكبير في ذوق زوجته عندما دخل الشقة أول مرة وتفاجأ من حسن تنظيمها والبراعة في توزيع أثاثها وتناسق ألوان جدرانها.لم يعرف ميخا أن زوجته اشترت الشقة بفرشها، ومن حسن الحظ فقد قررت عدم العبث بأثاثها أو إعادة تنظيمه وفقاً لذوقها.

طلب ميخا من زوجته أن تناول الهاتف لابنته كاتيا إن كانت مستيقظة ليتحدث إليها ويطمئن عليها بنفسه.

سرت كاتيا كثيراً لسماع صوت أبيها، وأخذت تقص عليه أخبار تقدمها السريع في العلاج، ومدى رضا مدربها الرياضي عن همتها العالية. أحس ميخا بفرحة ابنته، وحماسها الكبير للعودة سريعاً الى الملاعب. تمنى في نفسه أن لا يصل الى مسامع ابنته خبر الفضيحة التي باتت تلاحقه، إلا بعد تعافيها الكامل، وتمنى أن ينجح في التغطية على هذا الخبر وإزالة آثاره قبل أن يسبب له ولعائلته المزيد من المتاعب.

أنهى مكالمته مع نيويورك، ونظر مجدداً الى الساعة، كان الوقت لا يزال مبكراً للاتصال بلينا في موسكو. قرر العودة الى المطبخ لإعداد فطور سريع. كان ميخا يحرص على عدم تفويت وجبة الفطور بالذات، ويعتقد أنها الوجبة الأهم. كان ميخا يهتم بصحته كثيراً، فكان لا يكثر من شرب الكحوليات إلا في مناسبات قليلة، ونجح في الحفاظ على وزن يتناسب مع عمره وطوله، بفضل اعتداله في تناول الطعام، وممارسته لرياضة المشي بشكل شبه يومي.

تناول بيضاً مقلياً، وخبزاً محمصاً مع المربى، ثم عاد ليحمل طفله المدلل الآيباد والذي أصبح متعلقاً به ولا يكاد يفارقه في ليل أو نهار.

أخذ يتصفح بريده الالكتروني، ويرد على رسائل العمل. كانت

Twitter: @alqareah

أغلب الرسائل تصب في موضوع المقال والرد عليه، وكأن شللاً قد أصاب شركاته وموظفيه، فأصبح شغلهم الشاغل التحدث في أخبار فضيحة رب العمل والتندر بها.

كانت بعض الرسائل تتناول المشاريع التي كان يفترض أن يتخذ قرارات بشأنها، لكنه انشغل عنها بالتعامل مع عاصفة المقال. عزم على أن يفرغ نفسه ذهنياً هذا اليوم لدراسة التقارير التي حملها معه، ليرد عليها في أقرب وقت ممكن.

لفت نظره رسالة تلقاها من مدير شركته التقنية نانوتيك، يعلمه فيها بانتهاء موعد تلقي طلبات المشاركة بالمسابقة لاختيار الفريق الذي ستوكل له مهمة انتشال أنقاض قطار الذهب. سر ميخا عندما عرف أن عدداً لا بأس به من فرق الأبحاث والاستكشاف العالمية قد أبدى اهتماماً بالمسابقة، وتقدم فعلياً للمشاركة. كان ميخا نفسه متحمساً جداً لهذا المشروع، ويتوقع في حال نجاحهم في انتشال الذهب أن تغطي هذه القصة على أي قصة سواها في الأخبار، وربما كان ذلك كفيلاً بإبعاد أخباره الشخصية عن دائرة الضوء، وتركيزها مجدداً على أعماله وإنجازاته. المشكلة أن عليه الانتظار شهوراً أخرى قبل أن يصبح الحلم حقيقة، وتتكدس أمامه صناديق السبائك الذهبية.

انهمك ميخا في الساعات الأولى من النهار في قراءة التقارير حول المشاريع التي عليه البت فيها. في البداية واجه صعوبة في التركيز، فقد كان ذهنه يقفز به بين فينة وأخرى للتفكر في النتائج الكارثية المترتبة على نجاح كاتب المقال في عرض براهينه التي يدعيها. صرف ميخا هذا الهاجس في كل مرة كان يطل بها من إحدى زوايا عقله، الى أن نجح أخيراً في تشييد سور كبير أحاط به تفكيره وصرف تركيزه لينصب على العمل أمامه.

Twitter: @alqareah

شعر بشيء من التعب بعد ساعات من العمل المتواصل، فأخذ قسطاً من الراحة، وقرر الاتصال بابنته لينا التي كانت لا تزال ترقد في مركز العلاج من الإدمان.

انفجرت لينا بالبكاء حال سماعها لصوت أبيها، كانت الهواجس قد لعبت في عقلها وكادت أن تفقدها صوابها، لقد خشيت أن يكون والدها قد تخلى عنها مجدداً، وخاصة بعد انقطاعه عن مهاتفتها في الأيام السابقة.

حاول ميخا أن يهدئ من روع ابنته، ويطمئنها الى أنه لن يتخلى عنها أبداً، ووعدها بعدم تكرار الانقطاع عن محادثتها لعدة أيام متواصلة كما حدث الآن.

هدأت لينا وتوقفت عن البكاء، وعاد إليها رشدها تدريجياً، فسألت عن حال والدها وكيف يقضي وقته في دبي، وتمنت عليه أن يصطحبها معه في المرة القادمة التي يقرر فيها السفر خارج روسيا، لقد كانت بحاجة لتعويض السنوات الطويلة التي كانت تشعر فيها أنها منبوذة من أبيها. وعدها ميخا مجدداً بتعويضها عن كل يوم فاتها ولم تنل فيه حقها الكامل من الحنان والاهتمام الأبوي.

كانت محادثة ميخا مع ابنته لينا مشحونة بالعواطف والأشجان، وكادت أن تنتهي بشكل مثالي، قبل أن تفاجئ لينا والدها بسؤال كان يتمنى من كل قلبه أن لا تسأله إياه.

قبل أن أنسى يا والدي، أردت أن أسألك عن أمر ما حدث هنا في موسكو أثناء غيابك، لقد أتت إحدى صديقاتي لتعودني قبل أيام، وكانت تحمل في يديها عدداً من صحيفة البرافدا، وطلبت مني قراءة أحد المقالات، ولكنها نبهتني الى أن ما ورد في المقال قد لا يعجبني. أخذت الصحيفة من يدها وقرأت ذلك المقال والذي كان مشحوناً بالأحقاد

Twitter: @alqareah

عليك، وكأن كاتب المقال قد دُفع دفعاً للإساءة إليك لصالح جهة ما لا أعرفها. لابد أن خبر هذا المقال قد وصلك بواسطة موظفيك.

اكتفى ميخا بأن أومأ برأسه لنفسه بحزن وهو يحمل هاتفه المحمول وأجابها بكلمة واحدة مقتضبة نعم انتظر لتكمل لينا كلامها ليعرف النتيجة التي توصلت إليها ابنته، وتأثير ذلك الخبر عليها.

يجب أن لا تسكت يا والدي على هذه الأكاذيب، عليك بمقاضاة كاتب المقال وإدارة الجريدة على هذه الاتهامات الباطلة التي امتلأ بها ذلك المقال اللعين. توقفت لثوانٍ معدودة ثم أكملت لا تقلق يا والدي فأنا لم أصدق كلمة واحدة مما جاء في المقال انتظرت لينا من والدها ثناءً على موقفها.

لم يدر ميخا بم يجيب ابنته. هل يخبرها أن جميع ما ذكر في المقال هو حقيقة حاول إخفاءها زمناً طويلاً، أم يشد على يديها ويشكرها على ثقتها به.

لقد نشرنا تكذيباً في أغلب الصحف، وقد استعد محاموي لمقاضاة كاتب المقال والصحيفة التي استضافته على الأقل كانت هذه الإجابة صادقة، فكر ميخا في نفسه.

نعم أحسنت فعلاً يا أبي. ثم تذكرت أمراً ما فتغيرت نبرتها، وتحدثت بصوت منخفض يحمل في طياته الكثير من الحرج والشعور بالخجل وتأنيب الضمير نسيت أن أسألك عن شقيقتي كاتيا، كيف أصبحت؟ هل تحسنت حالتها؟ لم تستطع إخفاء العبرة التي سالت على خدها ولم يرها ميخا، ولكنه سمع الشهقة التي صاحبتها.

لقد اتصلت بأمك وتحدثت إليها والى كاتيا في الصباح الباكر، لقد تحسنت حالتها كثيراً وستتعافى قريباً بشكل كامل توقف برهة ثم أضاف إنها تهديك السلام، وتتمنى لك التعافي سريعاً لقد كذب هذه

Twitter: @alqareah

المرة فكاتيا في الحقيقة كانت تحاول أن تنسى كل ما من شأنه أن يعيد لها ذكرى حادثة الاعتداء عليها.

أحقاً يا أبي ما تقوله؟ هل تحسنت حالتها فعلاً؟ وهل قررت أن تسامحني، وأن تعفو لي خطئي الذي لا يغتفر في حقها؟.

نعم يا بنيتي، لطالما كانت كاتيا طيبة القلب مثلك تماماً، وأنا واثق أن علاقتكما ستكون على أفضل ما يكون بعد أن تعود كاتيا من رحلة العلاج، وتتعافين أنت بشكل كامل.

أنهى ميخا المكالمة بعد أن تمنى لابنته الشفاء العاجل، ووعدها مجدداً بالاتصال بها يومياً للاطمئنان عليها.

قرر أن يستلقي لينام لبعض الوقت، فقد استيقظ مبكراً هذا اليوم، وقد اعتاد على نوم القيلولة في روسيا كلما سنحت له الفرصة عندما لا يكون منهمكاً في العمل، لدرجة أنه ألحق غرفة صغيرة للنوم بجانب مكتبه، كان يلجأ إليها فترة الظهيرة لينال قسطاً من الراحة، فيقوم بإنزال الستائر وتعتيم الغرفة، وتشغيل اسطوانة موسيقى كلاسيكية، ثم يستسلم للنوم لساعة واحدة أو ساعتين وفقاً لما يسمح به جدول أعماله.

عندما استيقظ ميخا من نومه شعر بالجوع والضيق من جلوسه في الشقة لفترة طويلة، وقرر الخروج لتناول طعام الغداء والتنزه قليلاً بالسيارة التي وضعت تحت تصرفه مع سائق خاص كان مستعداً ليقله الى أي مكان وفي أي وقت بمجرد أن يتصل به. كان يفضل لو تمكن من التنزه مشياً على الأقدام، ولكن من سوء حظه فقد جاء الى دبي في فصل الصيف حيث ترتفع درجة الحرارة كثيراً، ومن الصعب جداً بل ربما من المستحيل على روسي قادم من بلاد الثلوج أن يتحمل قيظ الصحراء.

حضر السائق في غضون ربع ساعة بعد تلقيه الاتصال من ميخا، وانتظره داخل سيارة التيوتا أفالون الأنيقة بيضاء اللون في الموقف

Twitter: @alqareah

الخاص بالبرج الذي تقع فيه شقته.

نزل ميخا الى الطابق الأرضي وركب في المقعد الخلفي للسيارة.

سأله السائق عن الوجهة التي يرغب في الذهاب إليها، فطلب منه ميخا أن يقود السيارة الى مكان بعيد ولكن بشرط أن يبتعد عن الزحام. فكر السائق في الخيارات المطروحة أمامه، ونظر الى ساعته فوجد أنها تقترب من السادسة مساءً وهو موعد خروج الموظفين من أعمالهم، حيث تكتظ بهم الشوارع في هذه الساعة.

اقترح السائق على ميخا أن يأخذه في رحلة الى مدينة أبوظبي، وأخبره أن الطريق يستغرق ساعة ونصف ولكنه خالٍ وغير مزدحم في هذا الوقت. أعجب ميخا بالفكرة، ووافق على اقتراح السائق، فهو لم يسبق له أن زار العاصمة من قبل.

انطلق السائق الى شارع الشيخ زايد في اتجاه أبوظبي، وخلال دقائق معدودة كان قد خرج من حدود مدينة دبي، فاختفت آثار العمران وحل محلها مساحات شاسعة من الصحراء.

أخذت الشمس تحث الخطى نحو الغرب، مفسحة المجال للقمر ليعتلي عرش الظلام.

كان ميخا مستمتعاً بمشهد الغروب عندما رن هاتفه المحمول، فأخرجه من جيبه ونظر الى شاشته وعرف أن المتصل كان سكرتيره سيرغي.

عمت مساءً يا سيدي.

مرحباً سيرغي. هل من سبب عاجل دعاك للاتصال بي؟ تكلم معه بنبرة رسمية جافة لم يتعودها سيرغي.

نعم، لدي خبر هام عرفته للتو، وكان من الضروري أن أخبرك به فوراً.

Twitter: @alqareah

هات ما عندك، وأوجز.

لقد وُجد الصحفي أليكساندر بيتروفيتش صاحب المقال مشنوقاً هذا الصباح في شقته، والشرطة تشتبه في احتمال أن يكون قد قتل منتحراً.

سقط الهاتف المحمول من يد ميخا.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل السادس عشر

المرحلة الثالثة

انهمك عادل في الأسابيع التالية في إعداد الملف الخاص بفريق دبي، وضمنه كل ما يثبت خبرته الطويلة في مجال استكشاف البحار، أما جواد فتفرغ لإعداد ملف الفريق الفرنسي الذي يفترض أن يقوم هو ورفاقه بانتحال شخصيته في مرحلة متقدمة من الخطة.

تعمد جواد أثناء إعداد الملف أن يختار شخصيات حقيقية من أعضاء الفريق الفرنسي، ليشير الى مشاركتهم في هذا المشروع. حاول جاهداً أن ينتقي شخصيات متقاربة بالعمر مع أفراد فريقه، وزيادة في الاحتياط لم يقم بوضع صور لأعضاء الفريق المشارك.

كان عادل لا يزال لا يعرف شيئاً عن خطة سالم وجواد، لهذا فقد أخلص في إعداد ملف فريقه على أمل أن تسنح الفرصة لهم بالمشاركة، وهو لا يدري أن خطة الثنائي سالم وجواد تقتضي بعدم المشاركة نهائياً باسم الفريق العربي، لمعرفتهم سلفاً أن حظوظهم بالفوز ستكون ضئيلة للغاية.

سلم عادل الملف الى جواد بعد انتهائه من إعداده، فقام الأخير بإرساله الكترونياً الى البريد الخاص بالمسابقة، ولم يكلف نفسه الإطلاع على محتوياته لثقته أولاً ببراعة عادل في عمله، ولمعرفته أن تقديم الملف الى المسابقة ليس إلا أمراً صورياً الهدف منه السماح له ولفريقه

Twitter: @alqareah

بزيارة موقع غرق القطار في البحيرة، لأنهم حينها سيكون في حوزتهم ما يؤكد اشتراكهم بالمسابقة، فهو وسالم لم يريدا أن يلجئا لانتحال شخصية الفريق الفرنسي في وقت مبكر من الخطة.

قام جواد بإرسال ملف الفريق الفرنسي قبل أيام من انتهاء المهلة، وراقب تدفق ملفات باقي الفرق عبر سيرفر البريد الالكتروني وحرص على الحصول على نسخ منها لدراستها لاحقاً بشكل مكثف وربما الاستعانة بعادل للتعديل عليها بما يضمن فوز فريقهم الفرنسي.

مرت الأيام وانتهت المهلة وأخذ جواد يراقب حركة الرسائل الالكترونية التي كانت مرفقة بملفات الفرق وكيف تم توزيعها على عدة أشخاص خمن أنهم أعضاء في اللجنة الأمنية الموكلة بفحص الملفات والتأكد من صحة ما ورد فيها من معلومات. كان جواد مطمئناً الى نجاحهم في تجاوز هذه المرحلة بدون مشاكل فقد تأكد بنفسه من صحة جميع المعلومات التي ضمنّها في ملف الفريق الفرنسي، بعد أن جمعها من الموقع الالكتروني للفريق، واضطر لاحقاً للقيام بعملية اختراق واسعة النطاق لشبكة حواسيب أعضاء الفريق لجمع أكبر قدر من المعلومات وصور الوثائق.

كان جواد على اتصال مباشر بسالم، وكان يحرص على إخباره بالمستجدات أولاً بأول. أخبره سالم أنه بدأ يتعرض لضغوط منسقة من عادل وروستام (بإيعاز من عادل على الأغلب) ليفصح لهما عن الخطة التي ينوي إتباعها لضمان الفوز بالمسابقة، فكلاهما كان يعرف أنه من شبه المستحيل أن يتم اختيار فريقهم الفتي للمشاركة في عملية انتشال بهذا الحجم، وكانا شبه واثقين من لجوء سالم وجواد الى حيلة لضمان الفوز. كان سالم يخشى أن يفرغ صبر صديقيه قريباً.

اتفق سالم وجواد على أن يخبرا عادل أولاً، وذلك لحاجتهما الى

Twitter: @alqareah

مشاركته في التعديل على ملفات الفرق المشاركة، قبل أن تفرغ اللجنة الأمنية من دراسة الملفات والتحقق من محتوياتها. أما روستام فقد قررا إخباره عندما يتلقيا إشعاراً بفوز الفريق الفرنسي، وذلك كي يضمنا عدم تراجعه، أو على الأقل ليضمنا أن لا يؤثر على عادل في وقت حرج فيثنيه عن المشاركة في حال قرر هو الانسحاب، لهذا وجدا من الحكمة تأخير إخباره بالتفاصيل الى المرحلة التي يكون فريقهم الفرنسي قد فاز بالفعل.

اعترف سالم لجواد أن نتاشا باتت تعرف بكل تفاصيل الخطة منذ فترة طويلة، واكتفى جواد بالابتسام عندما عرف بهذه المعلومة.

وفقاً للوثائق التي عثر عليها جواد في سيرفر الشركة، فإن أمام اللجنة الأمنية فترة أسبوع لدراسة الملفات قبل إعادة إرسالها الى ميخائيل برينسكي مرفقة بتقرير عن صحة ما ورد بها من معلومات. هذا يعني أن أمام جواد ورفاقه نفس الفترة الزمنية لدراسة الملفات والتعديل عليها، وبعدها وبمجرد إرسال أي عضو من أعضاء اللجنة لتقريره يقوم جواد باعتراض طريق الرسالة واستبدالها بأخرى معدلة وهكذا يضمن أن برينسكي لن يطلع إلا على الملفات بعد تعديلها.

وهكذا اتفق سالم وجواد على ترتيب لقاء يجمعهما بعادل ليخبراه بتفاصيل الخطة، وليبدءوا جميعاً بدراسة ملفات الفرق وتعديلها.

كان موقع الالتقاء هذه المرة في شقة سالم، حيث دُعي عادل وجواد لتناول طعام العشاء، ولمح سالم لصديقه المصري بأن انتظاره قد انتهى وأنه سيعرف كل شيء عن الخطة هذه الليلة.

وصل جواد مبكراً في الثامنة مساءً قبل ساعة من الموعد وأحضر معه جميع ملفات الفرق بما فيها ملف الفريق الفرنسي. لم ينم جواد في الليلة السابقة حيث انهمك في قراءة هذه الملفات ودراستها وكان قد اكتسب خبرة لا بأس بها في فهم محتوياتها أثناء إعداده لملف الفريق

Twitter: @alqareah

الفرنسي. وهكذا حضر جواد وقد أعد مسودة للملفات بعد تعديلها، وكان عليه الآن أن يعرضها على عادل ليقرها وليتأكد من أن تعديلاته لا تثير أي ريبة.

كانت خطة جواد في التعديل بسيطة، حيث قام ببساطة بحذف بعض المشروعات الكبيرة من ملفات الفرق المنافسة، وقام باختزال سنوات خبراتها وإنجازاتها، ثم قام بتضخيم إنجازات الفريق الفرنسي وإضافة بعض المشروعات الوهمية التي يُفترض أن الفريق الفرنسي قد نفذها في أماكن نائية من العالم.

كان جواد مطمئناً الى أن المدير ميخائيل برينسكي لن يقوم بالتحقق من المعلومات، لأنه يفترض أن اللجنة الأمنية قد سبق وقامت بهذه المهمة. خطر بباله في أول الأمر أن يضيف الى الملف الفرنسي بعض المشروعات التي حذفها من ملفات باقي الفرق، ولكنه عدل عن هذه الفكرة لأنه خشي أن تكون بعض هذه المشروعات شهيرة وأن يكون برينسكي واعياً وعارفاً بأسماء الفرق الحقيقية التي نفذتها، لهذا فضل إضافة مشاريع وهمية لأن اكتشاف أمرها سيكون أصعب.

لم يواجه جواد صعوبات كبيرة في تزيين ملف الفريق الفرنسي، لأنه ومن حسن الحظ فقد كان الفريق الفرنسي من أشهر الفرق لهذا لم يكن بحاجة إلا الى قليل من الجهد لضمان تفوقه على باقي الفرق وعلى رأسها أكبر المنافسين وهو أحد الفرق الأمريكية.

أخبر سالم زوجته بآخر التطورات، وأعلمها أنه قرر إبلاغ عادل بتفاصيل الخطة على العشاء. رحبت نتاشا بالأمر لأنها قد سبق وأبدت قلقها من احتمال رفض عادل وروستام المشاركة في الخطة، مما يهدد بفشل المشروع وانهياره في وقت حرج.

وصل عادل في الموعد، فدعاه سالم للتوجه الى المائدة فوراً وهناك

Twitter: @alqareah

سلم على جواد، وجلس على الكرسي المقابل له. كانت المائدة تعج بأصناف مختلفة من الأطعمة المستوحاة من المطبخ الروسي والأوكراني، بذلت نتاشا جهداً كبيراً في إعدادها وتمنت أن تحوز على إعجاب ورضا الضيوف.

شرعت نتاشا في صب البورش الحساء الأوكراني الشهير، والذي يحرص الأوكران على أن يبدءوا وجباتهم به. أبدى عادل إعجابه بالحساء وطلب وصفة إعداده من نتاشا، والتي سرت كثيراً بإطراء عادل بصفته طباخاً متمرساً. أما جواد فلم يكثر من تناول الحساء ليفسح المجال لباقي أصناف الطعام التي تنتظر أمامه.

أحس سالم أن طريقة نتاشا في تقديم الطعام والتي تعلمتها في بلدها لم تناسب جواداً، لأنه ووفقاً لقواعد تقديم الطعام الروسية والأوكرانية، يتم تقديم الحساء أولاً، وعندما يفرغ الضيوف من تناوله تقدم السلطات، وأخيراً يتم تقديم الوجبة الرئيسية. عادة تحترم هذه القواعد في أوكرانيا وروسيا كثيراً، ويستهجن أي خروج عنها. أما جواد فقد اعتاد على البدء بالوجبة الرئيسية مباشرة وإهمال السلطات والحساء، لهذا تدخل سالم ودعا الجميع ليخدم نفسه بنفسه ويتناول ما يشاء من الأطعمة. سر جواد بتدخل سالم وشكره في قلبه.

تساءل عادل عن سبب غياب روستام عن العشاء، فأخبره سالم بصراحة أنه قرر أن يخصص هذه الليلة للتحدث في تفاصيل الخطة، وأنه وجد من الحكمة إرجاء إعلام روستام بها لبعض الوقت.

استغرب عادل في نفسه لهذا الإجراء، ولكنه لم يعلق على كلام سالم واكتفى بإكمال تناول طعامه.

انتهى الجميع من تناول الطعام، وأثنى عادل وجواد على طبخ نتاشا وشكراها وزوجها لدعوتهما. توجهت نتاشا الى المطبخ لإعداد الشاي،

Twitter: @alqareah

بينما ذهب الباقون الى غرفة الجلوس.

لم يضيع عادل الوقت وطلب من سالم أن يخبره بتفاصيل الخطة بحذافيرها.

استجاب سالم وطلب من جواد أن يساعده في شرح الأمور التقنية إن لزم الأمر، وأخذ يقص على عادل مراحل الخطة التي تم تنفيذها والتي لا تزال قيد التنفيذ. عادت نتاشا بالشاي وقدمته لضيفيها ولزوجها، ثم جلست تستمع الى شرح زوجها، وأخذت تراقب وجه عادل بحثاً عن أي علامات سخط.

استمع عادل بإنصات الى شرح سالم ومداخلات جواد، وشعر بالرهبة من سيل المعلومات التقنية وتفاصيل عمليات الاختراق التي كان يسمع عن شبيهاتها في نشرات الأخبار.

انتهى سالم من سرد جميع التفاصيل، وانتظر أن يعلق عادل على ما سمعه.

أفهم من كلامكما أن الخطة تقتضي أن ننتحل شخصيات أعضاء الفريق الفرنسي، ونشارك في المسابقة نيابة عنهم، على أمل أن يقوم مدير الشركة باختيارنا بعد أن يقوم جواد باستبدال ملفات الفرق بما يضمن أن يحظى الفريق الفرنسي بأفضل المواصفات؟ وجه عادل سؤاله الى سالم وجواد، ورسم على وجهه ملامح القلق.

بالضبط أجاب سالم وقد بدا عليه التوتر وبدأ يشعر أن عادل سيرفض الاشتراك في الخطة، وتبادل مع جواد ونتاشا سلسلة من النظرات القلقة.

الخطة رائعة وتثير الإعجاب، وتذكر بسلسلة أفلام أوشين التي يلعب بطولتها جورج كلوني وبراد بيت ابتسم عادل فجأة ابتسامة واسعة، بعثت الطمأنينة في قلبي سالم وجواد.

Twitter: @alqareah

أنت موافق إذاً على متابعة الخطة معنا؟ سأل سالم مبتهجاً.

بالتأكيد، وهل ظننتم أني سأخاف وأتراجع بعد أن أعرف بتفاصيل الخطة؟ ضحك عادل، ثم استدرك أنا لا أنكر أن الخطة تنضوي على قدر كبير من المخاطر، كما أن أجزاء كبيرة منها لا تزال مبهمة ولم يتم التخطيط لها بشكل واضح وخاصة في المراحل التالية عندما نسافر الى روسيا ونبدأ العمل فعلياً. لكني مع ذلك متحمس للاشتراك معكم، وقد أحسنتم عملاً أن أخبرتموني الآن، كي نتشارك سوياً في الإعداد للمراحل التالية من الخطة، كما أني أؤيدكم في قرار تأخير إبلاغ روستام بالتفاصيل الى أن ننجح فعلياً بالفوز بالمسابقة.

بدا السرور واضحاً على وجوه رفاق عادل، فقد كانت موافقة عادل على الاستمرار في المشروع تعد عقبة كان تجاوزها لابد منه لضمان نجاح الخطة.

في الحقيقة فقد استغرب سالم من موافقة عادل بهذه السهولة على الخطة التي أهون ما يقال عنها أنها كانت خطة محفوفة بالمخاطر. كان سالم مؤمناً أن أي شخص صاحب أسرة وعيال، لن يوافق على مثل هذه الخطة والتي قد تؤدي في حال فشلها الى الزج بالمشاركين فيها الى غياهب السجون. ما لم يدركه سالم أن عادل كان قد وصل الى نقطة اللاعودة، فقد أصبح غير قادر على الاستمرار في عمله والتعرض للاستغلال، ناهيك عن تلميح زوجته له بأنه خانع وراضٍ بالظلم، وتهديدها المتكرر بالاستقرار في مصر بعيداً عنه إن بقي هو في عمله ذاك. لقد قرر عادل الاشتراك في هذه المسابقة والفوز بها مهما كلفه الأمر.

تدخل جواد قائلاً ما دمنا قد اتفقنا على متابعة الخطة، علينا الآن تجهيز ملفات الفرق وتعديلها لننتظر أول إشارة من أي من أعضاء اللجنة

Twitter: @alqareah

بإتمام عمله وإرسال تقريره، لنتدخل نحن ونستبدل الملف الذي عمل عليه بملف آخر عدلنا عليه فتح جواد حقيبة الظهر التي كانت بحوزته وأخرج منها مجموعة من الملفات.

لقد قمت في الليلة الماضية بدراسة الملفات والتعديل عليها وأخبرهم بالتعديلات التي أجراها وسلم الى عادل نسخة من الملفات قبل التعديل ونسخة أخرى بعد التعديل.

انهمك الثلاثة في قراءة الملفات ومراجعة التعديلات التي قام بها جواد، أما نتاشا فلم تشأ أن تشاركهم، ولكنها أخبرتهم باستعدادها للرد على أي مكالمة من طرف اللجنة الأمنية، إن قرر الموكل بدراسة الملف الفرنسي الاتصال بالرقم الهاتفي المدرج في الملف.

أبدى عادل حسرته على ملف فريق دبي والذي قضى ساعات طويلة في إعداده، ولو كان يعلم أنهم في النهاية سيشاركون باسم فريق آخر لما تعب كل ذلك التعب على إخراج الملف بأبهى صورة.

قام عادل بإجراء بعض التعديلات على الملفات التي أعدها جواد، بأن حذف المشاريع غير الشهيرة من ملفات الفرق المنافسة وأبقى على المشاريع التي قد يثير فقدانها من الملفات شكوك المدير عند تصفحها، كما قام بدراسة ملف الفريق الفرنسي بعناية وأدخل بعض التعديلات واللمسات النهائية، وأبدى إعجابه بعمل جواد وقدرته على استيعاب المعلومات الواردة في الملفات والتعديل عليها بهذه البراعة وكأنه مختص في هذا المجال.

كانت الساعة تقترب من الواحدة صباحاً عندما انتهى عادل ورفاقه من عملهم، لقد شعروا بالمتعة والإثارة لمشاركتهم في حيلة بهذا الحجم. أما نتاشا فقد استسلمت لا إرادياً للنوم على الأريكة.

أخبرهم جواد أنه سيكون متابعاً بشكل دقيق لحركة الرسائل

Twitter: @alqareah

الالكترونية في سيرفر الشركة، وأنه سيبدي اهتماماً خاصاً بحسابات أعضاء اللجنة ومدير الشركة، ووعد رفيقيه بإعلامهما بالمستجدات أولاً بأول.

ودع جواد وعادل صديقهما وشكرا له حسن ضيافته، وأوصياه بشكر زوجته بالنيابة عنهما عندما تستيقظ.

أغلق سالم الباب وعاد الى زوجته التي كانت غارقة في نوم عميق، فجلس على الأرض بالقرب من أريكتها وأخذ يتأمل وجهها الطفولي الذي ينضح بالنعومة والرقة. لم يستطع أن يقاوم الرغبة في ملامسة بشرتها البيضاء الناعمة، فمد يده ومسد بهدوء بظهر سبابته وجنتها المتوردة، ثم اقترب منها بحذر وطبع على شفتيها المكتنزتين قبلة صغيرة. فتحت نتاشا عينيها فوجدت سالماً وقد تاهت عيونه عشقاً بسحر جمالها. ابتسمت له وفتحت ذراعيها واستقبلته بعناق طويل.

كانت الأيام التالية حاسمة بالنسبة لجواد، فقد كان عليه الآن إتمام واحدة من أهم الخطوات في الخطة، ألا وهي النجاح في إيصال الملفات المعدلة الى المدير. كان يقرأ كل رسالة تبعث من حسابات أعضاء اللجنة بعناية فائقة قبل السماح لها بالوصول الى وجهتها. لقد اهتم جواد بأن يطمس أي أثر لما يقوم به، ونجح في خداع النظام الأمني الالكتروني المستخدم لحماية الشبكة، بإقناعه أنه يقوم بأعمال إدارية اعتيادية، وكأنه جزء من النظام نفسه وليس دخيلاً عليه.

دهش جواد عندما وقعت في يديه بعض الرسائل التي تتناول الفضائح التي تعرض لها مدير المجموعة، وكانت صدمته كبيرة عندما قام بترجمة المقال الذي يتحدث عن علاقات ميخائيل برينسكي المشبوهة بإسرائيل.

في البداية شعر بشيء من الرهبة لخوضه مغامرة قد يكون لها

Twitter: @alqareah

علاقة مباشرة برجل يعمل لصالح المخابرات الإسرائيلية، ولكنه وبعد أن فكر ملياً بالأمر وصل الى استنتاج بسيط عبر عنه بقوله لنفسه لسنا بأقل مهارة منهم. لم يعرف جواد أن ميخائيل برينسكي كان يعمل مع الإسرائيليين رغماً عنه، وأنه كان يتمنى التخلص من قيودهم، وربما إن عاد به الزمان الى الوراء لما تورط معهم.

دفعت هذه المعلومات جواد الى بذل المزيد من الانتباه والحذر واتخاذ عدد أكبر من التدابير الوقائية لإخفاء أي أثر لعمله، الذي اعتقد أنه أصبح الآن محفوفاً بمزيد من المخاطر. لقد كان يعمل قبل أن يعرف بهذه المعلومات بروح من التحدي المراهق، أما الآن فأصبح يشعر بجدية الموضوع، وتحولت الرغبة في مجرد إثبات البراعة، الى رغبة في تحدي الآخر والتفوق عليه ولكن بدون تهور.

في البداية قرر جواد أن لا يعلم رفاقه بما توصل إليه من معلومات خطيرة، خشية أن يتراجعوا عن المضي قدماً في تنفيذ الخطة، ولكنه عاد وغير رأيه لأنه تذكر أنه يحق لرفاقه أن يعرفوا ما هم مقدمون عليه.

سر سالم بهذه المعلومة كثيراً، فقد وجد الآن وكما يبدو مبرراً قوياً للمتابعة في المشروع. لقد جاءته الفرصة لينتقم بشكل ما من العدو التقليدي للفلسطينيين. أما نتاشا فشعرت بالخوف من تحول المغامرة الى مخاطرة غير محسوبة العواقب، وحاولت أن تثني زوجها عن التورط أكثر في هذا المشروع، ولكن دون جدوى. لقد وجدت أن إصرار زوجها قد تضاعف، ولم تجد بداً في نهاية الأمر من دعم زوجها والوقوف بجانبه، بالرغم من عدم اقتناعها بأي من مبرراته. كانت ببساطة قد قررت ومنذ زمن أن تهب نفسها لزوجها، وباتت مدركة أن مصيرهما مشترك.

أما الغريب فكان موقف عادل، والذي لم يبدي أي ردة فعل إزاء

Twitter: @alqareah

الخبر، واكتفى بأن سأل جواد بعد أن انتهى الأخير من سرد ما توصل إليه من معلومات وماذا في ذلك؟ ما الفرق إن كان يعمل مع الموساد أو الكي جي بي؟ هو رجل يريد انتشال الذهب ليأخذ نصيبه ويعطينا أجرتنا، ونحن سننفذ له رغبته.

انقضت مهلة السبعة أيام سريعاً، ولم يدع جواد أي رسالة الكترونية إلا وفتحها وقرأ ما فيها بعد ترجمتها. بدأ يشعر بالقلق عندما انتهت المهلة ولم يتم إرسال أي تقرير من الحسابات البريدية لأعضاء اللجنة.

بدأت الهواجس تثور في نفسه، لقد خشي أن يكون أمره قد افتضح وبناءً على ذلك تم تغيير الإجراءات. في نفس الوقت كان واثقاً من قيامه بإخفاء تحركاته بشكل كامل.

هل يعقل أن يكون أعضاء اللجنة قد قاموا بتسليم ملفاتهم وتقاريرهم باليد بعد طباعتها؟ تساءل في نفسه.

كان عليه التصرف سريعاً للتأكد مما جرى. وجد أن خياره الوحيد يتمثل في اختراقه المباشر لحواسيب أعضاء اللجنة والتعرف على ما جرى بها في الأيام السابقة.

وهكذا عزم أمره وقام في البداية باختراق سيرفر الشبكة الخاصة الظاهرية VPN، ووجد من حسن الحظ أنها تعتمد على تقنية ميكروسوفت والتي توفر قدراً كبيراً من سهولة التعامل، ولكن في المقابل لا تتمتع بنفس القدر من الأمان. باختراقه لهذا السيرفر بات قادراً على الاتصال بالأجهزة الداخلية للشبكة وتمكن بسهولة من تحديد عناوين أجهزة أعضاء اللجنة، والتي تبين أنها تعمل بنظام ويندوز XP القديم نسبياً، والمعرّض الى كثير من الثغرات الأمنية التي يسهل استغلالها بغرض التحكم الكامل بالنظام.

أخذ يتصفح المستندات التي وجدها في أجهزة أعضاء اللجنة،

Twitter: @alqareah

وكاد قلبه يتوقف عندما عرف أن جميع الأعضاء قد انتهوا فعلاً من إعداد تقاريرهم منذ يومين، مما يشير الى احتمال أن يكونوا قد سلموا التقارير بالفعل.

خطر ببال جواد أن يراجع سجل عمل الطابعة ليتأكد من قيام الأعضاء بطباعة تقاريرهم، وبالتالي يصدق حدسه باحتمال تسليم الملفات مع التقارير يدوياً.

ارتاح قليلاً عندما وجد أن عمليات الطباعة التي قام الأعضاء بتنفيذها لا تمت لملفات الفرق أو تقاريرها بأي صلة. ازدادت حيرته، فما دامت المهلة قد انتهت والملفات والتقارير لم تطبع، ولم ترسل بالبريد الالكتروني، إذاً كيف سيتم تسليمها الى المدير. هل يعقل أنهم تلقوا تعليمات بنسخ الملفات والتقارير على وسائط تخزين خارجية كالأقراص المضغوطة أو محركات الذاكرة السريعة، ثم تسليمها الى المدير؟ تساءل جواد. ليتأكد من هذا الأمر عاد ليتصفح سجل النظام ليتعرف على جميع العمليات التي تم تنفيذها على الملفات التي تهمه، ولكنه مجدداً لم يجد أي دليل على قيام أي من الأعضاء بنسخ الملفات أو التقارير، بل بالعكس فقد اكتشف أن خاصية النسخ الى وسائط خارجية قد تم تعطيلها من قبل مدير النظام، كإجراء احترازي لمنع تسريب المعلومات كما يبدو.

كاد جواد يفقد صوابه، وخاصة عندما علم من الإعدادات الأمنية لسيرفر البروكسي أن هؤلاء الأعضاء غير مسموح لهم بتصفح بريدهم الالكتروني الشخصي عبر الويب، مما ينفي احتمال أن يكونوا قد أرسلوا الملفات باستخدام حساباتهم البريدية الخاصة.

بقي جواد مستيقظاً في تلك الليلة الى بزوغ الفجر. شعر بقدر كبير من الغيظ لفشله في اكتشاف السر، وأحس لأول مرة باحتمال انهيار الخطة. قام من كرسيه متثاقلاً وقرر أن يصلي الفجر، ثم يأخذ قسطاً

Twitter: @alqareah

من الراحة على أن يعاود المحاولة مجدداً عندما يستيقظ، عله يكتشف حقيقة ما جرى.

توضأ ثم صلى ركعتي النافلة، وشرع بصلاة الفرض، وبينما هو يتلو فاتحة الكتاب، خطر بباله خاطر كاد أن يخرجه من صلاته. حاول التركيز وأنهى صلاته بشيء من العجلة، واستغفر الله ثم رجع وجلس أمام شاشة الحاسوب.

لقد توصل الى معرفة السر أخيراً.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل السابع عشر

وهدأت العاصفة

كانت صدمة ميخا عظيمة لدى تلقيه خبر مقتل الصحافي، ولم يصدق أبداً رواية الشرطة الرسمية التي تحدثت عن انتحاره. لقد كان واثقاً تماماً أنه قتل بأيدي رفاق صديقه السفير الذين كان ينتظر تعليماتهم. لقد جاءه الرد صاعقاً، فقد توقع رداً قوياً وربما عنيفاً، ولكن لم يخطر بباله أن يصل الأمر الى القتل. لقد تأكد له الآن أن العبث مع الإسرائيليين وجهاز مخابراتهم يعني أمراً واحداً وهو الموت.

بمقتل الصحافي اختفت جميع الوثائق التي كان على وشك أن ينشرها، وبدلاً من ذلك ظهرت أقلام مأجورة ادعت أن القتيل كان يسعى للشهرة عندما اخترع تلك القصة الملفقة، وأنه عندما ذاع صيته وأصبح مطالباً بالبراهين على ادعاءاته، لم يتمكن من تحمل الضغوط وفضل الانتحار على الفضيحة.

لم يصدق الرأي العام الروسي خبر الانتحار، وجرت الشائعات والأقاويل بين أفراد الشعب بأن الصحافي قتل على أيدي جهاز الموساد، وظهرت بعض الأصوات المطالبة بفتح تحقيق محايد لكشف ملابسات القضية، وكانت بإيعاز ودعم من عائلة القتيل، وطالبوا بتشريح الجثة بأيدي خبراء محايدين تعينهم المحكمة.

لكن ما حدث بعد ذلك كان مدعاة للاستغراب، فقد تم تجاهل

Twitter: @alqareah

الأصوات المطالبة بالتحقيق، بل وتم التعتيم على الأمر، كما وسحبت عائلة القتيل طلبها الرسمي بإجراء تحقيق، وظهر أحد أفرادها على شاشة إحدى القنوات المحلية، وهو يعلن أن العائلة قد اقتنعت بأن ولدها قد انتحر نتيجة لضغوط نفسية كبيرة كان يعاني منها في الفترة الأخيرة، وفي غضون أسابيع قليلة توقف الحديث عن حادثة الانتحار، وتوقفت الأقلام التي تتهم برينسكي بالعمالة لإسرائيل، وبدا وكأن الجميع قد قرر أن يغمض عينيه عن الحقيقة، وشيئاً فشيئاً اختفت جميع المقالات المسيئة لبرينسكي وحل محلها المقالات التي كان ميخائيل قد دفع ثمنها لتلميع صورته أمام الرأي العام.

أشار محامو ميخا عليه أن يسحب القضية التي رفعها على الصحيفة، وذلك كي ينسى الناس كل ما له علاقة بالاتهامات، ولتجفيف منابع الشائعات والقيل والقال، فإهمال الأمر والادعاء وكأنه لم يحصل هو أفضل ما يمكن فعله لمحو ذاكرة الشعب القصيرة.

تابع ميخا ما يجري في بلده وهو لا يزال مقيماً في شقته في دبي، لقد كانت نصيحة الجميع له بأن يبقى هناك الى أن تهدأ الأمور وتنشغل الصحافة بقضية أخرى، فيعود حينها الى وطنه لمزاولة أعماله ومتابعتها عن قرب.

لم يستطع ميخا أن يتعرف على المسئول عن تسريب أسراره الى الصحافة. ولم يتمكن من إثبات التهمة على سيرغي الذي كانت الشكوك تحوم حوله، وهكذا لم يصرفه من عمله، فقد كان يعتمد عليه اعتماداً كبيراً في كثير من الأمور، ولكنه بات الآن أكثر حذراً في التعامل معه.

طوال فترة وجود ميخا في دبي لم يتلقى أي اتصال من أي نوع من صديقه السفير السابق أو رفاقه. وتمنى في قرارة نفسه أن تتوقف تلك الاتصالات نهائياً وأن يكتفوا بما يحصلوا عليه منه من أموال طائلة نظير

Twitter: @alqareah

مساعدتهم المالية له عندما كان في بداية مشواره. كان يعرف أن السفير قد أخبره أنه سيتلقى تعليمات بخصوص دوره السياسي الجديد في خدمة مصالح دولة إسرائيل، ولكن ميخا تمنى أن تكون قضية الصحافي قد دفعتهم الى التراجع عن هذه الفكرة كي لا يجلبوا المزيد من الأنظار الى حقيقة توغلهم بين أوساط اليهود الأثرياء في روسيا.

كان ميخا على اتصال يومي بزوجته وابنتيه، وكان سعيداً بأخبار تماثلهما السريع للشفاء. فقد أخبرته لينا أنها تخلصت كلياً من الإدمان وبات دمها الآن خالياً تماماً من أي آثارٍ للمخدرات، وأصبحت تتحدث معه بروحٍ أخرى عامرة بالتفاؤل وحب الحياة، وقد قررت الالتحاق بمعهد اقتصادي للحصول على دبلوم في إدارة الأعمال لتقف الى جانب والدها في العمل. سر ميخا كثيراً بهذه الأخبار، ووعد ابنته أن يعود قريباً الى موسكو ليكون قريباً منها.

أما كاتيا فقد تماثلت هي الأخرى للشفاء، وأصبحت قادرة على استعمال المضرب، ولكنها كانت تحتاج الى بعض الوقت لتنمية عضلات يديها لتستعيد قوة إرسالها، وليس ذلك صعباً وخاصة مع جلسات العلاج الطبيعي، والتدريب الرياضي تحت إشراف مدربها الخاص الذي انتقل الى نيويورك ليكون قريباً منها ويتأكد من جهوزيتها للعودة الى خوض المباريات. كانت فاتورة إقامته ترسل الى ميخا بطبيعة الحال.

بقيت تتيانا الى جانب ابنتها في نيويورك، وكانت تتحدث مع زوجها يومياً لإخباره بكل ما يحصل معهما هناك. لم يستطع ميخا إخفاء حيرته من عدم فتح تتيانا لموضوع الضجة التي أثارها الصحفي قبل موته وبعد مقتله، وقد حاول أن يلمح لها مراراً ليكتشف إن كانت على معرفة بالقضية أم لا، ولكنها كانت تبدو في كل مرة وكأنها لم يصلها أي معلومات إطلاقاً عما حدث. لم يستطع ميخا تفسير ذلك الأمر، ولكنه

Twitter: @alqareah

قرر أن لا يخبرها بتفاصيل ما حدث إلا بعد عودتهم جميعاً الى موسكو.

تأقلم ميخا مع جو العمل عن بعد في شقته في دبي، وعاد ليمارس أعماله بشكل كامل فيعقد الاجتماعات الفيديوية ويتخذ القرارات المصيرية وكأنه جالس في مكتبه في موسكو. كان الأمر الوحيد الذي لا يزال يزعج ميخا أثناء وجوده في دبي هو ارتفاع درجة الحرارة، لهذا فقد كان يقضي جل وقته في شقته أو متجولاً في أحد المراكز التجارية الكبيرة المكيفة. لقد اشتاق للتنزه في الهواء الطلق، والتمتع بمناظر الخضرة والزهور المنتشرة عن اليمين واليسار في حديقة قصره.

استطاع ميخا بعد أن هدأت الضجة التي ثارت حوله، أن يعيد توجيه أعماله، والخروج من الأزمة التي كادت تعصف بأسهم شركاته، وتهدد بانهيار الإمبراطورية الاقتصادية التي شيدها على مدار عشرين عاماً. كان ميخا واثقاً بأن شركاته وأعماله تقف على أساسات صلبة ليس من السهل هدمها بهذه البساطة بخبر هنا أو إشاعة هناك. لقد تبين لجميع المساهمين أن ما حصل كان لا يعدو عن كونه زوبعة في فنجان، وهكذا عادت الثقة وبقوة بالأعمال والمشاريع التي تنفذها مجموعة شركات برينسكي، وعادت أسعار الأسهم للارتفاع مجدداً وبلوغ أرقام قياسية جديدة لم تبلغها من قبل.

اضطر ميخا الى مضاعفة عدد ساعات عمله أثناء وجوده في دبي كي يتمكن من الخروج بشركاته من الأزمة في أسرع وقت، وللتخفيف من الأعباء التي كان يلقيها سابقاً على عاتق سيرغي، فقد أصبح يحاول الآن التقليل من اعتماده على سكرتيره الخاص في الأمور الحساسة، ويكتفي بترك الأمور الروتينية الاعتيادية له ليهتم به.

شعر سيرغي بجفاء مديره في تعامله معه، ومع الوقت أحس بأن ميخا يحاول إقصاءه، وأنه ما عاد يعتمد عليه في أمور هامة. وبعد بضعة

Twitter: @alqareah

أسابيع أصبح شبه متأكد من احتمال أن يستغني ميخا عن خدماته قريباً، فقرر أن يواجهه ويعرف سر تبدله معه.

كان ميخا قد فرغ لتوه من اجتماع فيديوي هام مع مدراء شركاته لم يدعو سيرغي لحضوره، عندما رن هاتفه وكان المتصل سكرتيره الخاص.

رد ميخا على الاتصال بنبرته الجافة التي أصبح سيرغي معتاداً على سماعها في الفترة الأخيرة.

إن كان لديك بعض الوقت، أود التحدث معك في موضوع يخصني.

أنت تعرف أن المواضيع الشخصية لا يصح التحدث بها إلا بعد انقضاء ساعات العمل أجاب ميخا بلا مبالاة.

حسناً. أنا آسف، معك حق وان كان موضوع الحديث يخص العمل أيضاً، ولكن كما تشاء. متى باستطاعتي التحدث إليك؟

لا بأس. قل ما لديك الآن وأوجز.

شكراً لك. في الحقيقة أود التحدث إليك بخصوص وضعي في العمل، وعلاقتك بي. لقد لاحظت في الفترة الأخيرة أن تعاملك معي قد تغير بشكل كبير، فبتَّ لا تحدثني إلا نادراً، ولا تدعوني لحضور أغلب الاجتماعات التي كنتُ في السابق لا أتغيب عن أي منها. وأصبحت تحدثني بجفاء كبير.

لقد حاولت جاهداً أن أعرف سر هذا التحول الغريب، ولكن دون جدوى. فهل بدر مني ما أزعجك؟ هل قصرت في عملي أو خنت الأمانة؟ سمع سيرغي صوتاً صادراً من الطرف الآخر بدا تهكمياً، ولكنه تابع حديثه من حقي أن أعرف الذنب الذي اقترفته أو الخطأ الذي ارتكبته، على الأقل من أجل السنوات الطويلة التي خدمتك فيها بكل تفانٍ وإخلاص. إن كنت تود مني أن أقدم استقالتي فلا مانع لدي،

Twitter: @alqareah

ولكني أرجو منك أن تفصح لي أولاً عن سبب تغيرك المفاجئ.

صمت ميخا برهة من الزمن، لم يسمع سيرغي خلالها إلا زفرات متوترة من الجانب الآخر.

ألا تعرف حقاً؟ هل يعقل أن شخصاً بمثل ذكائك لا يعرف سبب تبدل مديره معه؟ سأل ميخا بنبرة متشككة.

صدقني يا سيدي لقد حاولت أن أراجع جميع تصرفاتي، وأن أبحث في سلوكي عن أي هفوة قد تكون سبباً في جفائك معي ولكني لم أجد. متى لاحظت تغيراً في تعاملي معك؟

فكر سيرغي لبعض الوقت ثم أجاب: منذ انتقالك الى دبي.

حسناً، وما الحدث الأهم الذي كان يشغل بالي منذ وصولي الى دبي؟

أظن أن الضجة التي أثارها المقال كانت الحدث الأهم أجاب سيرغي بتردد وهو يخشى أن تكون إجابته غير صحيحة.

حسناً، وما هو دورك أنت في ذلك الحدث؟ قالها بهدوء ولكن بنبرة متصاعدة، ثم أضاف بعد ثانية ولكن بنبرة أقرب الى الصياح وقد فقد أعصابه أخيراً، وانفجر في سيرغي ألست أنت من سرب هذه المعلومات وغيرها الى الصحافي؟ أنت الوحيد المطلع على أغلب أسرار عملي، وتستطيع الوصول الى مستنداتي بكل سهولة التقط أنفاسه ثم أردف متسائلاً ولكن أخبرني كيف استطعت فتح خزنتي الخاصة بدون أن أشعر؟ وكم أعطتك الصحيفة مقابلاً لهذا العمل الدنيء؟ لقد كنت أثق بك ثقة عمياء، ولم أبخل عليك بشيء، ولكن من الواضح أنها كانت ثقة في غير محلها.

كل ذلك وسيرغي صامت لم ينبس ببنت شفة، وانتظر الى أن أفرغ ميخا كل غضبه الذي كان يحتقن في صدره، وعندها أجاب لست ممن

Twitter: @alqareah

يخون الأمانة، أو يتنكر لصاحب الفضل. لقد كنت ولا أزال مخلصاً لك وأفديك بعمري، فقد احتضنتني وأكرمتني ورفعت من قدري. لا تظن أنني من أولئك الذين يقابلون الإحسان بالإساءة.

هدأ ميخا قليلاً عندما سمع ذلك الكلام هل تدعي أنك لا علاقة لك بتسريب المعلومات ولا تعرف المسئول عنها؟

لم أقل أنني لا أعرف المسئول عن تسريب الأسرار قالها سيرغي بنبرة واثقة.

عاد الغضب ليسيطر على ميخا مجدداً إذاً فأنت تعرف الفاعل، وتعترف أنك أخفيت هويته عني.

نعم، أعترف، ولكن لدي أسباب قوية دعتني الى ذلك. تأكد أنني لم أخفي هذه المعلومة عنك إلا حرصاً عليك وعلى عائلتك.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل الثامن عشر

اختراقات

لقد كان الأمر واضحاً وجلياً. لم يعرف جواد كيف غاب عن ذهنه هذا الاحتمال. لقد تذكر أثناء تأديته للصلاة أنه يملك في الشركة التي يعمل فيها حسابين بريدين الكترونيين اثنين وليس واحداً، حيث يُستخدم أحدهما للمراسلات الخارجية بينما يُستخدم الآخر للمراسلات الداخلية بين الموظفين والإدارة وهو معزول عن شبكة الانترنت لتوفير مقدار أكبر من الأمان ومنع تسريب الملفات الحساسة.

بمجرد أن انتهى جواد من الصلاة توجه الى حاسوبه ليتأكد من حدسه، فقام بالدخول مجدداً على أحد أجهزة الحاسوب الخاصة بأعضاء اللجنة الأمنية، وقام بفتح برنامج إدارة البريد الالكتروني والذي أهمله في السابق لأنه كان يتصفح الرسائل من سيرفر البريد الالكتروني مباشرة، وغاب عن ذهنه احتمال أن يكون لدى الأعضاء أكثر من حساب بريد الكتروني واحد، وهكذا قام جواد الآن بتصفح الرسائل التي تم إرسالها واستقبالها وصعق عندما وجد أحد ملفات الفرق وقد تم إرسالها بالفعل بالأمس الى المدير مرفقة بتقرير عضو اللجنة الأمنية. انتقل بعدها الى إعدادات برنامج إدارة البريد الالكتروني، فاكتشف أن حدسه كان صحيحاً، فقد وجد أن كل عضو من أعضاء اللجنة لديه حسابان بريدان. كان جواد يراقب طوال الوقت سيرفر البريد الالكتروني المتصل بشبكة

Twitter: @alqareah

الانترنت، ولم يعرف إلا الآن أن لدى الشركة سيرفر بريد الكتروني آخر معزول عن الشبكة العالمية، وهو الذي استخدمه أعضاء اللجنة لإرسال ملفات الفرق ملحقة بتقاريرهم الى مدير المجموعة برينسكي.

شعر جواد بالغضب من نفسه إذ أحس أنه فوت معلومة غاية في الأهمية قد تكون سبباً في فشل خطتهم برمتها، فقد تأكد أن أعضاء اللجنة قد أرسلوا ملفاتهم بالفعل الى برينسكي، وبقي عليه الآن أن يتأكد فيما إذا قام برينسكي بفتح هذه الرسائل وتحميل مرفقاتها أم لا. لقد بات المشروع على وشك الانهيار.

تعرف جواد على عنوان السيرفر المعزول من الإعدادات التي وجدها في برنامج إدارة البريد الالكتروني، وتوجه مباشرة إليه من داخل الشبكة محاولاً اختراقه. اكتشف أن سيرفر البريد هذا كان يعمل بنظام Exchange من مايكروسوفت، فقام بالتعرف على رقم الإصدار ثم توجه الى شبكة الانترنت بحثاً عن ثغرات يمكن استغلالها في هذا الإصدار من النظام بغرض اختراقه، فصدم عندما اكتشف أن الإصدار المستخدم هو الإصدار الأحدث، ولم تُكتشف فيه أي ثغرات خطيرة كافية لاختراقه.

تزايد غضب جواد وتوتره، فقد كان يسابق الزمن، وهو يدري أن هناك احتمال كبير أن يكون برينسكي قد اطلع بالفعل على الملفات، وعندها يكون كل شيء قد انتهى. حاول أن يجد طريقة أخرى للاختراق فقام باختبار نظام التشغيل الذي تم تنصيب نظام Exchange عليه، فاكتشف أنه ويندوز سيرفر 2003. كان ذلك يعد خبراً جيداً لأن إصدار 2003 يعتبر إصداراً قديماً نسبياً، وهناك احتمال بأن يجد فيه ثغرات كافية لاختراقه. توجه بعدها الى الانترنت وتصفح قاعدة بيانات الثغرات الخاصة بنظام التشغيل هذا، وأخذ يجربها واحدة تلو الأخرى الى أن

Twitter: @alqareah

وجد أخيراً إحدى الثغرات التي لم يقم مدير النظام بمعالجتها، واستطاع جواد استغلالها للتحكم بالنظام، وعندها أصبحت مسألة اختراق نظام البريد الالكتروني مسألة وقت وحسب.

كانت الساعة تقترب من التاسعة صباحاً عندما تمكن جواد أخيراً من السيطرة على سيرفر البريد الالكتروني بشكل كامل. كان أول ما فعله بعدها هو التوجه الى الحساب الخاص ببرينسكي للإطلاع على قائمة بعمليات الإرسال والاستقبال التي أجريت عليه، وكاد يجن جنونه عندما اكتشف أن جميع الرسائل التي تم استقبالها على هذا الحساب قد تم إعادة تحويلها الى بريد الكتروني شخصي على سيرفر Hotmail. لقد كان من الواضح أن برينسكي لم يكن متواجداً في الشركة في الأسابيع السابقة لهذا فجميع الرسائل التي كانت تصل الى بريده الخاص في الشركة كان يتم تحويلها الى بريده الشخصي.

هل يفترض بي الآن محاولة اختراق سيرفر هوتميل أيضاً؟ خاطب جواد نفسه، وهو يشعر بضيق شديد. لقد كانت الأمور تزداد تعقيداً.

كان جواد يعرف أن اختراق موقع شهير كموقع هوتميل لن يكون سهلاً وقد يستغرق أياماً، هذا إن تمكن أصلاً من اختراقه. كان عليه أن يجد طريقة أسهل للوصول الى حساب برينسكي، وتصفح الرسائل التي وصلت إليه والتأكد فيما إذا قام برينسكي بفتحها أم لا. كان يعرف أن طريقة التخمين الآلي لكلمة المرور الخاصة بالبريد الالكتروني لن تجدي نفعاً مع بريد الهوتميل، لأنه يقوم تلقائياً بتعطيل الحساب بعد المحاولة الثالثة.

كان جواد يعرف أن نسبة كبيرة من المستخدمين يستعمل كلمة password أو الأرقام من واحد الى ستة عندما يطلب منه اختيار كلمة المرور. لم يكن جواد واثقاً إن كان ميخائيل برينسكي واحداً من هؤلاء

Twitter: @alqareah

المستخدمين، ولكنه كان قد وصل الى مرحلة من اليأس جعلته يخاطر، فجرب أولاً كلمة password ولكن بريد الهوتميل رفضها وأعلن أنها كلمة خاطئة. في المحاولة الثانية استخدم كلمة المرور 123456 ولكن مرة أخرى لم يكن تخمينه صحيحاً. لم يتبقى له غير محاولة أخيرة إن فشل فيها بمعرفة كلمة المرور الصحيحة فإن الحساب سيتم تعطيله، وهكذا لن يتمكن جواد أبداً من معرفة ما حصل بالملفات وسيكون إعلاناً صريحاً بفشل الخطة وانهيار المشروع.

حاول جواد أن يشحذ ذهنه لإيجاد حل لهذه المعضلة، ولكنه كان يشعر بإرهاق شديد من الجوع وقلة النوم، فنهض من مقعده وذهب الى المطبخ وأعد شطيرة جبن تناولها مع كوب من الشاي، ثم توجه الى سريره فاستلقى عليه ليس بهدف النوم وإنما رغبة في تصفية ذهنه. كان عليه أن يجد طريقة لتصفح البريد الالكتروني الخاص ببرينسكي، مما يعني أن عليه أن يعرف كلمة المرور الخاصة به. قد تكون كلمة سهلة وقد تكون صعبة. لم يكن لديه معلومات كافية حول برينسكي ليتمكن من تخمين كلمة المرور التي يستخدمها لحساب بريده الالكتروني. تذكر جواد أنه قد سبق له أن قرأ تقريراً يفيد أن كثيراً من المدراء يميل الى استخدام عدد محدود من كلمات المرور الصعبة قد لا يتجاوز أحياناً الكلمة الواحدة وتكون مكونة من خليط من الرموز والأرقام التي يحفظها ثم يستخدمها في كل مكان. في البداية لم يعرف جواد أهمية هذه المعلومة أو السبب الذي كان يدعوه الى تكرارها في ذهنه مراراً وتكراراً.

فجأة لمعت في ذهنه فكرة مجنونة إن كان برينسكي كغيره من المدراء الذين يستخدمون كلمة مرور صعبة واحدة فقط، فهناك احتمال كبير أن تكون كلمة المرور الخاصة بحساب بريده الالكتروني الشخصي

Twitter: @alqareah

هي نفسها كلمة المرور التي يستخدمها في باقي حسابات بريده الخاصة في الشركة.

نهض سريعاً من سريره وعاد الى حاسوبه وتوجه الى سيرفر البريد الالكتروني الخاص بشركة نانوتيك والذي اخترقه سابقاً وعثر على الملف الذي يحتوي على كلمات المرور وقام بفك التشفير عنه واستخرج كلمة المرور الخاصة بحساب برينسكي، ووجدها صعبة كما توقع فقد كانت كلمة مكونة من عشرة رموز تختلط فيها الحروف والأرقام. شعر بالإثارة وبتدفق الأدرينالين في جسمه عندما تبين له أن حساب البريد الالكتروني الآخر الخاص ببرينسكي في الشركة يحمل نفس كلمة المرور. تبقى له الآن القيام بالخطوة الأخيرة وهي اختبار بريد الهوتميل، ومحاولة الولوج الى الحساب الخاص ببرينسكي باستخدام نفس كلمة المرور. أخذ قلبه ينبض بقوة وهو يدخل اسم المستخدم ثم ينتقل الى الخانة الأخرى فيدخل كلمة المرور، ثم يضغط على زر الدخول.

أغمض جواد عينيه لعدة ثواني بينما يتم تحميل الصفحة والتي ستكون واحدة من اثنتين فإما ستظهر الصفحة الرئيسية الخاصة ببريد برينسكي، أو سيظهر عوضاً عنها الصفحة المزعجة التي تخبره بأن كلمة المرور التي أدخلها كانت خاطئة، وبالتالي تم تعطيل الحساب.

فتح جواد عينيه بينما كان قلبه ينتفض من شدة التوتر. أخذ يقرأ محتويات الصفحة التي ظهرت أمامه، ولكنه فوجئ أنه غير قادر على فهم أي كلمة فيها. لقد كانت باللغة الروسية.

شعر جواد براحة كبيرة عندما تنبه الى أن بناء الصفحة مشابه تماماً لبناء صفحة البريد الالكتروني وأن الاختلاف الوحيد كان في اللغة المستخدمة في وصف القوائم والبنود. لقد تمكن بالفعل من تصفح البريد الالكتروني الشخصي الخاص بميخائيل برينسكي.

Twitter: @alqareah

توجه مباشرة الى صندوق الرسائل الواردة والذي كان محتفظاً بنفس الأيقونة المستخدمة في واجهة النسخة الانجليزية. أخذ يتصفح الرسائل الواردة بحثاً عن تلك التي تحمل ملفات الفرق وتقارير اللجنة الأمنية. كان صندوق بريده عامراً بعشرات الرسائل التي أرسلت في اليومين الأخيرين، أخذ ينسخ عناوين الرسائل ثم يقوم بترجمتها الى الانجليزية الى أن نجح أخيراً في العثور على مجموعة من الرسائل تحمل عناوين متشابهة، وتشير الى أنها مرفقة بملفات الفرق المشاركة في المسابقة وتقارير عنها.

اصفر وجه جواد وتصبب عرقاً وكاد قلبه أن يتوقف عندما فوجئ بأن الرسائل التي تحمل الملفات والتقارير كانت ظاهرة بلون داكن مما يشير الى أنها قد فتحت من قبل وتم قراءتها.

رمى جواد بجسده على السرير بعنف. لقد شعر بالهزيمة، فقد تأخر كثيراً وها هي الرسائل قد وصلت الى برينسكي وفتحها، وهناك احتمال كبير جداً أن يكون قد قام بتحميل المرفقات واطلع عليها.

لقد انهار كل شيء، ولم يبقى لدى جواد أي شيء ليفعله، وهكذا استسلم للنوم والحسرة تملأ قلبه.

استيقظ في وقت متأخر من الظهيرة، وقرر إبلاغ سالم بالأخبار المؤسفة، فبحث عن هاتفه المحمول وأخذ يضرب رقم هاتف سالم، ولكنه وبعد الرنة الأولى غير رأيه وأغلق الهاتف سريعاً، وعاد ليجلس أمام الحاسوب، لقد انبثق لديه بصيص ضعيف من الأمل، إذ قرر أن يقوم باختراق حاسوب برينسكي شخصياً عله يتمكن من استبدال الملفات إن تبين له أن ميخائيل لم يقم بتحميل المرفقات من البريد أو حملها ولكن لم يفتحها بعد.

كان عليه أولاً أن يجد عنوان IP الخاص بجهاز برينسكي، ولهذه

Twitter: @alqareah

الغايـة بحـث فـي قائمـة الرسـائل التـي بعثها برينسـكي مؤخـراً من بريده الشـخصي وكانت موجهة الى أحد موظفيه في الشـركة. عثر سـريعاً على رسالة بعثها برينسكي قبل ساعة فقط وكانت موجهة الى البريد الالكتروني الخاص بموظف اسمه سيرغي كما تبين لجواد من عنوان المرسل إليه.

رجـع جـواد الـى سـيرفر البريـد الالكتروني الخاص بالشـركة وقام بتصفح الرسائل الواردة في الحساب الخاص بسيرغي، وعثر على الرسالة التي أرسلها برينسكي قبل قليل، ففتحها وقرأ المعلومات الخاصة بالمسار الذي اتبعته الرسالة الى أن وصلت الى وجهتها النهائية، واستخرج عنوان IP الخاص بالمرسل.

كخطوة أخيرة حاول الاتصال بالعنوان المذكور، وتبين له أن الجهاز صاحـب العنـوان متصـل حاليـاً بالانترنـت. أخـذ جواد بإجـراء اختباراته المعتادة للتعرف على نظام التشغيل والبحث عن معلومات عنه تساعده في إيجاد ثغرات يسهل استغلالها. فوجئ جواد عندما اكتشف أن نظام التشـغيل المسـتخدم في هذا الجهاز كان نظاماً غريباً لم يتعامل معه من قبـل. كان النظـام يحمـل اسـم IOS، وبعـد بحـث قليـل تبيـن لجواد أن هذا النظام هو المسـئول عن تشـغيل هاتف Iphone و جهاز Ipad اللذين تنتجهما شـركة أبل. من سـوء الحظ لم يعثر جواد على ثغرات مناسـبة لهذا النظام.

كاد جـواد يشـعر باليـأس مجـدداً، وحـاول أن يجـد طريقـة أخرى للوصـول الـى الملفـات، فقـام بتتبـع عنوان IP الخاص بجهاز برينسـكي وصعق عندما اكتشف أن مصدر ذلك العنوان كان مدينة دبي.

لقد اكتشف جواد أن برينسكي موجود حالياً في دبي، وهكذا لمعت في ذهنه فكرة جهنمية، قرر أن ينفذها رغم خطورتها الفائقة.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل التاسع عشر

المتهم

كان ميخا يشعر بفضول كبير لمعرفة اسم الشخص المسئول عن تسريب أخباره الى الصحافة، لهذا فعندما أخبره سيرغي أنه يعرف شخصية الخائن، كاد يجن جنونه لإخفاء سكرتيره الخاص وكاتم أسراره معلومة بهذه الأهمية. لقد ادعى سيرغي أنه لم يفصح عن اسم مسرب المعلومات حفاظاً على عائلة ميخا. لم يقتنع ميخا بذلك الكلام وأصر على سيرغي أن يبوح بالاسم فوراً وإلا تعرض لغضبه.

لم يجد سيرغي بداً من الاعتراف الكامل بكل ما يعرفه عن الأمر، فقد كانت أمانته على المحك وكان عليه أن يدافع عن نفسه.

أخبر سيرغي ميخا أنه في الفترة الأخيرة بات يلاحظ سلوكاً غريباً في الشركة بعد انقضاء ساعات العمل، وأنه انتبه لهذا الأمر بالصدفة البحتة، فقد أخبره أنه في إحدى الليالي وبعد انقضاء ساعات العمل بفترة طويلة وبينما كان منهمكاً في إعداد أحد التقارير ليسلمها له في الصباح التالي، فوجئ بجلبة في مكتب ميخا فهب مفزوعاً لتفقد الأمر، ودهش عندما رأى تتيانا زوجة ميخا تعبث بأحد الملفات الموضوعة على المكتب. لاحظ سيرغي الارتباك الواضح الذي أصاب تتيانا عندما رأته، كان من الواضح أنها كانت تظن أنها متواجدة بمفردها في الشركة. تلعثمت تتيانا عندما حياها سيرغي وعرض عليها المساعدة، وأخبرته أنها

Twitter: @alqareah

فقدت قرطها في المكتب قبل يوم عندما زارت زوجها في الشركة وأنها جاءت الآن لتبحث عنه ولكنها لم توفق، وأخبرته أنها باتت تظن الآن أنها ربما تكون قد فقدته في مكان آخر، ثم طلبت منه ألا يخبر ميخا بالأمر لألا ينزعج وخاصة أن القرط كان هدية منه في عيد زواجهما الأخير. لم تسمح تتيانا لسيرغي بالرد واكتفت بأن شكرته وغادرت المكتب سريعاً. أخبر سيرغي ميخا أنه صدق زوجته في تلك الليلة، وقرر أن لا يعلمه بما حدث كي لا يتسبب في مشكلة عائلية.

أكمل سيرغي بأن أخبره أنه كان على وشك أن ينسى الأمر تماماً، لولا تكرار الحادثة في الليلة السابقة لاعتداء لينا على أختها. في تلك الليلة كان يعمل لوقت متأخر، وعندما انتهى من عمله وقبل أن يغادر مكتبه قام وكما اعتاد في كل ليلة بمراجعة سريعة لكاميرات المراقبة الموزعة في أماكن مختلفة من الشركة، وهكذا شغل البرنامج المسئول عن عرض ما تصوره شاشات المراقبة، وأخذ ينتقل من كاميرا الى أخرى، قبل أن يفاجئ بوجود شخص ما في غرفة الأرشيف. قام بتكبير الصورة فوجد أن ذلك الدخيل لم يكن سوى تتيانا مجدداً، وكانت تحمل في يديها بعض المستندات وتتكلم بهاتفها المحمول. شعر سيرغي بالريبة وقرر التصرف سريعاً.

أخبر سيرغي ميخا أنه انتظر في تلك الليلة الى أن غادرت تتيانا الشركة، فخرج هو بعدها وقد عزم أن يبوح لمديره بكل ما رآه في صباح اليوم التالي في أول فرصة. من سوء الحظ فقد انشغل الجميع في اليوم التالي بحادثة اعتداء لينا على شقيقتها كاتيا، ولم يتسنى لسيرغي إخبار ميخا بما حدث في تلك الليلة، ومضت الأيام ثم قرأ الجميع ذلك المقال المشئوم. أخبر سيرغي ميخا أنه وبمجرد قراءته للخبر تذكر رؤية تتيانا في المكتب وأصبح شبه متأكد أنها كانت المسئولة عما حدث.

Twitter: @alqareah

شعر ميخا بدهشة كبيرة لكلام سيرغي، فهو لم يخطر بباله أبداً أن يكون لزوجته ضلع في تسريب هذه المعلومات، وخاصة أنه يعرف أنها كانت معزولة تماماً عن أعماله ولا تفقه فيها شيئاً، كما أنه لم يكن واثقاً من وجود الدافع لديها للقيام بعمل كهذا.

عنف ميخا سكرتيره عن إخفاء هذه المعلومات كل هذا الوقت، فأخبره سيرغي أنه كان يعرف بتوتر علاقة ميخا بزوجته وابنته لينا، ولكنه شعر بأن الأمور تغيرت بشكل كبير بعد حادثة الاعتداء وأحس أن الظروف كانت مواتية في ذلك الوقت للإصلاح وليس الإفساد، لهذا قرر التغاضي عما رآه أملاً في أن ما حصل لم يكن ألا غيمة صيف مرت بسلام، وأن العلاقة بين ميخا وزوجته وبناته كانت تسير نحو الاستقرار. إضافة لذلك أقر سيرغي بوجود سبب آخر دفعه أيضاً لإخفاء ما سمعه، فقد شعر بالخوف والرهبة عندما علم من المقال بعلاقة ميخا بالمخابرات الإسرائيلية، وفضل عدم التدخل في أمر قد تكون عواقبه وخيمة، وخاصة بعد انتشار خبر مقتل الصحافي. لقد آثر أن يكون بعيداً عن هذا الموضوع الشائك، ولولا أن ميخا دفعه دفعاً ليعترف بعد أن شك في أمانته وظنه المسئول عن تسريب المعلومات، لما باح بما شاهده أبداً.

أنهى ميخا المكالمة بدون أن يعبر لسيرغي عن ردة فعله لما سمع، أو يبين له فيما إذا كان قد صدقه أم لا.

كان على ميخا أن يعيد التفكير في كثير من الأمور، فقد كانت الصدمة كبيرة وكان بحاجة الى وقت لاستيعابها. فهو لا يزال لا يعرف السبب الذي دفع زوجته للبحث في ملفاته وتسريب أسراره للصحافة، فهل كان ذلك بدافع الحصول على مبلغ كبير من المال مثلاً؟ ولكنه لم يبخل عليها مطلقاً وكانت تحصل على كل ما تطلبه. هل فعلت ذلك بدافع الانتقام؟ ولكن الانتقام من ماذا ولماذا؟ والأهم من ذلك كيف

Twitter: @alqareah

استطاعت فتح خزنته الخاصة وكيف عرفت بمكان وجودها أصلاً. لقد كان لديه الكثير من الأسئلة التي لا يجد لها إجابة.

أدرك ميخا أن سيرغي بات متيقناً الآن من أن علاقات مشبوهة تربط مديره بالمخابرات الإسرائيلية، وخاصة عندما أخطأ ميخا وانفجر في وجهه متهماً إياه بتسريب البيانات، ولم يدر في لحظة الغضب تلك أنه كان يقدم اعترافاً ضمنياً بصحة المعلومات التي نشرت في المقال.

تمنى ميخا أن لا تكون المعلومات التي باح سيرغي بها له قد وصلت بطريقة ما الى الموساد، لأن ذلك سيكون بمثابة إصدار شهادة وفاة لزوجته وسكرتيره، وهو أمر لا يريده بطبيعة الحال، فرغم كل شيء فقد كان سيرغي محقاً بأن علاقته بزوجته تحسنت كثيراً في الآونة الأخيرة، وسيحزن بكل تأكيد إن أصابها مكروه، كما أن موقف سيرغي يؤكد إخلاصه الشديد وحبه له وحرصه على راحة باله. لقد قرر ميخا أن يكافئ سكرتيره مكافأة كبيرة ليعوضه عن شكه به بعد أن يتأكد من صحة المعلومات التي نقلها له.

قرر ميخا أن لا يفاتح زوجته بهذا الأمر الى أن يعودا الى موسكو، وهناك سيكون باستطاعته فهم ما حصل بالتفصيل في جو هادئ. لم يستطع في حقيقة الأمر نفي احتمال أن يكون التحسن في علاقته مع زوجته مرتبطاً برغبة تتيانا بإبعاد الشبهة عنها. قرر ميخا أن يرجئ التفكير في هذا الموضوع الى حين لقائه شخصياً بزوجته.

Twitter: @alqareah

الفصل العشرون

خطوات جريئة

كان الوقت يمثل عاملاً حاسماً بالنسبة لجواد، فقد بات الآن متيقناً من أن ملفات الفرق وتقارير اللجنة الأمنية قد وصلت بالفعل الى أيدي المدير، ولم يتبقى إلا احتمال ضئيل أن لا يكون قد قرأها بالفعل. رفض جواد أن يستسلم بسهولة، وقرر أن يبذل كل ما في استطاعته للتأكد فيما إذا قام برينسكي بالإطلاع على الملفات أم لا.

بعد أن فشلت محاولات الاختراق التي قام بها جواد للوصول الى الملفات على جهاز الآيباد الخاص ببرينسكي، وبعد أن عرف أن برينسكي موجود حالياً في دبي، قرر في لحظة حماس متهورة أن يتوجه بنفسه الى المكان الذي يسكن فيه المدير، ليحاول أن يكمل ما بدأه هناك.

لقد كانت خطة جواد تقتضي باختراق جهاز الحاسوب الذي يقوم برينسكي باستخدامه لتحديث الملفات على جهاز الآيباد، فوفقاً لخبرة جواد فإن جهاز الآيباد مثله مثل الآيفون لابد من ربطه بجهاز حاسوب يشغل برنامج اسمه iTunes مهمته تحديث نظام الآيباد وأخذ نسخة احتياطية من الملفات والبرامج التي يخزنها ونقل الصور والملفات الصوتية والفيديوية وغيرها من الحاسوب الى ذاكرة الآيباد. إذاً فقد كان جواد متيقناً من ضرورة وجود حاسوب في شقة برينسكي أو المكان الذي يسكن فيه. حاول جواد أن يخترق هذا الحاسوب عن بعد، وافترض

Twitter: @alqareah

أن يكون متصلاً بنفس الشبكة التي ينتمي إليها جهاز الآيباد ولكنه تفاجأ عندما لم يتمكن من اكتشاف عنوانه على شبكة الانترنت، وبالتالي لم يكن لدى جواد أي وسيلة للوصول إليه، سوى الذهاب بنفسه الى المكان الذي يوجد فيه ذلك الحاسوب ويحاول اختراقه من هناك. لقد كان جواد واثقاً أنه إن تمكن من اختراق ذلك الحاسوب فسيسهل عليه الوصول الى محتويات جهاز الآيباد وبالتالي اكتشاف ما حل بالملفات، ومحاولة استبدالها إن أسعفه الوقت.

لقد كان جواد مدركاً أن خطته محفوفة بالمخاطر، وأن احتمال نجاحها ضئيل للغاية، ولكنه مع ذلك قرر المضي قدماً لتنفيذها. لقد استطاع أن يعرف من عنوان IP الخاص بجهاز الآيباد أن مقدم خدمة الانترنت في المنطقة التي يتواجد فيها برينسكي هو شركة دو المنافسة لشركة اتصالات. من المعلوم لدى العاملين في مجال تقنية المعلومات في دبي أن شركة دو مسئولة عن تزويد المناطق الجديدة من دبي بخدمة الانترنت، وبهذا استنتج جواد أن شقة برينسكي تقع ضمن المناطق الجديدة، ولكن ذلك لم يكن كافياً، فهو بحاجة الى معرفة العنوان بشكل دقيق.

قرر جواد البحث في الرسائل البريدية الالكترونية الخاصة ببرينسكي عن أي رسالة ترد فيها كلمة دبي لعله يجد عنوان الشقة فيها. وهكذا قام بإجراء بحث في البريد الشخصي وبريد العمل في نفس الوقت.

حصل جواد من نتيجة البحث على مجموعة من ثلاثين رسالة تحتوي كلمة دبي بالانجليزية على افتراض أن العنوان سيتم كتابته بالانجليزية على الأغلب، أخذ يتصفحها سريعاً بعد أن طلب من محرك البحث أن يقوم بتعليم كلمة دبي في الرسائل. لم يقم هذه المرة بترجمة الرسائل فلم يكن لديه الوقت لقراءتها، وكان يتمنى أن يتمكن من التعرف

Twitter: @alqareah

على العنوان بدون الحاجة لترجمة.

بعد أن انتهى جواد من تصفح الرسائل وجد ثلاثاً منها تحتوي عناوين مختلفة في إمارة دبي، كان أحدها يقع في منطقة ديرة وهي قلب مدينة دبي القديمة، كان جواد مدركاً أن هذه المنطقة تقع تحت إدارة شركة اتصالات وبالتالي أهمل هذا العنوان. كان العنوان التالي يشير الى منطقة مدينة دبي للانترنت وهي منطقة خاصة بالشركات التي تعمل في مجال تقنية المعلومات، وهي تقع ضمن حدود دبي الجديدة وبالتالي كانت شبكاتها تقع تحت مسئولية شركة دو. انتقل جواد الى العنوان الأخير فوجد أنه يشير الى منطقة جميرا بيتش ريزيدنس وهي منطقة سكنية راقية تطل على البحر، وتقع أيضاً تحت إدارة دو. كان على جواد أن يعرف الى أي هذين العنوانين عليه أن يتوجه. خمن جواد الى أن برينسكي سيقوم على الأغلب باستخدام حاسوب المنزل ليوصل جهاز الآيباد به وينقل ملفاته الخاصة منه وإليه، وهكذا يكون العنوان السكني هو العنوان المرجح.

لمزيد من الاطمئنان قام جواد بترجمة الرسالة التي ورد فيها العنوان السكني، وتبين له أنها رسالة موجهة من زوجة برينسكي تخبره بعنوان شقتهما في دبي وتتمنى له قضاء وقت ممتع هناك. بات جواد الآن متيقناً من العنوان الذي يجب عليه التوجه إليه، وكان عليه التحرك سريعاً.

تذكر جواد أن سالم يقطن في شقة قريبة من العنوان الذي بين يديه. تمنى جواد لو كان باستطاعته أن يخبر سالم بكل ما حصل، عله يقدم له يد العون في مهمته الأخيرة. كان جواد يخشى أن يثنيه سالم عن المضي قدماً فيما عزم على القيام به، وخاصة أن المخاطرة هذه المرة قد انتقلت الى مستوى آخر تماماً، فالمهام السابقة كان جواد يقوم بها متخفياً في منزله من على بعد آلاف الأميال عن هدفه، أما الآن فعليه

Twitter: @alqareah

أن يقوم بنفسه باقتحام محل إقامة الهدف، والعبث بجهازه.

بعد تفكير قرر جواد أن يخبر سالم بما جرى وليكن ما يكون، فسالم يعرف المنطقة جيداً كما أنه يتمتع بقدرة عجيبة على التخطيط، وهو الى جانب ذلك يحب المغامرة.

اتصل جواد فوراً بسالم وقص عليه ما حدث معه بالتفصيل مع اختصار المعلومات التقنية قدر الإمكان، وأخبره بما عزم عليه.

صمت سالم برهة محاولاً استيعاب ما سمعه للتو. ظن جواد أن صمت سالم وعدم تعليقه على الأمر كان ناتجاً عن استهجانه للفكرة ورفضه لها.

نطق سالم أخيراً وهل لديك خطة واضحة لما تود فعله بالضبط عندما تصل الى الشقة؟

في الحقيقة لقد اتصلت بك خصيصاً من أجل ذلك، فأنت تعرف المنطقة أكثر مني أجاب جواد، وقد بدأ يشعر ببصيص من الأمل يتسلل الى قلبه.

حسناً، لا تتحرك من مكانك. سأحضر إليك الآن لآخذك معي بالسيارة الى الحي الذي توجد فيها الشقة، وسنفكر سوياً في خطة مناسبة لنعتمدها بشكل عاجل، فكما فهمت منك فكل ثانية تمر تقلل من فرصتنا في استبدال الملفات في الوقت المناسب، هذا على افتراض أن المدير لم يقم بالإطلاع عليها وقراءتها بالفعل.

تجهز جواد وانتظر قليلاً، وما هي إلا دقائق ورن هاتفه المحمول ليخبره سالم أنه بات ينتظره أمام مدخل بنايته.

صعد جواد الى الكرسي المجاور لكرسي السائق في السيارة التي انطلق سالم بها سريعاً.

أخبرني الآن ما الذي تود فعله بالضبط؟ التفت سالم الى جواد،

Twitter: @alqareah

ثم عاد لينظر الى الطريق أمامه.

خطتي المبدئية تتمثل في الاقتراب من شقة برينسكي بقدر كافي، من غير أن أدخلها، حيث سأحاول اختراق شبكته اللاسلكية التي أخمن أنها موجودة هناك لأنه سيحتاجها لإمداد حاسوبه المحمول وجهاز الآيباد بالانترنت.

قاطعه سالم وكيف ستخترقها بدون أن تدخل الى الشقة؟

عادة يمتد بث الشبكات اللاسلكية مسافة كافية لتغطية طابق بأكمله، لهذا أستطيع ببساطة أن أقف في ردهة الطابق أو أتخفى بالقرب من السلالم، وأقوم باختراقها من هناك.

حسناً وما الذي ستستفيده من اختراق الشبكة اللاسلكية؟

هدفي هو الوصول الى جهاز الحاسوب الذي يقوم برينسكي بتوصيل جهاز الآيباد إليه. لقد اكتشفت أنه معزول عن شبكة الانترنت ربما لأسباب أمنية، ولكني أعتقد أنه متصل لاسلكياً مع باقي الأجهزة في الشقة، وهذا ما علي اكتشافه، فإن صدق حدسي، فسأتمكن بعد اختراقه من الوصول عن طريقه الى ملفات الآيباد والتعرف على العمليات التي أجريت على ملفات الفرق وفيما إذا تمت قراءتها أم لا.

أفهم من ذلك أن المطلوب الآن هو أن تصل الى الطابق الذي تقع فيه الشقة، لتحاول القيام بما أخبرتني به الآن حاول سالم جاهداً أن يفهم ولو بشكل تقريبي ما ينوي جواد القيام به.

بالضبط، ولكن هل تعرف المنطقة بشكل جيد وطبيعة إجراءات الأمن المعمول بها في البناية؟ سأل جواد بينما كان سالم يبطئ من سرعة السيارة تدريجياً ثم يهبط بها الى ساحة واسعة مكشوفة تستخدم كموقف للسيارات وقريبة من شاطئ البحر.

لقد وصلنا أعلن سالم عندما توقفت السيارة بشكل كامل، ولكنه لم

Twitter: @alqareah

يقم بإيقاف تشغيل المحرك، وذلك لرغبته في البقاء في السيارة لبعض الوقت للاستفادة من الجو المكيف فيها، هرباً من الرطوبة العالية ودرجة الحرارة المرتفعة في الخارج.

أنا أعرف المنطقة بشكل جيد فهي من أشهر المناطق السياحية في المدينة، وقد اعتدت التنزه فيها بشكل يومي مع زوجتي في فصل الشتاء، أما الآن ومع ارتفاع درجة الحرارة، فقد قلت زياراتنا بشكل كبير. لقد سبق لي أن تشاركت بالسكن مع بعض موظفي شركتنا في إحدى الشقق في هذا الحي قبل أن أتزوج، لهذا فأنا أعرف الإجراءات الأمنية المعمول بها هنا بشكل دقيق. بالمناسبة هل تعرف أن المغنية سوزان تميم قد قتلت في هذا الحي في إحدى هذه الشقق المطلة على البحر؟ أشار سالم بيده من وراء النافذة الى مجموعة من الأبراج الشاهقة التي تطل على البحر.

بدت الدهشة على وجه جواد لقد سمعت بجريمة القتل ولكني لم أعرف أنها حدثت هنا تحديداً.

حسناً دعنا من سوزان تميم ولنعد الى جريمتنا الخاصة ابتسم سالم ثم أكمل وفقاً للعنوان الذي أخبرتني به، فإن الشقة تقع في المجمع السكني الذي يطلق عليه صدف، وهو المجمع الذي يتوسط بين المجمعين السكنيين مرجان وبحر. أما بخصوص الإجراءات الأمنية المعمول بها هنا فهي واحدة على امتداد الحي السكني بأكمله، ولكي تكون ملماً بما يجب عليك فعله لاجتناب لفت الأنظار إليك أو إثارة ريبة الحراس، علي أن أشرح لك بالتفصيل مداخل ومخارج الحي، وأماكن تمركز الحراس وكاميرات المراقبة وحالة الأقفال الالكترونية وأماكن استخدامها. من حسن الحظ فأنا ملم بكل هذه التفاصيل وكنت كثيراً ما أتندر مع أصدقائي حول الإجراءات الأمنية هنا وكيف أنه من السهل

Twitter: @alqareah

تجاوزها، بعكس ما تدعيه الشركة الأمنية المسئولة عن حماية الحي.

أنصت جواد باهتمام بالغ، وأحس بالراحة لأنه قرر الاستعانة بسالم، فمن الواضح أنه بمفرده ما كان ليتمكن من تنفيذ ما خطط له.

بداية هناك عدة طرق للدخول الى أي بناية في الحي:

أولاً: بالسيارة عبر بوابة الطابق الأرضي من الجهة الخلفية للمبنى. هذا المدخل مخصص لسكان الحي، وهو محروس بشكل جيد، ولكن أحياناً من الممكن أن يتغاضى الحارس فيدخل بعض الزائرين إن أخبروه برقم الشقة التي يتوجهون إليها. في الداخل جميع الأبواب المؤدية الى المصاعد مراقبة بالكاميرات، ويتم إغلاقها الكترونياً وتحتاج الى بطاقة خاصة الى فتحها، أما من لا يملك بطاقة فباستطاعته أن يقوم بضرب الرقم 100 متبوعاً بإشارة الجرس على لوحة المفاتيح المثبتة بالقرب من الباب، وعندها سيقوم أحد حراس البناية الذي يشاهد كاميرا المراقبة بفتح الباب له، بدون أن يضطر الزائر أو الدخيل الى أن يفصح عن هويته في أغلب الأحيان، حيث يكفي أن يكون مظهر الداخل الى البناية لا يثير الريبة ليسمح له بالدخول. أحياناً كثيرة تترك هذه الأبواب مفتوحة من غير حسيب أو رقيب.

ثانياً: بالسيارة عبر بوابة طابق الميزانين، وهو مخصص للزوار، ولا يتمتع بأي حراسة، ولكنه مراقب بكاميرات تصوير موزعة في عدد من الأماكن. وحالة الأبواب في هذا الطابق مشابهة لمثيلاتها في الطابق الأرضي.

ثالثاً: مشياً على الأقدام من الطابق الأرضي من الجهة المطلة على البحر، حيث تؤدي الأبواب المشرعة على مصراعيها الى مصاعد تنقل الزوار والسكان الى طابق البلازا، وهو الطابق الذي يلي طابق الميزانين، حيث يستطيعون بعدها التجول في المنطقة المشجرة بين المباني أو

Twitter: @alqareah

التوجه الى المدخل الرئيسي للبنايات حيث يجلس حارس في بهو كل بناية يفترض به أن لا يسمح للزوار بدخول البناية والصعود في المصعد قبل التعريف بأنفسهم وتحديد وجهتهم والتوقيع بأنفسهم على دفتر الزوار، ولكن لا يتم الالتزام بذلك دائماً. أما الثغرة الأمنية في هذا المدخل والتي أنصح باستغلالها، فتتمثل في أن المدخل الأرضي المطل على البحر متصل بموقف السيارات في الجهة الخلفية للمجمع عن طريق باب مفتوح طوال الوقت يفصل بين جهتي المجمع، مما يعني أن الدخيل يستطيع بسهولة الدخول من الباب المطل على البحر، وهناك وبدلاً من الصعود بالمصعد الذي يتوقف في طابق البلازا، فإنه يتسلل الى موقف السيارات ويبحث عن رقم البرج المطلوب وهناك سيجد عدة مداخل لكل برج، حيث يؤدي كل مدخل الى مصاعد مخصصة لقسم معين من البرج. يستطيع الدخيل أن يبحث بينها عن أحد الأبواب المفتوحة ثم يصعد الى الطابق المطلوب، فإن وجد جميع الأبواب مغلقة فإنه يستطيع ببساطة طلب الرقم 100 متبوعاً بعلامة الجرس، فيفتح له الحارس بصدر رحب معتقداً أنه ما دام أن الشخص الذي يحاول الدخول موجود في الطابق الأرضي فهذا يعني أنه قد مر بسيارته على حراس البوابة وسمحوا له بالدخول، وهكذا لن يتردد في فتح الباب.

من حسن الحظ فجميع الأقسام في كل برج متصلة ببعضها البعض وبالتالي إن استطعت النفاذ الى أحدها، والتوجه الى الطابق المطلوب، فإنك من هناك تستطيع التنقل بين الأقسام عبر الممرات بكل سهولة، الى أن تصل الى الشقة المطلوبة في القسم المناسب.

لقد لاحظت أن الإجراءات الأمنية هنا بشكل عام تعتمد على إمكانية التعرف على الجاني بعد ارتكابه للجريمة بمراجعة تسجيلات كاميرات المراقبة، أما إجراءات الردع فهي ضعيفة للغاية.

Twitter: @alqareah

هـذا بالنسـبة لطـرق الولـوج الـى الأبـراج، فإذا اسـتطعت الدخول بنجاح، فعليك الانتباه الى أن جميع ردهات المصاعد في جميع الطوابق مراقبـة بالكاميـرات، لهـذا لـن تتمكن بسـهولة من الجلوس هناك والقيام بعملك لأنك ستكون مكشوفاً للحراس، وللسكان أيضاً.

لم يفسح سالم المجال لجواد ليسأل عن كيفية تجاوز هذه العقبة، فقـد تابـع كلامـه قائـلاً: تسـتطيع أن تختفـي عن عيـون كاميرات المراقبة بالاختفـاء فـي الممـرات التـي تفصـل بين الأقسـام في الأبراج السـكنية، فهذه الممرات غير مراقبة ونادراً ما يدخلها أحد، كما أنها ليست بعيدة عن مداخل الشقق وبالتالي أتوقع أن يصلها البث اللاسلكي بسهولة.

هل نستطيع القيام بهذه المهمة الآن؟ سأل جواد وقد بلغ الحماس لديه مداه.

أنا أدرك أنك تود إنجاز المهمة في أقرب وقت ممكن لأن كل ثانية تمر تزيد من احتمال أن يكون السـيد برينسـكي قد اطلع على الملفات والتقارير المرفقة بها، ولكن مع ذلك لابد لنا من توخي الحذر والقيام بـكل خطـوة بشـكل محسـوب. أقتـرح أن نؤجـل تنفيـذ المهمة الى الغد في الفترة ما بين الساعة الواحدة والثانية ظهراً، وهو الوقت الذي يأخذ فيـه الحـراس راحتهـم ويتناولـون غداءهـم، ومع أنهم لا يتركون أماكنهم فـي هـذا الوقـت إلا أنهـم ينهمكـون في تناول الطعـام ولا يدققون النظر كثيراً في شاشـات المراقبة، وقد لاحظت ذلك مراراً عندما كنت أخرج من مكتبي القريب من محل سـكني لأتناول الطعام في شـقتي، وهكذا تستطيع أن تدخل وتخرج دون أن يشعر بك أحد.

شعر جواد بشيء من الإحباط، فقد تمنى تنفيذ المهمة على الفور، وكان مدركاً أنه لن يغمض له جفن هذه الليلة لأن عقله سيكون مشغولاً في تخيل السيناريوهات المختلفة لما قد يحدث في الغد. في نفس الوقت

Twitter: @alqareah

كان واعياً الى ضرورة أن ينفذ تعليمات سالم بحذافيرها، وأن يحمل تحذيراته محمل الجد، ولهذا أومأ برأسه موافقاً على اقتراح التأجيل الى الغد.

اتفق الاثنان على أن يحضرا سوياً في الغد في تمام الساعة الواحدة وخمس دقائق ليباشرا العمل فوراً، أو بالأحرى ليقوم جواد بتنفيذ المهمة بمفرده أما سالم فستكون مهمته الوحيدة هي أن يدل جواد على المدخل الذي يفترض به الدخول منه ثم انتظاره في أحد المقاهي القريبة ريثما ينتهي من عمله ليقله بعدها الى منزله.

قضى جواد ليلته في محاربة الكوابيس التي انقضت عليه بمجرد أن أغمض عينيه، فتارة يرى نفسه وقد نجح في اختراق حاسوب برينسكي ولكن ليفاجأ أن الملفات قد قُرئت وانتهى الأمر، وتارة أخرى يرى نفسه منهمكاً في محاولة الاختراق عندما يندفع الحراس وبصحبتهم رجال الشرطة ليقبضوا عليه متلبساً. كان في كل مرة يثب من نومه فزعاً معتقداً أن ما رآه كان حقيقة ليفاجأ أنه موجود في شقته ومستلق على سريره، فتهدأ نفسه وتقر عينه ولو مؤقتاً فيعود الى النوم، ليبدأ كابوس جديد بتسلم زمام أحلامه.

استيقظ لأداء صلاة الفجر وقرر عدم العودة مجدداً الى النوم، فقد أخذ كفايته من الأحلام المزعجة.

أعد لنفسه كوباً من القهوة الممزوجة بالحليب، وأشعل سيجارة أخذها من علبة وجدها على المنضدة القريبة من سرير زميله في الشقة، والذي عانى هو الآخر من صيحات الفزع التي كان جواد ينهي بها وصلات كوابيسه.

لم يكن جواد مدخناً متمرساً، وكانت أول مرة يدخن فيها عندما صدته الفتاة التي أحبها في العمل. ومنذ ذلك الوقت وهو يدخن كلما

Twitter: @alqareah

أحس بالتوتر أو الضغط النفسي، ولكنه يرفض أن يعتبر نفسه مدخناً، وفي كل مرة ينتهي من سيجارته يعقد العزم على عدم العودة إليها. لقد كان من أشد المحاربين لعادة التدخين عندما كان في الجامعة، والآن يشعر بنفسه وكأنه ارتكب جرماً كلما امتدت يده لتشعل سيجارة، وتراه وهو يحاول الإسراع في استنشاقها ثم إلقائها كمن يرتكب ذنباً ويسارع في التخلص من آثاره أملاً في أن لا يؤدي فعله الى انخفاض مؤشر إيمانه.

استيقظ زميل جواد على صوت المنبه الذي عيره ليوقظه في الوقت المناسب للذهاب الى العمل، وحاول أن يستفسر عن سبب الكوابيس التي كانت مسيطرة على رفيقه طوال الليل، ولكنه لم يحصل إلا على جواب مكون من كلمتين أضغاث أحلام. كان أحمد يلاحظ تغيراً في سلوك صديقه وانهماكه المبالغ فيه في عمل مجهول. في البداية كان يظن أن جواد منهمك في القيام بمهام تخص العمل في الشركة، ولكنه فوجئ قبل أيام عندما سمع مديرهم في العمل وهو يسأل جواد عن سبب تأخره في تنفيذ المهام التي طلبها منه. لم يستطع أحمد تفسير ما يحصل مع جواد وبأي شيء قد شغل نفسه، ولكنه تمنى في قرارة نفسه ألا تكون قصة حب جديدة ورط جواد نفسه فيها.

خرج أحمد الى عمله واقترح على جواد أن يقله معه. لقد اعتاد جواد أن يذهب الى العمل مشياً على الأقدام، ولكنه أحياناً كان يذهب بالسيارة مع زميله. أخبر جواد رفيقه أنه سيذهب الى العمل هذا اليوم في وقت متأخر. لقد كان الجميع في الشركة يدرك أن جواد هو الوحيد الذي لديه الصلاحية بالذهاب الى العمل في أي وقت والخروج منه في أي وقت، فقد سمح مديره له بالتمتع بهذه الامتيازات عندما شاهد تفانيه في العمل وقضائه ساعات طويلة متواصلة لتنفيذ المهام التي توكل إليه، والتي لا توكل إليه ويتطوع لتنفيذها بصدر رحب.

Twitter: @alqareah

أحس جواد بالجوع، ولكنه قرر تأخير إسكاته ريثما ينتهي من تنفيذ مهمته، فجواد من أولئك الأشخاص الذين يسبب التوتر لهم الإسهال، وهو بالتأكيد ليس بحاجة في هذا اليوم الى أن يضطر لزيارة دورة المياه وهو منهمك بتنفيذ عمله الخطر.

حضر سالم قبل نصف ساعة من الموعد ليقل جواد معه، وأبدى إعجابه بأناقة الأخير وحسن هندامه. في الحقيقة كانت هذه المرة الأولى التي يرى سالم فيها صديقه مرتدياً ملابس رسمية. توجها سوياً الى الحي السكني الراقي، وهناك ركن سالم سيارته في نفس الموضع الذي توقفا فيه بالأمس. خرجا معاً من السيارة عندما أشارت ساعة يد سالم الى الواحدة ظهراً. كان الجو شديد الحرارة في ذلك اليوم الصيفي، مما فسر تصبب عرقهما، وإن كان لدى جواد سبب إضافي لتصبب العرق، فقد كان مقدماً على مهمة محفوفة بالأخطار رغم ما أخذاه من احتياطات.

توجه الاثنان مشياً على الأقدام نحو قسم صدف من الحي السكني، وهناك أشار سالم بيده الى مدخل المجمع السكني، وافترق عن جواد الذي دخل بعد أن فتح الباب وكان موصداً بدون قفل. جلس سالم في مقهى ستاربكس القريب من المدخل، وأخذ يدعو الله في سره أن لا يكتشف أمر جواد.

لم يكن سالم يحب تناول القهوة في هذا المقهى، ليس لما يشاع من أن صاحب هذه السلسلة من المقاهي العالمية هو يهودي متعصب قد اختار لمقهاه شعاراً يمثل صورة للملكة اليهودية إستر، وإنما لأنه ببساطة كان يستمتع أكثر بالقهوة التي يعدها المقهى المنافس كاريبو.

وجد جواد المصعد الذي نبهه سالم الى عدم الصعود به لأنه سيأخذه الى طابق البلازا، وبدلاً من ذلك بحث عن الباب المؤدي الى موقف السيارات في الجهة الخلفية للمجمع السكني، ووجده مفتوحاً

Twitter: @alqareah

فولـج منـه الـى الناحيـة الخلفيـة مـن الطابق الأرضي فـي مجمع صدف السـكني، وهنـاك لاحـظ وجـود عـدد كبير من السـيارات قد توزعت في مجموعات متمركزة حول مداخل الأبراج. كان العنوان الذي يحمله يشير الـى البـرج رقـم خمسـة، وهكـذا مشـى جواد بين مجموعات السـيارات بحثـاً عـن البـرج المطلـوب. مـن حسـن الحـظ فقد كانت أرقـام الأبراج مكتوبة بخط كبير يسـهل رؤيته من بعيد، وبالتالي يسـتطيع جواد التوجه إليه مباشرة بدون أن يثير ريبة أحد. تابع جواد التسلسل الرقمي المفرد للأبـراج فتجـاوز صـدف 1 ثـم صـدف 3 وتوقـف أمـام صدف 5. لاحظ جواد وكما وصف سـالم أن البرج كبير ولديه عدة مداخل، توجه أولاً الـى المدخـل الرئيسـي فوجـده مغلقـاً، حـاول أن يعبث في جيوبه ليظهر وكأنـه يبحـث عـن بطاقـة فتـح الباب، وذلك من باب الاحتياط فقط، كي لا يثير الريبة إن كان أحد الحراس يقوم بالمراقبة في تلك اللحظة.

تراجع جواد ودار حول البرج نحو المدخل الثاني، وهناك شـاهد أحد العمال يدخل الى المبنى فتبعه ودخل قبل أن يوصد الباب.

دخل جواد الى المصعد خلف العامل وانتظر الى أن ضغط الأخير على زر الطابق العاشر، فضغط جواد بدوره على الزر الذي يحمل الرقم 35، وما أن توقف المصعد وخرج العامل حتى قام جواد بإعادة الضغط على زر الطابق الخامس والثلاثين لإلغاء الأمر بالتوجه إليه، وهي ميزة متوفرة في المصاعد الحديثة، ثم ضغط على زر الطابق السابع والأربعين، وهو الطابق الذي توجد فيه الشقة وتحتل شطر الطابق.

توقـف المصعـد عنـد الطابـق الأخير وخرج منه جواد وهو يحاول أن يتمالك نفسه وان يتصرف بشكل طبيعي كي لا يجلب الأنظار. لفت نظره نصف كرة سوداء اللون معلقة في السقف استنتج فوراً أنها كاميرا مراقبة، فصرف نظره عنها.

Twitter: @alqareah

وجد في ذلك القسم شقة واحدة تحمل الرقم 4702. كان بحاجة ليجد الشقة رقم 4701، وهكذا بحث عن الباب المؤدي الى القسم الآخر من الطابق وعبره الى ممر طويل لم يكن مراقباً بالكاميرات، تماماً كما وصف سالم، وفي نهايته وجد باباً فتحه ليجد نفسه في قسم آخر شبيه بالقسم السابق، ولكن كانت الشقة الوحيدة فيه تحمل الرقم 4701. لقد وصل أخيراً.

في هذه الأثناء كان سالم يشعر بالقلق ويخشى أن يفتضح أمر صديقه، وهكذا خرج من المقهى وتوجه الى المدخل الذي عبره جواد قبل قليل وصعد في المصعد نحو طابق البلازا، وهناك توجه مسرعاً نحو البرج رقم خمسة، فوجد مجموعة من الحراس يقفون أمام المدخل من الخارج يتناولون الطعام في الظل. أحس سالم بشيء من الطمأنينة، وقرر أن يساعد جواد بطريقته الخاصة فاقترب من الحراس وسلم عليهم، وادعى أنه مستأجر جديد سينتقل الى هذا الحي عما قريب، وأنه يود أن يسأل بعض الأسئلة عن طبيعة السكن هنا، والمواعيد التي يسمح بها باستخدام حمام السباحة، ثم أخذ يتذمر من أنه فوجئ عندما علم أن منطقة راقية مثل هذه لا تحتوي على نادي صحي أسوة بأغلب الأبراج الحديثة في مناطق أخرى، ثم أخذ يتنقل من موضوع الى آخر ليضمن وجود الحراس بعيداً عن شاشات المراقبة أطول فترة ممكنة.

كان جواد في هذه الفترة قد تعرف على الشقة المطلوبة ثم عاد ليختفي بعيداً عن أنظار كاميرات المراقبة في الممر الذي يفصل بين قسمي الطابق. أخرج حاسبه المحمول من حقيبته، ثم شغل نظام التشغيل لينوكس بنكهة أوبونتو وكان يفضله على الويندوز عند الرغبة بالقيام بعمليات اختراق، وخاصة عندما يحتاج الأمر الى كسر حماية شبكة لاسلكية، حيث تتوفر العديد من الأدوات التي تعمل تحت نظام لينوكس

Twitter: @alqareah

في هذا المجال.

كان عليه أن يتأكد أولاً من وصول بث الشبكة اللاسلكية في شقة برينسكي الى حيث يقف في الممر. طبعاً هذا على افتراض أنه توجد شبكة لاسلكية أصلاً. قام بتشغيل البرنامج الخاص بالبحث عن الشبكات اللاسلكية المتاحة، فوجد شبكتين كانت إحداها تحمل اسم khan والأخرى mikha. لم يعرف جواد أن اسم ميخا هو تصغير لميخائيل، ولكنه كان متأكداً أن برينسكي لن يستخدم اسم خان لشبكته. وهكذا قرر جواد إن يتسلل الى الشبكة اللاسلكية ميخا. اكتشف أن الشبكة اللاسلكية المستهدفة مشفرة، وهو أمر متوقع وقد أعد العدة لكسر الحماية وفك التشفير، ولهذا الغرض قام بتشغيل برنامج aircrack والذي تتلخص مهمته في جمع أكبر قدر ممكن من البيانات المشفرة التي يتم بثها في الهواء، ثم مقارنتها والتعرف على النمط المستخدم في تشفيرها ومن ثم استخراج مفتاح فك التشفير. في غضون ربع ساعة كان البرنامج قد جمع مقداراً كافياً من البيانات واستطاع الوصول الى كلمة السر. أوقف جواد عمل البرنامج واستخدم كلمة السر للانضمام الى شبكة ميخا اللاسلكية.

ما إن أصبح جواد متصلاً بالشبكة حتى أجرى مسحاً على الأجهزة والحواسيب الأخرى المنضمة الى الشبكة. تبين له أن الشبكة اللاسلكية في شقة برينسكي تخدم عدداً من الأجهزة المختلفة من ضمنها جهاز كمبيوتر مكتبي يعمل بالنسخة الخاصة بالأعمال من نظام تشغيل ويندوز 7، جهاز كمبيوتر محمول يعمل بالنسخة المنزلية من نظام ويندوز 7، هاتف HTC يعمل بنظام تشغيل أندرويد. لقد اكتشف أن جميع هذه الأجهزة تتمتع باتصال بشبكة الانترنت. إذاً لماذا لم يتمكن من اختراق الحاسوب المسئول عن إدارة الآيباد عندما حاول فعل ذلك في شقته.

Twitter: @alqareah

ليستقصي الأمر قام بمقارنة عنوان IP الخاص بالجهاز المسئول عن توزيع الانترنت لاسلكياً في الشبكة، بالعنوان المرتبط بجهاز الآيباد والذي اكتشفه عندما كان يعمل في شقته. اكتشف أن العنوانين مختلفين تماماً وكأن جهاز الآيباد يتصل بالانترنت عن طريق شبكة مختلفة تماماً. كان الأمر محيراً بالفعل، حاول جواد أن يجمع مجدداً معلومات أكثر عن مميزات جهاز الآيباد الذي يستخدمه برينسكي، وقبل أن يشرع في ذلك تذكر معلومة هامة غابت عن ذهنه. لقد تذكر أن بعض موديلات جهاز الآيباد تتمتع بشريحة 3G وهي التي تسمح له بالاتصال بالانترنت عن طريق شبكة الهاتف المحمول. لقد فسرت هذه المعلومة كل شيء، فمن الواضح أن برينسكي كان يتصل بالانترنت باستخدام الآيباد عن طريق شبكة الهاتف المحمول، ويتصل بالانترنت في باقي الأجهزة عن طريق الشبكة اللاسلكية المتصلة بشبكة الانترنت المتوفرة في البرج، وهذا يفسر اختلاف عناوينها وعدم قدرة جواد على اختراق الحاسوب من منزله.

كانت مهمة جواد الآن التعرف على الجهاز الذي يستخدمه برينسكي لإدارة الآيباد. كان الاحتمال الأكبر من وجهة نظر جواد أن يكون الكمبيوتر المحمول هو الذي يستخدمه برينسكي لنقل الملفات الخاصة والصور والمقطوعات الصوتية الى جهاز الآيباد.

طوال ذلك الوقت كان جواد جالساً على الأرض ومسنداً ظهره الى الحائط وقد مد رجليه ووضع كمبيوتره المحمول على حضنه. لقد اختار زاوية منعزلة من الممر ليجلس فيها، وذلك كي يكون بعيداً عن الأنظار إن صادف مرور أحد العمال أو السكان عبر الممر بينما لا يزال هناك. كان مكانه المنعزل يمنحه بعض الوقت للنهوض والتحرك بشكل لا يثير الريبة. من حسن الحظ كان ذلك اليوم هادئاً ولم يفكر أحد في استخدام الممر.

Twitter: @alqareah

قرر جواد اختراق الكمبيوتر المحمول الموجود في الشقة، وهكذا قام بعمله المعتاد من إجراء مسح على المنافذ المفتوحة في النظام والتعرف على البرامج المشغلة فيه وأرقام إصداراتها ثم البحث في الانترنت عن ثغرات يمكن الاستفادة منها للتحكم في نظام التشغيل والوصول الى الملفات.

سر جواد كثيراً عندما عرف أن الحاسوب المستهدف يشغل برنامج iTunes، وهو البرنامج المخصص لإدارة جهاز الآيباد مما يؤكد أن حدسه كان صحيحاً، وسر أكثر عندما اكتشف أن البرنامج لم يتم تحديثه منذ فترة طويلة، وكان ذلك سبباً في عثوره على بعض الثغرات الأمنية فيه. لم تكن الثغرات كافية لمنح جواد القدرة على التحكم بالنظام ككل ولكنها كانت كافية له كي يتمكن من السيطرة على البرنامج والوصول الى ملفات جهاز الآيباد الذي يديره البرنامج ويحتفظ بنسخة احتياطية عن محتوياته.

استطاع جواد بعد أن استغل الثغرات في كسر حماية برنامج iTunes أن يحدد آخر مرة تم فيها مزامنة البيانات بين جهاز الآيباد والحاسوب المحمول. لقد اكتشف أن المزامنة تمت قبل ساعة واحدة فقط، مما يعني أن النسخة المحفوظة في الحاسوب لمحتويات الآيباد جديدة تماماً. كما اكتشف أن جهاز الآيباد كان لا يزال متصلاً بالحاسوب المحمول بوصلة USB. كان عليه الآن أن يبحث عن الملفات الخاصة بالفرق ويتعرف على العمليات التي أجريت عليها، وهكذا قام بتفحص الرسائل الالكترونية التي تمت مزامنتها ونسخت الى الحاسوب وبحث بينها عن الرسائل التي تحتوي على الملفات المطلوبة.

وجد الرسائل أخيراً ولكنه شعر بإحباط كبير عندما اكتشف أنها تمت قراءتها في نفس اليوم الذي وصلت فيه. ضرب بقبضته الحائط

Twitter: @alqareah

المجاور محاولاً التنفيس عما يشعر به من غضب. هل انتهى كل شيء؟ تساءل في نفسه. لقد كان متوقعاً هذه النهاية على أي حال، وكان مدركاً أن احتمال نجاحه ضئيل جداً.

وهكذا قرر النهوض والحسرة تملأ قلبه، وعزم على العودة الى سالم لإبلاغه بالأنباء المؤسفة. لقد تبخرت أحلامه فجأة، وضاع تعب الأشهر السابقة سدىً.

شيء ما كان لا يزال يشغل باله ويخبره أن الأمر لم ينتهي بعد. لقد أحس بوجود معلومة ما أو فكرة صغيرة قد توارت في إحدى زوايا عقله وبين طيات مخه، وأخذت تنغزه من هناك.

حاول أن يعتصر ذهنه ليخرج هذه الفكرة من مخبئها، عندما تذكر فجأة أمراً بديهياً غاب عن ذهنه تماماً كالعادة. لقد تذكر أن قراءة الرسالة الالكترونية لا تعني بالضرورة تحميل الملفات المرفقة بها. وهكذا عاد سريعاً لتفقد الرسائل من جديد وقلبه يكاد يقفز من مكانه من شدة الإثارة والتوتر. فتح أول رسالة وبحث عن الملف المرفق فوجد أن حالته تشير الى أنه لا يزال على السيرفر ولم يتم تحميله بعد الى جهاز الآيباد وإلا لظهر بين الملفات في النسخة الاحتياطية، انتقل الى الرسالة الثانية فوجد الأمر ذاته، انتقل الى التي تليها والتي تليها. لقد تفحص جميع الرسائل وتأكد أنها قرئت جميعاً ولكن لم يتم تحميل أي من مرفقاتها. صاح جواد وقد نسي تماماً المكان الذي يتواجد فيه !Yes. كانت فرحته عارمة، ولكنه لم ينتهي بعد.

كان عليه الآن أن يسرع فيتوجه عبر حاسوبه المحمول الى سيرفر البريد الالكتروني ويقوم باستبدال الملفات المرفقة بالرسائل بالملفات التي جرى تعديلها، وهكذا في المرة القادمة التي يقرر فيها برينسكي تحميل المرفقات من الرسائل سيتم تحميل النسخ المعدلة.

Twitter: @alqareah

ولـج جـواد سـريعاً الـى سـيرفر البريد الالكتروني الخاص بشـركة برينسكي، وأخذ يبحث عن الرسائل الالكترونية التي يفترض به استبدال مرفقاتها، ولكنه توقف فجأة، وضرب بباطن كفه أعلى جبهته. لقد تذكر أن الرسائل موجودة في الحساب البريدي الخاص هوتميل وليست على سـيرفر الشـركة. شـعر بالانزعاج والضيق وتبخر كل الفرح والسـرور، إذ تذكر أنه لا يملك أي سـيطرة على سـيرفر البريد الشـخصي، وهكذا لن يتمكن من استبدال الملفات. كان يستطيع أن يمحو الرسائل مع مرفقاتها ويرسل رسائل جديدة بمرفقات معدلة ولكن هذا الإجراء سيلفت انتباه برينسكي بكل تأكيد.

خطـرت ببالـه فكـرة ولكنهـا لـم تكن مضمونة. لقد فكر في إمكانية التعديل في الرسائل المحفوظة في الآيباد على العنوان الذي يتم تحميل المرفقات منه ليشير الى عنوان آخر يحمل نسخاً معدلة من المرفقات، وهكذا عندما يضغط برينسكي على أيقونة الملفات المرفقة يتم تحميلها مـن مـكان مختلـف تمامـاً. لقـد كانت فكرة جيدة ولكنها ستسـتغرق منه وقتاً طويلاً. نظر الى ساعته فوجدها تشير الى الثانية إلا ربعاً. كان عليه إتمام المهمة قبل الساعة الثانية ظهراً، موعد رجوع الحراس والموظفين الى أعمالهم. كان عليه إيجاد فكرة أخرى يستطيع تنفيذها في أقل وقت ممكن.

ماذا لو قمت بتحميل المرفقات بنفسـي بالنيابة عن برينسـكي، ثم قمت باستبدالها هنا بملفات معدلة، وهكذا عندما يقوم برينسكي بالضغط على أيقونة تحميل المرفقات سيكتشف برنامج إدارة البريد الإلكتروني الذكي في الآيباد أن الملفات قد سبق تحميلها وهكذا سيقوم بفتح النسخ المحفوظة محلياً بدلاً من إعادة تحميلها من السيرفر حدث جواد نفسه بصوت مسـموع، بينما ظهر على وجهه شـبح ابتسـامة. أخذ بتنفيذ هذه

Twitter: @alqareah

الفكـرة التـي شـعر أنهـا سـتكون كفيلـة بإخراجـه من مأزقـه، وهكذا قام بتحميل المرفقات من الرسـائل ثم بحث عن المكان الذي حفظت فيه داخل مجلد iTunes في الحاسوب وقام باستبدالها بملفات معدلة. بقي عليه الآن إعادة مزامنة جهاز الآيباد مع الحاسـوب ليتم نسـخ المرفقات الى ذاكرة الآيباد. كان جهاز الآيباد لا يزال متصلاً بالحاسـوب، وهكذا استطاع جواد أن يصدر أمر من البرنامج بتنفيذ مزامنة جديدة.

أخـذ جـواد يراقـب الوقـت بينما تتم عملية المزامنة. كانت السـاعة تشير الى الثانية إلا دقيقتين، عندما أعلن البرنامج إتمام عملية المزامنة، وهكذا نسخت الملفات المعدلة الى ذاكرة جهاز الآيباد وأصبحت جاهزة للاستدعاء بمجرد أن يضغط برينسكي على أيقونة تحميل المرفقات في أي من رسائل اللجنة الأمنية.

أسرع جواد فقطع اتصاله بالشبكة وأغلق حاسوبه المحمول، ونهض عـن الأرض ونفـض مـا علـق بملابسـه مـن غبار. كان يشـعر بسـعادة لا توصف. لقد تضاعفت ثقته بنفسه في هذا اليوم.

خـرج جـواد مـن الممـر واسـتدعى المصعـد وهبط به الـى الطابق الأرضي، ثم خرج من حيث دخل، وتوجه الى المقهى المجاور ولكنه لم يجد سالم هناك. اتصل به وقال له وهو في أوج سعادته: Mission accomplished، وأغلق السماعة.

Twitter: @alqareah

القسم الثاني

البحث عن الكنز

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل الحادي والعشرون

رحلة إلى موسكو

كان الجو شديد الحرارة في دبي في اليوم الذي استقل سالم وزوجته الطائرة بصحبة عادل، متوجهين الى موسكو. كان عادل يشعر بحماس كبير، فقد كانت تلك المرة الأولى التي يزور فيها روسيا بلد الأدباء العظام الذين كان يعشق كتاباتهم، من أمثال تولستوي وتشيخوف وبوشكن ودوستويفسكي وغيرهم.

لقد قرر الثلاثة السفر بمفردهم على أن يلحق جواد وروستام بهم في وقت لاحق. كانت المجموعة قد تلقت دعوة من اللجنة المنظمة للمسابقة، لزيارة البحيرة التي يرقد القطار مع ما يحمله من كنوز في قاعها. في الحقيقة لقد تلقوا دعوتين، واحدة باسم فريق دبي والأخرى باسم الفريق الفرنسي. حصل ذلك بعد بضعة أيام من تحقق اللجنة الأمنية من ملفات الفرق المشاركة. كان سالم مستغرباً من سر حاجة اللجنة المنظمة للمسابقة لدعوة الفرق جميعها لمعاينة البحيرة، ألم يكن كافياً دعوة الفريق الفائز فقط؟ جاءه الرد من عادل الذي فسر الأمر بأن اللجنة المنظمة للمسابقة بحاجة الى أن تكون مستعدة في حال فشل الفريق الذي سيقع الاختيار عليه في تنفيذ مهمته، ففي تلك الحالة يستطيعون ببساطة أن يمنحوا فريقاً آخر شرف المحاولة، ولن يكون عليهم الانتظار طويلاً ريثما يقوم الفريق بدراسة البحيرة لأن الفرق جميعها ستكون قد منحت

Twitter: @alqareah

وقتاً كافياً للدراسة والتحليل عن قرب.

لم يقرر سالم السفر الى موسكو إلا بعد أن اخبره جواد بما لا يدع مجالاً للشك بأن الفريق الفرنسي قد فاز بالفعل. في الحقيقة كانت النتيجة لم تعلن بعد، ولم تصلهم رسالة الكترونية تعلمهم بفوزهم، إلا أن جواد نجح في الحصول على نسخة من رسالة الكترونية وجهها ميخائيل برينسكي الى سكرتيره الخاص يعلمه فيها أن اختياره قد وقع على الفريق الفرنسي ليقوم بالمهمة، وطلب منه ألا يعلن ذلك إلا بعد انتهاء الفرق من معاينة البحيرة، وأخبره أن الغرض من تأخير إعلام الفريق الفرنسي بفوزه، هو رغبته في عدم تسريب الخبر الى بقية الفرق قبل إتمامها لدراستها للبحيرة، خشية أن تفقد اهتمامها بمجرد أن تعلم بفوز فريق آخر، ويصبح استدعاء هذه الفرق كلها الى البحيرة عديم الجدوى. كانت هذه المعلومة تأكيداً لاستنتاج عادل.

كانت فرحة الفريق بهذه الأخبار تفوق الوصف، وخاصة جواد الذي تكللت جهوده الجبارة بنجاح لم يكن سهلاً أبداً.

أدرك سالم بعد أن وصله خبر فوزهم بالمسابقة، ضرورة إخبار روستام بالحقيقة كاملة، فما عاد بالإمكان إخفاء الأمر عنه، وهكذا قام بدعوته على العشاء في إحدى الليالي وأخبره بفوزهم في المسابقة. ظن روستام أن فريقهم الذي شكله عادل وأسموه فريق دبي كان هو الفائز، وأبدى تعجبه من وقوع الاختيار على فريق جديد قليل الخبرة مثل فريقهم.

كانت مفاجأة روستام أكبر عندما أخبره سالم أن الفريق الفرنسي هو الذي فاز وليس فريق دبي، وبدت الحيرة جلية على وجهه. عندها قرر سالم أن يقص على روستام الحكاية من أولها وأن يشرح له تفاصيل الخطة التي وضعها ثم عمل على تنفيذها مع جواد طيلة الأشهر السابقة.

Twitter: @alqareah

دهش روستام كما دهش عادل من قبل عندما عرف بالمهام التي قام جواد بتنفيذها، وخاصة قيامه باستبدال ملفات الفرق من على بعد خطوات قليلة من عتبة الشقة التي يقيم فيها مدير المجموعة. حاول سالم جاهداً تحسين صورة ما قاموا به وإيجاد المبررات التي قد تقنع روستام المتدين بقبولها، وأخذ يلعب على وتر ظلم الروس للشعب الشيشاني، والديانة اليهودية لمدير المجموعة وعلاقته المشبوهة بالمخابرات الإسرائيلية- وكأن لهذه المعلومات أي علاقة بدوافعهم الحقيقية للقيام بما قاموا به. أخذ سالم بعدها يبين لروستام أن مسابقة كهذه لن تكون عادلة أبداً في حق العرب مهما امتلكوا من خبرات، لهذا فما قاموا به لم يكن يتعدى المحاولة للحصول على حقهم في منافسة عادلة، وعلى كل الأحوال إن لم ينجحوا في تنفيذ مهمتهم ولم يكونوا أهلاً لها، فإن الفرصة ستنتقل الى فريق آخر.

كل ذلك وروستام مطرق برأسه ينصت الى تبريرات صديقه ولم ينبس بعد ببنت شفة، مما وتّر سالم وجعله يشعر وكأن روستام يرد عليه بقوله: ما كل هذا الهراء؟

انتهى سالم من شرح الخطة كاملة وانتظر تعليقاً من روستام على ما سمعه، ولكن بعد أن تأخر الأخير في إبداء أي رأي حول ما سمع، سأله سالم: ما رأيك؟ هل أنت موافق على الاستمرار معنا في تنفيذ المهمة؟ في قرارة نفسه كان سالم يحاول أن يزن الأمور، فماذا لو رفض روستام الاشتراك معهم؟ هل سيكون لذلك أي تأثير سلبي على الخطة؟ في الحقيقة لم يكن سالم قد قرر بعد الدور الذي سيلعبه روستام في المرحلة المقبلة من الخطة، فهو يعرف أن المرحلة المقبلة ستعتمد بشكل كبير على عادل وربما جواد إن لزم الأمر، أما باقي المجموعة فلن يكون دورهم أكثر من مجرد تقديم المساعدة لعادل، وهكذا أقنع نفسه أن

Twitter: @alqareah

لا ضـرر كبيـر مـن تراجـع روسـتام، ولكـن بشـرط أن لا يؤدي ذلك الى قطيعة بينهما.

ما هي النسبة التي ستحصل عليها الحكومة الروسية من الذهب بعد انتشـاله؟ سـأل روسـتام وكان يبدو على وجهه وكأنه يقوم بإجراء بعض العمليات الحسابية.

استغرب سالم السؤال ولكنه أجاب: على حد علمي ووفقاً لوثيقة وجدهـا جـواد تمثـل عقـداً بيـن الحكومة الروسـية وميخائيل برينسـكي، يحصـل الأخيـر علـى ربـع كميـة الذهـب بينما تشـحن صناديـق الذهب المتبقية الى الحكومة المركزية في موسكو. ألم تكن معنا عندما أخبرنا جواد بهذه المعلومة؟.

تجاهل روسـتام الإجابة عن السـؤال الأخير، وبدلاً من ذلك أخذ يتمتم صناديق من السبائك الذهبية الخالصة، ماذا لو قمنا ب..... ثم رجع الى الآلة الحاسبة في عقله وأخذ بالنقر سريعاً على أزرارها الوهمية. لاحت على وجهه ابتسامة عريضة عندما قال: أنا معكم، وسنكمل المشوار سوياً، ولكن أتمنى أن لا تفتح معي موضوع المبررات مرة أخرى.

أومأ سالم برأسه ثم أتى بحركة بسبابته وإبهامه على فمه فظهر وكأنه يقوم بإغلاق سحّاب ما يجمع شفتيه معاً، كناية عن صمته. في الحقيقة استغرب سالم كثيراً من موقف روستام وأحس بوجود أمر غامض لكنه لم يفكر فيه طويلاً.

وهكذا أصبح جميع أعضاء الفريق على دراية كاملة بالخطة، وأبدى كل منهم استعداده للمضي قدماً مع الموافقة الصريحة على الاستمرار.

لن تكون هناك أي فرصة أخرى للتراجع قال سالم موجهاً حديثه لأعضاء فريقه، أثناء احتفالهم بفوزهم بالمشاركة في المسابقة.

كان جواد مرتبطاً ببعض الأعمال والمشـاريع في الشـركة التي يعمل

Twitter: @alqareah

بها، لهذا لم يكن باستطاعته السفر في هذه الفترة. أما روستام فقد كان مشغولاً باستقبال عائلته التي وصلت للتو من الشيشان، ولم يكن من المنطق تركهم لوحدهم قبل أن يتأقلموا بشكل كاف على العيش في الإمارات.

كانت الرحلة الجوية ممتعة للغاية من وجهة نظر سالم، وخاصة في وجود عادل الذي كان يعاني من رهبة الطيران، وأخذ يحاول مقاومة الشعور بالغثيان بإلقاء الطرائف الظريفة التي يجيد الشعب المصري تأليفها. وجد سالم صعوبة كبيرة في ترجمة الطرائف لزوجته، ولم يفلح في إيصال المعنى لا باللغة الانجليزية ولا حتى باللغة الروسية. وتذكر عندما شاهد في أحد الأيام مع نتاشا أحد البرامج الفكاهية الروسية، فكانت تستلقي هي على ظهرها من شدة الضحك، بينما لم يكن يظهر على وجهه هو أكثر من ابتسامة مصطنعة رسمها من باب المجاملة.

قرر الثلاثة أن ينالوا قسطاً من النوم في الساعتين المتبقيتين على وصولهما الى العاصمة الروسية. استسلم عادل للنوم أولاً وأخذ يعزف سيمفونيته الخاصة بعد دقائق معدودة من إغماضه لعينيه. بعد قليل تبعته نتاشا وغرقت هي الأخرى في نوم عميق، ولكن بدون مصاحبة لأي إيقاع موسيقي حسن أو قبيح.

حاول سالم أن يستسلم هو الآخر للنوم ولكن دون جدوى. لقد كان ذهنه مشغولاً بالتفكير في المرحلة القادمة من الخطة. لقد كانت الخطوة الأولى تتمثل بالتعرف على خصائص الغواصة التي تم تطويرها وكيفية استخدامها، ثم التوجه إلى موقع البحيرة لدراسته عن قرب. كانت المشكلة لدى سالم تتمثل بأنه لا يملك أي خبرة في هذه الأمور، وسيكون عليه الاعتماد كلياً على خبرة عادل. ليس الأمر أنه لم يكن واثقاً في قدرات عادل، ولكنه كان يكره أن يشارك في أمر لا يفقه فيه شيئاً.

Twitter: @alqareah

أمر آخر كان يشغل باله ألا وهو الهوية التي سيستخدمونها، فهل يستخدمون هوياتهم الحقيقية ويتقدمون لطلب زيارة البحيرة على أنهم أعضاء في فريق دبي، أم يدعون أنهم يمثلون الفريق الفرنسي؟ فكر سالم أن الاحتياط يقتضي في هذه المرحلة استخدام الهويات الحقيقية، وخاصة في حال طلب أحدهم التثبت من هوياتهم، ولم يكتفي بالإطلاع على نسخة من البريد الالكتروني الذي يحمل الدعوة.

كان سالم يدرك أن المخاطرة الحقيقية ستبدأ عندما يتلقوا رسمياً إخطاراً بفوزهم بالمسابقة، لأنه حينها سيكون عليهم انتحال شخصيات الفريق الفرنسي، وهو أمر لم يخطط له بعد، فهل عليه مثلاً أن يقوم بتزوير وثائق ثبوتية لأعضاء الفريق جميعهم أو لبعضهم على الأقل. لقد فكر في هذا الاحتمال من قبل، بل وتذكر أنه يعرف مختصاً أوكرانياً في التزوير كان قد لجأ إليه لمساعدة أحد أصدقائه من المغرب العربي كان يتوق للهجرة الى كندا، فقام بتزوير شهادة جامعية أوكرانية مصدقة من وزارة الخارجية، بل وعرض المزور أن يبيعهم جواز سفر غربي للتنقل بسهولة دون الحاجة للانتظار سنوات ريثما يحصل الراغب بالهجرة على الجنسية الكندية، ولكن صديقه رفض فكرة الجواز، لأنه وجد أن نسبة المخاطرة فيها مرتفعة للغاية.

تمنى سالم أن لا يضطر للجوء الى التزوير، لأن ذلك من شأنه زيادة تعقيد الأمور.

ابتسم سالم عندما تذكر أن المغامرة الحقيقية لم تبدأ بعد، فمجرد تخيله لقيامه بالمشاركة في انتشال صناديق الذهب كان يثير الحماسة والتشويق في نفسه. قطار يرقد منذ تسعين عاماً في قاع واحدة من أكبر وأعمق البحيرات في العالم، ينتظر قدوم سالم الفلسطيني ورفاقه لينتشلوا ما يخبئه في جوفه من كنوز فكر سالم منتشياً وقد أغمض عينيه وترك

Twitter: @alqareah

لخياله العنان، فرأى نفسه بملابس الغطس يخرج الى السطح وهو يحمل في يده سبيكة ذهبية لامعة. في الحقيقة كان متأكداً أن هذا المشهد من المستحيل أن يتحقق، لأن الذهب موجود على عمق كبير لا يستطيع أي غواص الوصول إليه. لهذا فالمشهد الأقرب للواقع كان أن يرى نفسه في غواصة ترتفع الى سطح الماء ويتدلى منها ذراع آلي يحمل صندوقاً محملاً بالسبائك الذهبية. أعجبته هذه الصورة أيضاً وإن كانت أقل تشويقاً لأنه لم يكن يظهر فيها بشكل واضح.

انهمك سالم في الساعة المتبقية في رسم الخطط في ذهنه لكيفية إنفاق الجائزة المالية، وإعداد المشاريع لاستغلال المال كما يجب. أنشأ شركته الخاصة للمقاولات، واستطاع في زمن قصير أن يصبح واحداً من أشهر رجال الأعمال في الإمارات. ذكرته هذه الأحلام بقصة صاحب جرة السمن الذي استلقى وأخذ يفكر بكم سيبيع السمن، وماذا سيفعل بثمنه وكيف سيربي ماله، وبينما هو مستغرق في تفكيره ضرب بعصاه جرة السمن فانكسرت وإهريق السمن وتبخرت أحلامه. ضحك سالم من هذه الفكرة وتمنى أن لا يحصل معه ما حصل لصاحب الجرة.

أعلن قبطان الطائرة بدء الهبوط التدريجي في مطار موسكو الدولي، وطلب من الركاب تعديل وضعية مقاعدهم وربط أحزمة الأمان.

استيقظت نتاشا على صوت القبطان، أما عادل فاحتاج الى مجهود بدني من سالم كي يستيقظ هو الآخر.

خلال نصف ساعة كانت الطائرة قد حطت في المطار وبدأت تخفض من سرعتها تدريجياً. كان الجو ماطراً في الخارج عندما هبط سالم مع زوجته وصديقه سلم الطائرة متوجهين الى الحافلة التي أقلتهم نحو مبنى المطار.

انتهى الثلاثة من إجراءات التدقيق في الجوازات واستلام الأمتعة

Twitter: @alqareah

في غضون ساعة، وخرجوا الى الهواء الطلق حيث استقلوا سيارة أجرة أخذتهم نحو فندق يقع في قلب العاصمة الحيوي.

استمتع عادل كثيراً في رؤية معالم المدينة التي تدار منها أكبر دول العالم مساحة، بأشجارها العالية وشوارعها الواسعة وأبنيتها التي تختلط فيها عراقة الماضي بحداثة الحاضر.

طلب سالم من السائق أن يأخذهم أولاً في نزهة قصيرة حول المعالم الهامة في المدينة قبل التوجه الى الفندق. كانت الساعة تقترب من الثامنة صباحاً عندما توقف المطر، فأنزلت نتاشا النافذة المجاورة لمقعدها وأخذت نفساً عميقاً أحست أنها بحاجة إليه. لقد كانت بحاجة ماسة الى التمتع بمناظر مختلفة عن المناظر الصحراوية. لقد اشتاقت لرؤية الحدائق الغناء والغابات الكثيفة التي تعج بمختلف أنواع الأشجار. أحس سالم بمشاعر زوجته وقرر مثلها أن يستمتع باللحظة، فقد عانى كثيراً هو الآخر من قيظ الصيف وحرارته التي لا تطاق في الإمارات، وكان سعيداً بمشهد هطول الأمطار وبالنسمة العليلة التي تلت توقفه.

توقف السائق عند أطراف الساحة الحمراء لدقائق معدودة، بناءً على طلب عادل الذي كان تواقاً لالتقاط بعض الصور هناك. حاول سالم دون جدوى أن يقنعه بتأجيل التقاط الصور الى وقت آخر، فقد وصلوا للتو من رحلة طويلة وكانوا بحاجة ماسة لنيل قسط من الراحة والاستلقاء على سرير مريح.

كان عادل يدرك أنهم سيمكثون في موسكو عدة أيام ستسمح لهم بالقيام بجولات عديدة في المدينة لالتقاط ما يشاء من الصور، ولكنه لم يقو على مقاومة منظر الساحة الشهيرة أمامه وكان لابد له من التقاط ولو صورة واحدة في هذا الوقت لإشباع رغبته في إقناع نفسه أنه متواجد فعلاً في موسكو. في الحقيقة كانت هذه المرة الأولى التي يسافر فيها

Twitter: @alqareah

عادل الى وجهة أخرى غير مصر والخليج العربي.

وصلوا أخيراً الى فندق راديسون بلو، وصعدوا الى الغرفتين التي حجزهما سالم مسبقاً عن طريق الانترنت. كانت غرفة سالم ونتاشا والتي تطل على الشارع الرئيسي القريب من وسط المدينة التجاري، تحتوي على سرير كبير مزدوج وخزانة ملابس أنيقة إضافة الى مكتب وبعض المقاعد، وتلفاز متوسط الحجم من نوع سامسونغ. أما غرفة عادل فكانت أصغر حجماً وتطل على المسبح.

أحست نتاشا بتصلب عضلات ظهرها نظراً للنوم غير المريح في الطائرة، فاستلقت مباشرة على السرير الوثير في الغرفة حتى قبل أن تبدل ملابسها أو تنزع جزمتها. أخذ سالم ينظر إليها مستمتعاً بعفويتها وفوضويتها. اقترب منها وجلس على حافة السرير بشكل متعامد معها ورفع قدميها ووضعهما في حضنه وأخذ يخلع فردتي جزمتها. رفعت نتاشا رأسها عن السرير واتكأت على مرفقيها ورمقت زوجها بنظرة معترضة، ولكنه لم يأبه لها ودفعها بلطف في صدرها كي تعود وتستلقي على ظهرها، وتابع هو نزع الجزمة، وعندما انتهى نهض ليبدل ملابسه وقرر أن يأخذ أولاً حماماً ساخناً طويلاً.

عندما خرج سالم من الحمام وجد نتاشا لا تزال مستلقية على السرير ولكنها قامت بتبديل ملابسها. اقترب منها ليتفقدها فوجدها تغط في نوم عميق على الرغم من أنها قد نامت بالفعل لعدة ساعات في الطائرة، كان من الواضح أنها كانت لا تزال مرهقة من السفر الطويل والجلوس المتواصل على مقعد الطائرة.

صعد سالم على السرير هو الآخر واقترب من جسد زوجته الجميل وطبع قبلات هادئة على أنحاء متفرقة من وجهها وعنقها. كانت نتاشا تتململ في نومها مع كل قبلة تتلقاها، وبدت وكأن هذه القبلات كانت

Twitter: @alqareah

تخترق أحلامها وتمتزج مع رؤاها.

بمجرد دخوله الى الغرفة قام عادل بنزع حذائه وخلع جواربه، ثم فتح حقيبته وأخرج ملابسه منها فعلق قمصانه وسراويله في الخزانة ورتب ملابسه الداخلية المطوية بعناية ووضعها في درج بالقرب من سريره. أخذ بعدها حماماً سريعاً ولبس ملابس مريحة مناسبة للتنقل داخل الفندق. لم يشعر بالنعاس فقرر الاتصال بغرفة سالم. رد سالم بعد الرنة الثالثة وكان واضحاً من صوته أنه كان نائماً أو على وشك النوم. سأله عادل إن كان يود النزول معه الى مطعم الفندق لتناول الفطور. اعتذر سالم وأخبره أنه يشعر بنعاس شديد ويرغب في نيل قسط من الراحة، ووعده أن يلتقيا لاحقاً في فترة الظهيرة.

هبط عادل بالمصعد الى الطابق الأول حيث يوجد المطعم، وهناك ملأ صحنه بأصناف الطعام، فاختار بعض أنواع الأجبان التي يحبها، وأضاف الزبد ومربى التوت وأخذ نصفي بيضة مسلوقة وضعهما في صحنه، ثم ملأ كوباً من الشاي الأحمر وجلس الى طاولة صغيرة قريبة من الشرفة. أخذ يتناول طعامه وهو ينظر عبر النافذة الى عصفورين متحابين يدوران حول بعضهما البعض في الجو، ثم يحطان على فرع شجرة قريب، فيداعب أحدهما الآخر بمنقاره. انتقل بعدها بنظره الى زوج آخر من الطيور كان أحدهما يجلس فوق عش من الأعواد الخشبية والأوراق الناشفة، بينما كان يحوم الآخر في الجو. دقق عادل النظر فوجد مناقير صغيرة تبرز من طرف العش ففطن الى أنه يحتوي على أفراخ صغيرة. كان الطائر الذي يحوم في الجو كلما اقترب من العش، هاج الطائر الراقد هناك وطرده بعيداً رافضاً أن يسمح له بأن يحط في العش. دفع هذا المنظر عادل ليضحك من كل قلبه بصوت مسموع كاد أن يجلب الأنظار إليه.

Twitter: @alqareah

فسر عادل الأمر بأن الزوج الأول من الطيور كان يمثل طيريْن في فترة الخطوبة لم يتزوجا بعد، ولهذا كان يبدو عليهما أنهما في أوج سعادتهما، أما الزوج الثاني فكان يمثل طيريْن في فترة ما بعد الزواج وإنجاب الأطفال (أو الإباضة في هذه الحالة)، وهنا يلعب الطائر الحائم دور الزوج الكسول الذي لا يريد أن يبتعد عن المنزل، بينما يلعب الطائر الراقد في العش دور الزوجة المنهكة التي تمنع زوجها من العودة الى عش الزوجية قبل أن يأتي بالطعام لأطفاله.

سبحان الله، حتى في عالم الحيوان تكون فترة الخطوبة أجمل فترات العمر، وتبدأ الهموم بعد الزواج فكر عادل وأخذ يقارن بين حالة زوج الطيور الثاني وبين حالته مع زوجته التي سافرت الى مصر واتخذت موقفاً لا يختلف كثيراً عن موقف أنثى الطير هذا، فاعتراض منى كان مادياً بحتاً لأنها ترى أن بإمكانه أن يحصل على قدر أكبر من المال.

كادت هذه الأفكار أن تفسد عليه يومه، ولكنه نجح في صرفها في الوقت المناسب عندما تذكر أن وجوده هنا إنما كان خصيصاً ليتمكن من العودة بمال كاف لإسعاد زوجته وعياله.

أنهى طعامه وعاد الى غرفته. كان الوقت لا يزال مبكراً ولم يشعر برغبة في النوم، فبدل ملابسه بأخرى مناسبة للخروج في هذا الجو الغائم. اختار سروال جينز داكن اللون وفوقه لبس كنزة دافئة، وارتدى حذاءً رياضياً وأخذ بيده مظلة لتقيه المطر في حال عاود الهطول. خرج من الغرفة وأقفل الباب ثم تذكر أنه نسي أن يأخذ معه غرضاً غاية في الأهمية ألا وهو كاميرته الشخصية من نوع كانون، والتي كان يعشق جودة ووضوح صورها. فعاد الى الغرفة وتناولها.

خرج عادل من باب الفندق، ثم تذكر أنه لا يعرف المدينة ولا حتى لغة أهلها، فعاد ودخل الفندق وطلب من موظف الاستقبال أن يعطيه

Twitter: @alqareah

دليلاً إرشادياً باللغة الانجليزية. أعطاه الموظف ما طلب وفتح الدليل أمامه ووضع علامة على الخريطة تشير الى موقع الفندق. شكره عادل وخرج بثقة أكبر هذه المرة.

نظر عادل الى الخريطة وحاول تحديد مكان الساحة الأشهر في موسكو والتي يعود تاريخها الى القرن الخامس عشر الميلادي. كان عادل لم ينل كفايته من التقاط الصور في هذه الساحة عندما أجبر سائق سيارة الأجرة على الوقوف بالقرب منها قبل ساعتين.

من حسن الحظ وجد عادل أن باستطاعته الوصول الى الساحة الحمراء مشياً على الأقدام باجتياز بعض الشوارع الجانبية والمرور من بين البنايات المتراصة بجانب بعضها البعض.

خلال أقل من ربع ساعة كان يقف في الساحة الكبيرة مترامية الأطراف وهو يلتقط الصور يمنة ويسرة. في البداية التقط مجموعة من الصور لمجمع الكرملين الذي يطل على الساحة من الغرب، ثم انتقل الى الجنوب وأخذ يتأمل بدهشة روعة تصميم كاتدرائية القديس باسيليوس. انبهر عادل بجمال هذه الكنيسة الأرثوذكسية التي شيدت في القرن السادس عشر، وأسره معمارها الروسي الخلاب والذي يتميز بقباب ملونة بصلية الشكل، جعلها تبدو للناظر وكأنها قصر أسطوري خرج من بين صفحات حكايات ألف ليلة وليلة. التقط لها عدداً كبيراً من الصور من جميع الجوانب، ثم قرر أن يطلب من أحد السياح أن يلتقط له بعض الصور، لتكون دليلاً على تواجده في هذا المكان. توجه بعدها باتجاه الشمال وأخذ بالتقاط بعض الصور لمبنى المتحف التاريخي بلونه القرميدي الأحمر المميز. أخيراً مشى باتجاه السوق المركزي الشهير الذي يحد الساحة الحمراء من جهة الشرق والتقط هناك مزيداً من الصور من الداخل والخارج. بعد أن نال كفايته

Twitter: @alqareah

من التصوير وأشبع رغبته في الحصول على أجمل اللقطات، توجه الى ضريح الزعيم الشيوعي فلاديمير ايليتش أوليانوف لينين مؤسس الاتحاد السوفيتي السابق، والذي يقع بجوار جدار الكرملين. عندما وصل الى هناك وجد ازدحاماً كبيراً فعدل عن فكرة زيارة الضريح، وخاصة أنه لم يَكن يُكِنُّ لصاحب الضريح كثير احترام بل ويعتبره طاغية.

رجع عادل الى الفندق وسلك نفس الطريق الذي جاء منه، وصعد الى غرفته وأخذ يتأمل الصور التي التقطتها عدسته. بعد ساعة قرر معاودة الاتصال بسالم فوجده قد استيقظ واتفقا على أن يلتقوا جميعاً في بهو الفندق في تمام الساعة الواحدة ظهراً.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل الثاني والعشرون

أخبار سارة

تابع ميخا المباراة بحماس كبير. كانت سعادته في ذلك اليوم لا تقدر بمال وهو ينظر الى ابنته المحبوبة وقد عادت الى ملاعب التنس لتمارس رياضتها المفضلة. في البداية لم يهتم كثيراً عندما اتصلت به زوجته قبل قليل، وطلبت منه أن يشغل التلفاز ويشاهد قناة يورو سبورت ولم تخبره بالسبب الذي يدعوه لفعل ذلك. لقد كان مشغولاً جداً وقتها وظن أن للأمر علاقة بسباق الخيول. كان على وشك أن لا يلقي بالاً لطلب زوجته، لولا إحساس داخلي دفعه لتشغيل التلفاز والبحث عن القناة.

لم يصدق ميخا عينيه عندما رأى كاتيا تبدأ المباراة بإرسال قوي كان إشارة واضحة على تعافيها الكامل. وكم كان مسروراً عندما فازت ابنته بالمباراة وإن بصعوبة، فذلك ووفقاً للمعلق يعد إنجازاً رائعاً في أول مباراة بعد الحادث.

بمجرد انتهاء المباراة قام ميخا بمهاتفة ابنته التي سرت كثيراً بسماع صوت والدها في تلك اللحظة السعيدة. عاتبها قليلاً على إخفاء أمر المباراة عنه، فأخبرته أنها قررت فعل ذلك مع أمها بغرض مفاجأته ويا لها من مفاجأة. سألها عن أمها فعرف أنها بصحبتها. ناولت كاتيا هاتفها الى أمها.

يبدو أنك تجيدين حبك المؤامرات يا تتيانا قالها بنبرة مرحة، وان

Twitter: @alqareah

كان في حقيقة الأمر يقصد ما قاله حرفياً، كان لا يزال لم يفاتحها بعد بأمر تسريب أسراره الى الصحافة وكان ينتظر أن يلتقي بها وجهاً الى وجه.

بعض ما عندكم ضحكت بصوت تملؤه السعادة.

متى ستعودان الى موسكو؟

ستبقى كاتيا لبعض الوقت، فلديها بضع مباريات ودية أخرى هنا في الولايات المتحدة، ولكنها ما عادت بحاجة إلي.

ستعودين بمفردك الى موسكو إذاً.

في الحقيقة كنت أفكر في أن أعرج على دبي لقضاء بعض الوقت معك، ثم نعود سوياً الى موسكو قالتها بنبرة مترددة بانتظار تعليق ميخا.

رحب ميخا بالفكرة وحاول أن يظهر حماسته قدر الإمكان. لم يمانع في قرارة نفسه تعجيل مواجهة زوجته بما لديه من شكوك قبل عودتهما الى موسكو. اتفقا على أن تحضر الى دبي الأسبوع القادم.

كان ميخا قد قضى الأيام والأسابيع السابقة منهمكاً في العمل، فقد مر هذا العام بكثير من الأزمات التي زعزعت من سمعة شركاته في الأسواق، وكان عليه بذل الكثير لإعادة الثقة به وبمجموعته. لقد عادت علاقته بسيرغي الى سابق عهدها وصار أكثر اعتماداً عليه من السابق، وخاصة في فترة غيابه بعيداً عن روسيا.

كان ميخا تواقاً للعودة الى موسكو، ولكنه قرر تأجيل موعد السفر الى أن تتعافى ابنتاه بشكل كامل فيعود الى موسكو رافعاً رأسه ومستعداً لمواجهة الصحافة. ها هي كاتيا قد عادت الى ملاعب التنس وباتت جاهزة لإحراز مزيد من البطولات، وها هي لينا قد غادرت المصحة بعد أن تخلصت تماماً من إدمانها. لقد سر كثيراً عندما أخبرته أنها نجحت بالفعل في التسجيل في معهد إدارة الأعمال وأنها تحرص على حضور جميع الدروس، وسر أكثر من نبرة صوتها التي باتت الآن تفيض حماسة

Twitter: @alqareah

بتحقيق طموحاتها. شعر ميخا بأن الأيام عادت لتبتسم له ولعائلته، ولولا شكه بأن تكون زوجته هي مصدر تسريب أسراره لكانت سعادته لا تقدر بثمن.

كان لميخا سبب آخر ليشعر بالسعادة، فقد اقترب موعد تنفيذ مشروع انتشال قطار الذهب، وها هو قد اختار فريقاً فرنسياً يتمتع بخبرة كبيرة في هذا المجال. كان ميخا يتمنى أن ينجح هذا المشروع ويتمكنوا فعلاً من استخراج صناديق الذهب من أعماق البحيرة. سيكون لهذا الخبر التأثير الأكبر على أسواق المال، وستحلق أسهم شركاته عالياً. هذا ناهيك عن حصته الكبيرة من الذهب. ستنسى الصحافة كل ما نشرته من إساءة إليه وستنهمك في التسابق على تغطية أكبر حدث في التاريخ الحديث لروسيا.

استغرب ميخا من عدم تلقيه لأي توجيهات من أصدقائه الإسرائيليين، وتمنى أن تحدث معجزة ما تجعلهم ينسون أمره ويكتفون بما يحصلون عليه منه من أموال لا يبذلون في جمعها أي جهد.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل الثالث والعشرون

الغواصة

نـزل عـادل الـى الردهـة قبـل خمـس دقائـق من موعد لقائه بسـالم ونتاشـا، وأخـذ يتجـول فـي بهـو الفنـدق. لفت انتباهه كشـك صغير يبيع الهدايـا التذكاريـة والتحـف، فتوجـه إليـه وأخـذ يطالع الصـور التذكارية للأماكن السياحية التي تعج بها موسكو.

لقد تم إلقاء القبض عليك بتهمة التزوير وانتحال الشخصية شعر بيد قوية تهزه من كتفه فالتفت ناحية الصوت ليجد سالم يضحك وبصحبته زوجته.

الى أين سـنتوجه الآن؟ سـأل عادل مبتسـماً محاولاً إخفاء ما شـعر به من خوف لحظي عندما باغته سالم من ورائه.

وفقـاً للدعـوة التـي تلقيناهـا بالبريـد الالكترونـي أخـرج من جيب قميصـه ورقـة مطبوعـة ونظـر إليها سـيفتتح اليوم في تمام السـاعة الثانية ظهراً المعرض الذي تنظمه اللجنة المسئولة عن إدارة المسابقة، ودعت إليـه الفـرق التـي تقدمـت للمشـاركة. كمـا تعـرف فسـيعرضون الغواصة الجديدة التي قاموا بتطويرها. أتوقع أنك مهتم بحضور هذا المعرض؟

ما من شك، ولكن هل سندخل المعرض بصفتنا أعضاءً في الفريق الفرنسي أم الإماراتي؟ تساءل عادل.

لقد فكرت في هذا الأمر طويلاً، وتوصلت الى أنه يفضل أن نذهب

Twitter: @alqareah

أنـا وأنـت الـى المعـرض بصفاتنـا الحقيقيـة أي كأعضاء فـي فريق دبي. إن تبيـن لنـا أن الدخـول يتطلـب إبـراز صـورة عـن الدعـوة التي تلقيناها عبـر البريـد الالكترونـي فقـط، أسـتطيع حينها بعـد دخولنا الى المعرض أن أتصل بنتاشـا والتي سـتكون بانتظارنا في السـيارة لأخبرها بأن تأتي هي الأخرى فتدخل الى المعرض ولكن منتحلة شخصية عالمة فرنسية وتبرز للحارس صورة الدعوة التي تلقيناها على البريد الالكتروني المزيف الخـاص بالفريـق الفرنسـي. أمـا إن تطلـب الأمـر إبراز الهوية الشـخصية فحينهـا نسـتطيع أن نبلـغ الحـارس أن هنـاك عضـواً آخـر مـن فريق دبي سيصل بعد قليل، وسأتصل بنتاشا لتلحق بنا وتبرز هويتها الشخصية إضافة لصورة من دعوة فريق دبي.

لماذا لا ندخل جميعاً بهوياتنا الحقيقية كأعضاء في فريق دبي ونريح بالنا؟ تساءلت نتاشا.

أنا أرى أنه من المفيد أن تظهر السجلات لديهم أن الفريق الفرنسي كان حاضراً، لألا يثير غيابهم الشكوك.

أومأ عادل ونتاشا برأسيهما وقد تفهما وجهة نظر سالم.

توجهوا الى أقرب محطة مترو بعد أن دلهم موظف الاستقبال على كيفية الوصول الى موقع إقامة المعرض وفقاً للعنوان المذكور في الدعوة. استفسر سالم من موظف الاستقبال إن كان من الأفضل أن يستقلوا سيارة أجرة أم يرتادوا قطار الأنفاق، فأشار عليه باستخدام الوسيلة الثانية لأنها الأسرع وخاصة في وقت الذروة.

بمجرد دخولهم الى محطة المترو توجهوا الى الجدار الذي علقت عليه خارطة كبيرة لمسارات قطار الأنفاق. لقد وجدوا أن الخارطة معقدة جـداً مقارنـة بخارطـة متـرو دبـي البسـيطة أو حتى خارطـة قطار الأنفاق في مدينة كييف في أوكرانيا، والذي كان سـالم كثيراً ما يسـتخدمه كلما

Twitter: @alqareah

زار العاصمة الأوكرانية أثناء دراسته هناك. احتاجوا بعض الوقت قبل أن يتمكنوا من إيجاد المحطة التي أشار عليهم موظف الاستقبال أن يتوجهوا إليها.

اشترى سالم تذاكر استخدام المترو من النقود التي حولها في دبي الى الروبلات الروسية قبل سفره الى موسكو. هبط الجميع نحو منصة القطار باستخدام السلالم الكهربائية التي أخذتهم عميقاً في جوف الأرض. انبهر عادل بجمال تصميم المحطة من الداخل وأعجبته اللوحات الجدارية الرائعة والتي رسمت بالفسيفساء الملون، وتعجب عندما اكتشف أن هذه المحطة قد شيدت قبل خمسة وستين عاماً وفقاً للتاريخ 1945 الذي كتب بأرقام كبيرة على مدخل المحطة.

استقلوا عربة القطار الذي وصل بمجرد اقترابهم من المنصة. كانت العربات مزدحمة بالركاب فاضطروا للوقوف طوال الرحلة والتي استغرقت ساعة كاملة. كان عليهم التوقف في إحدى المحطات للانتقال الى خط آخر.

عندما وصلوا الى المحطة المطلوبة كانوا يشعرون بالإنهاك، وتساءل عادل فيما إذا كانت نصيحة موظف الفندق ليست سوى مقلباً، أو لعله يهودي يكره العرب. ضحكت نتاشا من هذه الفكرة.

كانت الساعة تقترب من الثانية والنصف بعد الظهر عندما خرجوا من المحطة الى الهواء الطلق. كان المطر قد توقف وانقشعت الغيوم عن قرص الشمس الذهبي والذي ساهم في رسم قوس جميل ملأ الأفق بألوان زاهية. لم يستغرقهم الأمر سوى بضع دقائق ليجدوا المبنى المطلوب والذي وبالرغم من أنه كان شبيهاً بالمستودعات، إلا أنه كان ينم عن تصميم حديث يوحي بأهمية ما يجري بداخله.

لتنفيذ خطة سالم ونظراً لمجيئهم باستخدام قطار الأنفاق وليس

Twitter: @alqareah

بالسيارة، كان على نتاشا أن تتجول في الشارع المحاذي للمبنى بانتظار اتصال سالم ليشير عليها بالقدوم مستخدمة هويتها الشخصية أو منتحلة لشخصية العالمة الفرنسية التي حفظت اسمها جيداً.

اقترب سالم وعادل من بوابة المبنى ولاحظا وجود كاميرات مراقبة ولوحة كتبت على جانب البوابة تدعو المتطفلين للابتعاد. بجانب البوابة المكونة من بابين كبيرين مصنوعين من خشب الزان ومغلقان بإحكام وقف خلف منصة خشبية مرتفعة شاب ضخم الجثة عريض المنكبين بهي الطلعة، يلبس بزة رسمية سوداء اللون، جعلته يبدو كالنادل الذي يقف في مدخل المطاعم الراقية لاستقبال الضيوف والتأكد من حجزهم المسبق.

اقتربا منه وسأله سالم باللغة الانجليزية عن مكان إقامة المعرض، فرد عليه الشاب بلغة انجليزية واضحة تشوبها لكنة روسية خفيفة، وأكد له أنهما وصلا الى المكان المناسب. طلب الشاب بكل أدب أن يحصل على صورة من البريد الالكتروني الذي يحمل الدعوة. سلمه سالم نسخة من دعوة فريق دبي. تناولها الشاب ومرر جهازاً كان يحمله بيده فوق الباركود المطبوع أسفل الصفحة في الدعوة. أصدر الجهاز صوتاً رقيقاً فنظر الشاب الى شاشة الكمبيوتر أمامه على المنصة.

ابتسم الشاب وسأل فريق دبي الدولي لأعماق البحار؟

أومأ عادل وسالم برأسيهما.

هل لي من بعد إذنكما أن أسجل اسميكما؟

بكل سرور أجاب سالم وأملى على الشاب اسمه واسم عادل، وتعمد عدم إبراز أي هوية ليضمن نجاح الأمر مع نتاشا عندما يحين دورها.

نقر الشاب الاسمين على لوحة المفاتيح ثم قال: مرحباً بكما معنا، وأتمنى أن تقضيا وقتاً مفيداً أشار إليهما بالدخول وضغط بيده على جهاز

Twitter: @alqareah

تحكم صغير فانفتح البابان على مصراعيهما سامحين للضيفين بالدخول.

كان المبنى من الداخل بالفعل مستودعاً كبيراً، ولكن ليس كأي مستودع رأياه من قبل. نظر سالم الى الأعلى فوجد ثلاثة طوابق تحيط بالمبنى من الداخل، مفتوحة على بعضها البعض، وتطل على مركز المستودع، وتتوزع في جوانبها أبواب تؤدي الى غرف ربما تستخدم كمكاتب أو مختبرات أو غير ذلك. أمام الغرف فسحة عرضها خمسة أمتار وتنتهي بسور زجاجي يطل على الطوابق السفلية. فكر سالم أن تصميم هذا المستودع شبيه الى حد كبير بتصميم المراكز التجارية الكبيرة، ومن يدري فربما كان كذلك قبل أن يتم تحويله الى مركز للبحث العلمي والتطوير.

لم يرى سالم أو عادل أي أثر للغواصة التي يفترض أنهما قد جاءا لإلقاء نظرة عليها.

كانت الطوابق جميعاً تعج بحركة الموظفين الذين يلبسون ملابس بيضاء شبيهة بملابس الأطباء. تبين لسالم وصديقه أن الطابق الذي دخلا إليه لم يكن أسفل الطوابق، لأنهما وجدا على بعد أمتار من المدخل نفس السور الزجاجي الذي يحد الطوابق العليا. اقتربا من حافة الطابق ونظرا من فوق السور الى ما يوجد في الأسفل. عندها شهق عادل وتوسعت حدقتا عيني رفيقه سالم.

لقد كانت الطوابق السفلية التي تنخفض عن سطح الأرض مغمورة بالماء وتطفو على سطحها مركبة غريبة الشكل استنتجا أنها ولابد الغواصة الحديثة التي تم تصميمها.

رن هاتف سالم فجأة فأجفله. نظر الى رقم المتصل وتذكر أنه نسي أمر زوجته نتاشا، وكان يفترض به الاتصال بها بمجرد دخوله الى المبنى. قص عليها ما حدث معهما، وشجعها لتلحق بهما وتدعي أنها

Twitter: @alqareah

العالمة الفرنسية، وتكتفي بتسليم الحارس نسخة عن الدعوة الخاصة بالفريق الفرنسي.

كان عادل لا يزال يحدق في التصميم الفريد للغواصة. لقد كانت مركبة بيضاوية الشكل متوسطة الحجم يظهر في مقدمتها غطاء زجاجي سميك يمتد نحو جزئها المغمور بالماء ويسمح برؤية بانورامية لما يحيط بالغواصة. ظهر من خلف الغطاء الزجاجي قمرة القيادة والتي خمن عادل أنها تتسع الى أربعة أشخاص. برز من أسفل الغواصة وباتجاه مقدمتها ذراعان آليان بطول الغواصة يتم التحكم بهما كما يبدو من داخل قمرة القيادة.

وقفت مجموعة من الباحثين والزوار على منصة في الطابق السفلي بالقرب من الغواصة، وظهر أنهم يستمعون الى شرحٍ يقدمه شخص، بدا من هيئته أنه في أول الأربعين من عمره وفقاً لتقدير عادل، الذي استنتج أن هذا الشخص لابد وأن يكون كبير المهندسين في الشركة.

علينا أن نهبط الى الأسفل لنستمع الى ما يقوله وجه عادل كلامه الى سالم دون أن يلتفت إليه.

حسناً أمهلني دقيقة ريثما تصل نتاشا، وحينها نتوجه جميعاً الى الأسفل. هل أعجبتك الغواصة؟

تصميمها جميل، ومن الواضح أنها معدة للغوص الى أعماق كبيرة ولكني غير واثق فيما يخص الذراعين الآليين، فالتنبيش وانتشال الصناديق يتطلب دقة كبيرة لا أعرف كيف سيتم تحقيقها مع هذه الأذرع الضخمة.

أنا هنا ربتت نتاشا بلطف على كتف زوجها، قبل أن تنتبه الى ما كانا ينظران إليه في الأسفل. زمت شفتيها وأطلقت تصفيرة طويلة لا إرادية. التفت سالم إليها أولاً وتبعه عادل ورحبا بها.

بحثوا عن طريقة ليهبطوا الى الأسفل فوجدوا مصعداً صغير

Twitter: @alqareah

الحجم يتسع بالكاد الى أربعة أشخاص، شكله أشبه بالكبسولة نظراً للجدران الزجاجية دائرية الشكل التي تحيط به من جميع الاتجاهات. هبط المصعد بهم الى الطابق السفلي.

انضموا الى الجمع الذي كان يستمع بإنصات الى شرح المهندس. تبين لعادل أن تقييمه الأول لعمر المهندس لم يكن دقيقاً فعن قرب تبين له أن عمر المهندس لا يتجاوز أواسط الثلاثينات. كان شاباً طويلاً مائلاً قليلاً الى السمنة ويضع على عينيه نظارة طبية زادت من وسامة وجهه الأبيض المشرب بحمرة محببة. لاحظ عادل غزارة شعره الكستنائي غير المصفف وعيونه الزرقاء التي تشع ذكاءً. كان المهندس يتحدث بلغة انجليزية بلكنة روسية واضحة.

كما ترون فقد صُممت الغواصة على شكل إهليجي يسمح لها بالحركة بانسيابية في الماء ويقلل من احتكاكها قدر الإمكان، مما يساعد على زيادة سرعتها عند الحاجة، كما أن المواد التي استخدمت في صنعها روعي فيها الصلابة والخفة في نفس الوقت، أما مقدمتها فقد صنعت من زجاج خاص تمت معالجته ليتحمل أطنان الماء في قاع البحيرة دون أن يكسر.

القمرة الداخلية تتسع الى أربعة أشخاص بسهولة

ابتسم عادل.

يتم التحكم بالغواصة الكترونياً باستخدام حاسوب تم تطويره خصيصاً من أجل هذه الغواصة ويقوم بكل ما يحتاجه القائد منه وكأنه مهندس بحري متفاني في عمله، فيقدم التقارير والتنبيهات الصوتية ويقرأ العدادات المختلفة، ويستجيب الى أوامر القبطان بلغة واضحة يمكن تعييرها والاختيار بين اللغة الانجليزية والروسية والفرنسية والألمانية. وفي حال تعطل الكمبيوتر وفشل في أداء مهامه، يتم الانتقال تلقائياً

Twitter: @alqareah

الى الطور اليدوي الذي يسمح للقبطان ومساعده بقيادة الغواصة بالطريقة التقليدية.

لقد تم اختبار الغواصة في مختبراتنا في ظروف محاكية للواقع واستطاعت الصمود تحت ضغط مساوي للضغط تحت عمق يصل الى 1800 متر تحت سطح الماء، مما يؤهلها لتنفيذ المهمة المطلوبة منها بنجاح.

كان ذلك شرحاً موجزاً عن مميزات غواصتنا الجديدة Fangtooth والتي أسميناها تيمناً بسمكة تعيش في قاع البحر. يسرني أن أجيب على استفساراتكم.

رفع عادل يده مع أشخاص قلائل آخرين.

سألت امرأة نحيلة صغيرة الحجم تقف في المقدمة بلغة انجليزية وبلكنة أمريكية: هل تم اختبار الغواصة خارج المختبر؟

في الحقيقة لم يتم اختبار الغواصة خارج جدران المختبر، ولكننا أعددنا بيئة المحاكاة لتكون شبيهة بقاع البحيرة قدر الإمكان، وفريق العمل واثق من قدرتها على النجاح في تنفيذ مهمتها.

سمح المهندس لشاب طويل يقف في المؤخرة بطرح سؤاله.

هل سيسمح لنا بقيادة الغواصة واختبارها قبل صدور نتيجة المسابقة؟

ليس لدي أي معلومات فيما يخص إجراءات المسابقة، ولكن ما أعرفه هو أن الغواصة سيتم نقلها في وقت لاحق بعد انتهاء المعرض الى موقع قريب من بحيرة بايكال وسيتم تدريب الفريق الفائز هناك على قيادتها فهم الحضور من كلامه أنه لن يسمح لأي منهم قيادتها الآن.

جاء دور عادل ليسأل سؤاله.

لقد جئت متأخراً بعض الشيء ولم أستمع لشرحكم من أوله، لهذا

Twitter: @alqareah

فأنا غير واثق إن كان سـؤالي قد تمت الإجابة عليه أثناء الشـرح أم لا، وأرجو أن يتسع صدركم للإجابة وان كان فيها إعادة.

تفضل، ولا بأس من الإعادة لترسخ المعلومات أجاب بنبرة ودية شجعت عادل على طرح سؤاله.

في الحقيقة سؤالي يتعلق بديناميكية حركة الذراعين. فكما نعرف فالتحكم الآلي بالأذرع عادة يكون صعباً في الأعماق الكبيرة، هذا ناهيك عن الدقة المطلوبة في الحركة في هذا المشروع بالذات. سؤالي تحديداً عن المميزات التي تتوفر في هذه الغواصة للتغلب على هذه العقبة، وهل روعيت هذه النقطة أثناء تطوير الغواصة؟

سمع عادل بعض الهمهمة من الجمع حوله.

سؤال غاية في الأهمية وقد تطرقت أثناء شرحي بتناول جانب يخص هذا الأمر، ولكني لم أتعمق بشـكل كافي. في الحقيقة وكما علمنا من طاقم تطوير الغواصة في الجامعة أن هذه النقطة كانت تعد التحدي الأكبر بالنسبة لهم، وهي التي تفرق هذه الغواصة عن مثيلاتها.

في السابق كانت قمرة القيادة في هذا النوع من الغواصات تحتوي على أزرار وعصا توجيه مهمتها التحكم بالذراع الآلي الخارجي، ولكنها لم تكن حساسة بالشكل الكافي، ولا تتناسب مع الأعمال الدقيقة، وكانت أشبه بمن يتحكم في رافعة شاحنة.

أمـا الآن وبفضـل اختراعنـا الجديـد فقـد تغير كل ذلك. اسـمح لي قبل أن أخوض في التفاصيل أن أسألك إن كنت قد سمعت أو شاهدت عمليات جراحية يجريها جراح مختص على بعد آلاف الأميال من مريضه، ويستعين فيها بذراع آلي يجري العملية بدلاً منه ويقوم الجراح بالتحكم به عن بعد بأن يحرك يديه وكأنه يقوم بالعملية فعلياً على المريض، ومن ثم تقوم اليد الآلية بمحاكاة حركة يد الجراح؟

Twitter: @alqareah

فكر عادل ثوان معدودة ثم أجاب نعم، لقد سبق لي أن شاهدت تقريراً في قناة ديسكفري عن هذه العمليات وارتفاع نسب نجاحها.

ابتسم المهندس حسناً نحن نقوم بنفس الأمر في الغواصة. حيث يقوم مساعد القبطان أو الشخص المسئول عن التنقيب بوضع يده داخل قفاز خاص ويحرك أصابعه فتنتقل الحركة الى الذراع الآلي الذي يقوم بمحاكاة حركة اليد. مثلاً لنفترض أن الظرف كان يتطلب فتح باب ما وجر صندوق من تحت الأنقاض، هنا يقوم المساعد بإدخال يده في القفاز ويحرك يده بينما يشاهد الذراع الآلي الذي يستجيب لحركته ويأتمر بها. يقوم القبطان بالاقتراب بالغواصة من الباب بينما يحرك المساعد يده وكأنه يفتح الباب فيقوم الذراع الآلي بتنفيذ الحركة، وعندما يُفتح الباب يدخل القبطان بالغواصة الى الداخل ويبدأ المساعد بإزالة الأنقاض باستخدام الذراع الآلي وكأنه يزيلها فعلياً بيده، وأخيرًا يتخيل وكأنه يمسك بالصندوق ويجره الى الخارج ليقوم الذراع الآلي بتنفيذ ذلك فعلياً.

أعجب عادل كثيراً بإجابة المهندس وأحس براحة كبيرة، فلطالما فكر في هذه المعضلة وسببت له القلق، كلما خطر بباله موضوع المسابقة، أما الآن فمن الواضح من شرح المهندس أن هذه العقبة قد عولجت بشكل جيد.

بعد أن انتهت الأسئلة طلب المهندس من أحد معاونيه أن يوزع على الحاضرين كتيباً يحتوي معلومات تفصيلية عن مزايا الغواصة وقدراتها ومقاييسها وغير ذلك من معلومات تفيد المختصين أمثال عادل.

قبل أن يهم الحاضرين بالتفرق ومغادرة المكان دعاهم المهندس لدخول الغواصة على شكل مجموعات صغيرة من أربع أشخاص. سر عادل ورفيقيه بهذا الاقتراح وحرصوا على أن يكونوا من ضمن أوائل المجموعات التي تدخل الى الغواصة.

Twitter: @alqareah

انبهرت نتاشا من روعة التصميم الداخلي للغواصة والذي ذكرها بسفن الفضاء التي يتم تصميمها في استوديوهات هوليوود. كان انطباع سالم وعادل مشابهاً الى حدٍّ ما، وقد أبدى عادل استغرابه من اهتمام المصمم بأدق التفاصيل التي جعلت الغواصة تبدو وكأنها تحفة فنية جاءت من المستقبل. لقد كان المعروف عن الصناعة الروسية إبان الاتحاد السوفييتي أنها صناعة تهتم بالمضمون ولا تلقي بالاً للمظهر، وكان ذلك جلياً في تصميم السيارات الروسية التي كانت تبدو كعلب معدنية. من الواضح أن كل ذلك قد تغير الآن.

بعد خروجهم من الغواصة أخذهم المهندس في جولة في المستودع عرجوا فيها على المختبرات المختلفة التي يتم فيها التحكم في بيئة المحاكاة.

كانت الساعة تقترب من الرابعة عصراً عندما غادروا المستودع وقرروا التوجه الى أحد المطاعم في مركز المدينة والقريبة من فندقهم ليتناولوا طعام الغداء. هذه المرة أصر عادل على ركوب سيارة أجرة.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل الرابع والعشرون

الطريق الى البحيرة

قضا سالم وزوجته وصديقه ثلاثة أيام تمتعوا بها بمشاهدة معالم مدينة موسكو، والأكل في مطاعمها، قبل أن يقرروا متابعة الرحلة. كانت الرسالة التي تلقوها من اللجنة المنظمة للمسابقة تضم في شطرها الثاني دعوة لزيارة بحيرة بايكال التي سقط القطار بحمولته فيها.

كان لديهم خياران للوصول الى هناك. إما بالطائرة أو بالقطار. اتفقوا جميعاً على السفر بالقطار للاستمتاع بالمناظر الخلابة للريف الروسي، وليستحضروا الرحلة التي سلكها القطار في طريقه نحو البحيرة. كانوا مدركين أن القطار سيستغرق أياماً قبل أن يصل الى البحيرة، ولكنهم مع ذلك أبدوا استعدادهم لخوض هذه المغامرة.

وهكذا اشترى سالم أربع تذاكر في الدرجة الأولى، وحجز قمرتين واحدة له ولنتاشا والثانية لعادل الذي طلب شراء تذكرة السرير الآخر في قمرته كي لا يصحبه مسافر آخر فينغص عليه رحلته. اتفقوا على أن يجتمعوا في النهار في قمرة سالم، وفي وقت النوم يذهب عادل الى قمرته.

تجهزوا للسفر واشتروا بعض المأكولات المعلبة تكفيهم فترة الرحلة. على أية حال كانوا يعرفون أن القطار يتوقف في عدد من المدن للاستراحة وباستطاعتهم التزود بالطعام أثناء توقف القطار إن لزم الأمر.

Twitter: @alqareah

قرروا أن يسلكوا نفس الطريق الذي سلكه قطار الذهب لهذا فقد اختاروا المسار الذي يمر عبر مدينة قازان ليكمل طريقه نحو سيبيريا ويمر بمدينة سمارا ومنها الى مدينة أومسك ليتوقفوا أخيراً في محطة مدينة إركوتسك ومنها يكملوا طريقهم الى البحيرة بالسيارة الى الموضع الذي غرق فيه القطار، وفقاً للعنوان والخارطة التي تم تزويدهم بها قبل مغادرتهم المستودع الذي زاروه قبل أيام.

وصل سالم وزوجته وصديقهما عادل الى محطة القطارات كازانسكي في الساعة السابعة صباحاً أي قبل انطلاق القطار بنصف ساعة، وهناك بحثوا عن القطار المتوجه الى إركوتسك وتعرفوا على مقطورتهم. أبرزوا تذاكرهم وأوراقهم الثبوتية للمسئول عن المقطورة، فحياهم ودعاهم للدخول والتوجه الى مقصورتيهم المتجاورتين. عثروا على أماكنهم بسهولة وقاموا بترتيب حاجياتهم ثم جلسوا جميعاً في مقصورة واحدة مترقبين تحرك القطار. كان الجو في ذلك اليوم لطيفاً ويبعث على التفاؤل. تطوع سالم بفتح نافذة المقصورة ليسمح للهواء النقي بالعبور.

تحتوي مقصورة الدرجة الأولى في القطارات الروسية على سريرين متقابلين وبينهما طاولة صغيرة مثبتة أسفل النافذة. عادة ما يكون النوم مريحاً داخل هذه المقصورات.

كانت المحطة تعج بالمسافرين والمستقبلين والباعة المتجولين الذين يحملون أصناف الطعام الجاهز أو المحضر في البيت. اقترب غلام من نافذة المقصورة حيث يجلس سالم ومن معه ورفع يده اليمنى ملوحاً بما يحمله من كعك السمسم، عندما لم يلحظ اهتماماً أخذ يعرض ما لديه من بضاعة أخرى في السلة التي كان يحملها على كتفه الأيسر ووضعها الآن على الأرض. نظر عادل إليه باهتمام وابتسم عندما تذكر

Twitter: @alqareah

مشهداً مماثلاً في محطات القطار المصرية. قررت نتاشا أن تشتري فطائر البطاطا المسلوقة فأشارت للغلام ذي الأربعة عشرة ربيعاً وفقاً لتقديرها بأن ينتظرها أمام مدخل المقطورة. سر الغلام كثيراً عندما اشترت نتاشا منه وأكرمته.

نقر أحدهم على باب المقصورة حيث يجلس الأصدقاء الثلاثة، فنهض عادل وكان الأقرب الى الباب ليفتحه ولكن الناقر فتح الباب بنفسه ودخل المقصورة ووضع مجموعة من المجلات على الطاولة وغادر بدون أن ينطق بكلمة واحدة. نظر عادل نحو المجلات ومد يده ليتصفحها. وقع نظره على صورة جعلته يسحب يده بسرعة وكأن عقرباً كان على وشك أن يلدغه. انفجر سالم وزوجته ضاحكين. لقد كانت مجلات خليعة تحتوي على صور لأجساد عارية تماماً. عاد صاحب المجلات بعد هنيهة فأشار سالم إليه بعينيه وهز رأسه ففهم البائع أنهم غير مهتمون بهذه النوعية من المجلات فرفعها عن الطاولة وخرج من المقصورة.

بعد دقائق انطلق القطار في موعده في رحلة ستستغرق 80 ساعة كاملة، سيقضونها في هذه المقصورة. لقد تنبئوا بأنها ستكون رحلة متعبة ولكنهم لم يبالوا.

في البداية تحرك القطار ببطء، ولكن مع الوقت وبعد أن خرج من حدود المدينة أخذ يزيد من سرعته، فهب الهواء عليلاً من النافذة فأخذت نتاشا نفساً عميقاً وكأنها تريد تنظيف رئتيها مما علق بهما من غبار الصحراء. تمنت لو تسنح الفرصة لها لتزور أهلها بعد الانتهاء من هذه الرحلة. لقد كانت خطتهم تقتضي زيارة البحيرة والتعرف على مكان سقوط القطار عن قرب، ثم المكوث هناك في أحد الفنادق لبعض الوقت الى أن يتلقوا رسمياً خبر فوزهم بالمسابقة، ليعودوا الى البحيرة

Twitter: @alqareah

بعد أن يتم إحضار الغواصة إليها، فيتلقوا تدريباً على قيادتها، ويبدؤون بمحاولات انتشال ما يخبئه القطار في جوفه من كنوز. كان على جواد وروستام أن يلحقا بهم الى موقع البحيرة مباشرة بمجرد تلقيهم لرسالة الكترونية تعلمهم بالفوز وبدء عملية التدريب.

قرر سالم بعد أخذ مشورة عادل ونتاشا أن يدّعوا في المرحلة المقبلة من الخطة أنهم جميعاً أعضاء في الفريق الفرنسي. كان يخشى في هذه المرحلة وبعد الإعلان عن الفريق الفائز أن يتعرضوا لموقف يطلب فيه منهم إبراز هوياتهم. لذلك فقد قام في نفس اليوم الذي وصل فيه الى موسكو بالاتصال بالمزور الذي استعان به قبل سنوات بعد أن حصل على رقم هاتفه من صديقه المغربي الذي بات يعمل الآن في المصانع الكندية. من حسن الحظ كان لا يزال يحتفظ برقم هاتف المزور، عله يحتاجه في استخراج شهادة ما له أو لأحد من أقربائه وأصدقائه.

أرسل سالم للمزور بالبريد الالكتروني صوراً شخصية لأعضاء الفريق جميعهم بما فيهم جواد وروستام، وطلب تجهيز جوازات سفر فرنسية بأسماء أعضاء الفريق الحقيقيين بعثها الى المزور أيضاً مع بياناتهم. أخبره المزور أنه يحتاج الى أسبوع لينهي عمله وأن العملية ستكلفه ألف دولار أمريكي عن كل جواز سفر، أي ما مجموعه خمسة آلاف دولار للأعضاء الخمسة. لم يجادل سالم بخصوص المبلغ، ولكنه طلب التعجيل في تجهيز الجوازات، ووصلا الى اتفاق بتسليم الجوازات خلال يومين اثنين على أن يدفع سالم ألفاً إضافية. أخبره المزور أن الجوازات تصلح للسفر الى أي مكان خارج منطقة الاتحاد الأوروبي، أما داخل الاتحاد فسيتم اكتشاف التزوير فوراً. لم ينوي سالم استخدام الجوازات في السفر.

طلب المزور من سالم تسليم نصف المبلغ باليد الى أحد أقربائه

Twitter: @alqareah

في موسكو، على أن يدفع النصف الآخر من المبلغ بعد استلامه جوازات السفر، وكان مثل ما وعد. فقد التقى سالم في الليلة السابقة لسفرهم بالقطار بالشخص الذي سلمه النقود قبل ليلتين، وأخذ منه جوازات السفر المزورة وتفقدها سريعاً ثم سلمه النصف الثاني من المبلغ. الآن بات بحوزة سالم خمسة جوازات مزورة تحمل صور أعضاء فريقه ولكن بهويات فرنسية.

تمنى سالم أن لا يضطر لاستخدام هذه الجوازات. لقد أنفق سالم الكثير من مدخراته على هذه المغامرة، ولكنه في قرارة نفسه كان واثقاً أنه سيحصل على أضعاف مضاعفة لما أنفقه.

أخذت الخضرة تزيد من حولهم، وها هو القطار يترك العمران ويشق طريقه عبر الحقول. استقبلتهم أميال من زهور دوار الشمس التي نمت واشتد عودها وثقل حملها واقترب موعد حصادها. بدت من بعيد كأفواج المصلين في الحج وهم يركعون ويسجدون لخالقهم. لم يذق سالم أطيب من بذور دوار الشمس التي تخرجها هذه الأرض. لقد كان يفضلها على الفستق واللوز، بحجمها الكبير وطعمها اللذيذ الغني بالزيوت الخفيفة. في أوكرانيا عندما كان يدرس هناك كان يتحرى شراء البذور المحمصة جيداً والتي يتركها صاحبها لتلدعها الحرارة قليلاً فيخرج لبها ذهبي اللون.

انقضت حقول دوار الشمس وحل محلها حقول القمح الذهبية، بسيقانها المتراقصة في تناغم عجيب مع حركة الرياح، وكأنها تقدم للعابرين حذوها عرضاً لرقصات الباليه الروسية الشهيرة.

العين بحاجة الى نزهة كحاجة باقي الجسد. لا تصلح الصحاري لنزهة العين وإن شيدت فيها الأبراج الشاهقة والبنايات الضخمة.

كان الصمت مخيماً على المسافرين الثلاثة، فقد سافرت أرواحهم

Twitter: @alqareah

الى نواح مختلفة بعيدة عن الوجهة التي اختارتها أجسادهم. فأما عادل فكان منهمكاً بزيارة عائلته في مصر. لقد استقبلوه استقبالاً حاراً وفرحوا كثيراً بالهدايا القيمة التي عاد بها بعد طول غياب. زوجته طارت فرحاً بالعقد الذهبي الذي زين جيدها. لقد غيرت أسلوبها في الحديث معه، وعادت كما عرفها فترة الخطوبة تشع عيونها بالحب. الذهب بالفعل يصنع المعجزات وليس الحب.

نتاشا كانت تفكر بعائلتها الصغيرة في مدينة خاركوف في أوكرانيا، كم تود لو تأخذهم في حضنها، وتنتشلهم من فقرهم. لقد كانت تبعث لهم قسماً كبيراً من راتبها كل شهر بعلم زوجها الذي شجعها على ذلك، واستشهد بحكمة عربية تقول من ليس فيه خير لأهله، ليس فيه خير لأحد. لم تكن نتاشا مقتنعة بهذه المغامرة ولا زالت غير مقتنعة بالدافع الذي يدفعهم لتعريض أنفسهم لهذه الأخطار. لكنها لن تتخلى عن زوجها، فما دام هو تواقاً لهذه المغامرة فهي معه في ذلك، وستقف معه في المنشط والمكره.

سالم وعلى غير المتوقع كان يفكر بشقيقه التوأم الذي فقده في تحطم الطائرة التي أقلتهم الى أوكرانيا. يا ترى لو كان شقيقه سليماً على قيد الحياة هل كان سيشترك معه في هذه المغامرة؟ تذكر كم كان شقيقه سليم يتحرى الحلال ويتقي الشبهات في كل ما يفعله. فهل يعقل أن يشارك في عملية كهذه؟ سيدعوها عملية نصب ما من شك، ولربما أثر على سالم فردعه عن المضي قدماً في تنفيذها.

كان عادل أول العائدين الى الواقع من سفره البعيد، عندما لاحظ تغير الجو في الخارج واشتداد الريح، وتلبد السماء بالغيوم إيذاناً بهطول قريب للأمطار.

كان سالم لا يزال مستغرقاً في شروده عندما طلب منه عادل إغلاق

Twitter: @alqareah

النافذة. كرر طلبه ثانية فانتبهت نتاشا هذه المرة وربتت على كتف زوجها وهي تنهض لتقفل النافذة.

أين سرحت بفكرك يا ابن فلسطين؟ انتظر عادل ثانية ثم أردف قائلاً وهو ينظر الى نتاشا بعيون مرحة احذري يا نتاشا فكثرة شرود الرجل قد تعني تعلقه بأخرى يتخيلها كلما سنحت الفرصة.

ابتسمت نتاشا وهي تهز رأسها رافضة تصديق هذه الفكرة.

لم أسرح ولم أشرد ولكني كنت مستمتعاً بالمنظر أمامي. فللخضرة قدرة عجيبة على بث الطمأنينة والسكينة في نفس الإنسان وتحسين مزاجه.

ما شاء الله. أصبحت تتلفظ بالحكم. أكل هذا من تأثير جمال الطبيعة عليك، أو لعله تفاؤل بقرب الحصول على الذهب؟. تساءل عادل مبتسماً.

كل ما ذكرته إضافة للوجه الحسن غمز زوجته بعينه فأخفضت وجهها خجلاً من مغازلة زوجها الصريحة.

أراد عادل أن يعلق على جملة سالم، ولكن الأخير غير الموضوع وسأل ما الذي تتوقع أن نفعله عندما نصل الى البحيرة؟

سنتعرف على الموقع المرجح لغرق القطار، وربما اصطحبونا في جولة في البحيرة لنتعرف أكثر على جوها والظروف التي سنعمل فيها في حال الفوز، ومن المحتمل أن يعطونا نبذة تاريخية عن المكان والمحاولات السابقة التي جرت لانتشال القطار وأسباب فشلها. إضافة لبعض المعلومات التفصيلية عن عمق المياه ودرجة حرارتها ومدى صفائها. بالطبع هذا كله مجرد تخمين، وعندما نصل سنعرف حقيقة الأمر.

في الخارج بدأت قطرات من المياه تطرق نافذة مقصورتهم، وتتسلل عبر الشق المفتوح لتكتشف ما يجول داخل المقصورة. خلال

Twitter: @alqareah

دقائق ابتلت الطاولة الصغيرة المثبتة تحت النافذة بماء المطر، فنهض سالم وأغلق الشق.

أخذت نتاشا تراقب تسارع سقوط حبات المطر، والتي شبهتها بسهام تم إطلاقها من السماء ولكن لا لتقتل المخلوقات بل لتحييهم. غُسلت الأشجار والأعشاب في الخارج بماء السماء فانتعشت وتزينت ببريق انعكس عن أوراقها.

مرت الساعات وحل المساء وانخفضت سرعة القطار الى أن توقف في محطة كبيرة. كان النعاس قد بدأ يداعب جفون الأصدقاء فلم يلتفتوا للافتة الكبيرة التي كتب عليها اسم المدينة التي دخلوها للتو.

كان المشهد في الخارج شبيهاً بالمشهد في محطة موسكو فالازدحام هو نفسه وها هم الباعة المتجولون قد اقتربوا من القطار ليعرضوا بضاعتهم. لقد كان من الواضح من ملابس المارة وهيئتهم أن أهل هذه المدينة أفقر من سكان العاصمة وهو أمر طبيعي ومتوقع.

استغرب عادل عندما رأى كثيراً من النساء في الخارج يغطين رؤوسهن. استفسر عن الأمر فأخبره سالم أنه يرجح أن يكونوا قد وصلوا الى مدينة قازان، عاصمة جمهورية تتارستان والتي تتمتع بالحكم الذاتي، وتقطنها غالبية مسلمة.

سمعت نتاشا صوتاً قادماً من المحطة يعلن بأن القطار الذي وصل للتو من موسكو سيمكث لمدة نصف ساعة. اقترحت على زوجها ورفيقه أن يخرجوا للتنزه قليلاً في المحطة لتحريك الدم في أعضائهم بعد هذا الجلوس الطويل. استجاب سالم لاقتراحها أما عادل فأخبرهما أنه يشعر بالنعاس وسيتوجه الى قمرته لينال قسطاً من النوم.

أقفل سالم مقصورته جيداً، وأخذ معه ما يحمله من نقود خوفاً من السرقة، وخرج مع زوجته الى الهواء الطلق. تمشيا قليلاً في الخارج

Twitter: @alqareah

واشتريا بعض فطائر اللحم التي أكدت بائعته أنه معد من لحم حلال. توجهت نتاشا الى حمام النساء فانتظرها زوجها في الخارج، وأخذ يراقب الرائح والغادي. كان المطر قد توقف عن الهطول وأصبح الجو مائلاً الى البرودة. استطاع تمييز النساء المسلمات بغطاء رؤوسهن، والرجال المسلمين بالطاقية المزركشة دائرية الشكل التي يضعونها فوق رؤوسهم. كان من الواضح أن المسلمين في هذه المدينة حريصون على تميزهم عن الروس.

فجأة صدح المؤذنون في المساجد القريبة بأذان صلاة العشاء. أحس سالم بشعور لطيف جاءه من الأعماق وكأنه شعور مكتسب من أخيه التوأم الذي كان يحرص على أداء الصلاة في وقتها في المسجد. منذ أن فقد سالم أخاه وهو يحرص قدر الإمكان على عدم تضييع الصلاة. كان يكتفي في أغلب الأحيان بصلاة الفريضة وينوي في نفسه في كل مرة أن يضيف الى الفرائض بعض النوافل في المستقبل القريب. قبل أن يصل القطار الى هذه المدينة وبعد أن حل المساء وغابت الشمس، صلى سالم بصحبة عادل صلاة المغرب والعشاء، جمعاً وقصراً جلوساً في القمرة.

انتبه سالم من تأملاته عندما وجد نتاشا قد أصبحت أمامه فصعد معها الى القطار وعادا الى مقصورتهما.

تحرك القطار بعد انقضاء النصف ساعة. أخذ سالم ونتاشا يتناولان ما احضراه من فطائر وأبقيا بعضاً منها من أجل عادل ليتناولها عندما يستيقظ.

كانت الساعة تقترب من التاسعة مساءً عندما قرر الزوجان أن يخلدا للنوم. تطوعت نتاشا فأعدت السريرين، وأقفل سالم باب المقصورة بإحكام من الداخل، وانسل تحت الغطاء على سريره بعد أن لبس منامته،

Twitter: @alqareah

واضطجع على جانبه الأيمن فأصبح مقابلاً لوجه زوجته. والتي كانت مضطجعة على شقها الأيسر. وجدها تبتسم فابتسم بدوره ولم يسألها عن سر ابتسامتها. كان مستمتعاً بالنظر الى وجهها الجميل الذي زاده ضوء القمر المتسلل من بين الغيوم تألقاً وإشراقاً. مد يده ومسد بباطن كفه الأيسر الجانب الظاهر من وجه زوجته. استمتعت نتاشا بلمسة كفه وأغمضت عيناها، فأغمض عينيه واقترب منها بروحه.

في الصباح الباكر كان عادل أول المستيقظين، بعد ليلة طويلة تقلب فيها كثيراً. كانت المرة الأولى التي ينام فيها في قطار. كان عادل من أولئك الأشخاص الذين يجدون صعوبة في التأقلم على النوم بعيداً عن أسرتهم التي اعتادوا عليها. نهض وغسل وجهه وبدل ملابسه ثم جلس ينظر من نافذة مقصورته الى الطريق المظلل بالأشجار المورقة. كان القطار حينها يمر عبر غابة مترامية الأطراف.

نظر عادل الى ساعة يده فوجدها تشير الى الثامنة صباحاً. عزم على إيقاظ سالم ليتناول معه القهوة الصباحية وهم لينهض ويتوجه الى مقصورته، ولكنه تذكر أن سالم بصحبة زوجته ولن يكون من اللائق طرق الباب عليهما وهما نائمين. بدلاً من ذلك اتصل بهاتف سالم وانتظر الى أن رن جرس الهاتف رنتين وأقفل الخط. كان باستطاعة عادل سماع صوت رنين هاتف سالم من محله، فمقصورتاهما متجاورتان. ابتسم عادل وكاد أن يضحك عندما سمع جلبة في مقصورة سالم بعد أن أقفل الخط. استنتج أن سالم وربما نتاشا أو كلاهما قد نهض فزعاً على الصوت العالي لرنين جرس الهاتف.

بعد دقائق كان الثلاثة يجلسون سوية ويرتشفون القهوة التي طلب سالم من مسئول المقطورة تحضيرها لهم، وهو أمر متعارف عليه، إذ يدخل في مسئوليته ومهامه إعداد القهوة والشاي وتوزيع الفرش والأغطية

Twitter: @alqareah

وتفقد التذاكر، والعناية بنظافة المقطورة.

كان الجو مشمساً ذلك الصباح بعد أن صبت السماء مخزونها من الأمطار طوال الليل. فتحت نتاشا النافذة وأعدت فطوراً سريعاً بما كان لديها من خبز وأجبان وفطائر. رفض عادل تناول الفطائر لأنه وعلى حد قوله لا يأكل شيئاً مجهول المصدر، كما أنه لم يعتد على أكل اللحوم في الصباح الباكر.

بعد انتهائهم من تناول الفطور أخرجت نتاشا من حقيبتها رواية باللغة الروسية أخذت تقرأها، بينما انهمك زوجها وعادل بتوزيع أوراق اللعب والانتقال من لعبة الى أخرى، وكلها ألعاب لم تكن نتاشا تعرفها أو تهتم بلعبها.

انقضى ذلك اليوم سريعاً هو الآخر وتوقف القطار في عدة محطات. لاحظ عادل الكثير من المساجد في الطريق الى محطة أوفا فأخبره سالم أن أوفا هي عاصمة لجمهورية أخرى تسمى بشكيريا أو بشكيرستان وهي أيضاً تتمتع بحكم ذاتي ويسكنها الكثير من المسلمين.

شيئاً فشيئاً كان الجو يزداد برودة مع عبورهم الأقاليم السيبيرية. كاد الملل أن يتسلل الى نفوس سالم وزوجته وصاحبه لولا تبدل المناظر في الخارج فقد اختفت الحقول، وحل محلها الجبال الشاهقة المكسوة بخضرة الغابات، والمتزينة بما ينبع من قممها بين الفينة والأخرى من شلالات مائية بديعة تصب في بحيرات تتلألأ تحت ضوء الشمس وكأنها فضة مسالة، فترسم صورة غاية في الروعة سلبت لب عادل وانتباهه، فهو لم يسبق له رؤية الجبال عن قرب من قبل. وحتى نتاشا أُخذت بالمنظر، فمدينتها التي نشأت فيها في أوكرانيا كانت مدينة منبسطة.

لقد سبق لسالم أن رأى الجبال من قبل، ولكن ذلك لم يمنعه من الاستمتاع بالمنظر. فقلما تجتمع الخضرة بالبياض. خضرة الغابات

Twitter: @alqareah

وبياض الثلوج القابعة على قمم الجبال. لا إرادياً أخرج عادل كاميرته من حقيبته وأخذ يلتقط الصور. تمنى لو يتوقف القطار هنا في الخلاء ليحصل على صور واضحة لهذه المنطقة التي بدت له قطعة من الجنة، وتساءل في نفسه رغماً عنه: إن كانت الأرض بهذا الجمال فكيف هي الجنة.

قبيل المغيب تناولوا غداءهم وكان عبارة عن شطائر محضرة من شرحات لحم المرتاديلا المحفوظة. تناولها عادل رغماً عنه بينما استمتع سالم وزوجته بمذاقها الذي امتزج بروعة المنظر في الخارج.

كانت ليلتهم الثانية أشد برودة من الأولى. أحكم سالم إغلاق النافذة وطلب من القيم على المقطورة أن يمدهم بمزيد من الأغطية الصوفية.

استيقظ سالم في صباح اليوم التالي على اتصال هاتفي من الإمارات. كان روستام، وقد اتصل ليطمئن على حال أصدقائه الذين انقطعت أخبارهم منذ أن وطأت أقدامهم الأراضي الروسية. طمأنه سالم وأعطاه موجزاً لما مروا به حتى الآن، وأخبره أنهم سيصلون الى مدينة إركوتسك عصر يوم الغد، ليتابعوا طريقهم بالسيارة نحو البحيرة. لم يخبره سالم بخصوص جوازات السفر المزورة.

قرروا هذا اليوم أن يقضوا الوقت بلعب الشطرنج، فلعب سالم مع عادل أولاً واكتفت نتاشا بالمشاهدة وتشجيع زوجها الذي صمد طويلاً قبل أن يقع في كمين محكم أعده عادل له إذ وضعه في موقف حرج عندما شن عليه هجوماً مزدوجاً بحصانه فاستهدف الملك والوزير في حركة واحدة. اضطر سالم لحماية الملك والتضحية بالوزير ليفاجأ بالبيدق الذي ترصد للملك بمجرد أن تحرك الحصان.

جاء دور نتاشا الآن لتنتقم لزوجها أو تلحق به. حاولت ومنذ البداية أن توحي لعادل أنها مبتدئة ولا تحسن فنون هذه اللعبة وقواعدها، وكانت

Twitter: @alqareah

تسأله بين الحين والآخر عن جواز تحريك قطعة ما باتجاه ما، الى أن أمن جانبها وتوقع أن يفوز عليها بمنتهى السهولة، وتدريجياً نجحت نتاشا في إقناع عادل بالتنازل عن حذره الشديد الذي التزمه في المباراة مع زوجها، الى أن حانت الفرصة فضربت ضربتها، وانقضت عليه كأفعى متربصة، وهزمته في غفلة منه واندهاش عندما وجد ملكه محاصراً بقطعتين لم يسمحا له بالفرار. وهكذا انتصرت نتاشا، فعلق عادل بقوله باللغة العربية إن كيدكن عظيم. ترجم سالم مقولة عادل فانفجرت نتاشا بالضحك.

توقف القطار في مدينة أومسك فترة كافية نزلوا فيها فتبضعوا وتنزهوا، والتقط عادل مزيداً من الصور. هذه المرة كان عادل هو من اشترى الطعام بعد أن طلب من سالم ونتاشا تعليمه بعض الكلمات.

خْليب ومعناها خبز، باميدورا وتعني طماطم. مالاكو وهو الحليب. وكلمات أخرى ضحك سالم وزوجته كثيراً عندما رددها عادل بلكنة مصرية محببة.

لم يشعر سالم وزوجته بالنعاس في ليلتهما الثالثة في القطار، وقضيا معظم الليل ينصتان الى قصص الجن المرعبة التي أخذ عادل يرويها لهما، وهو يؤكد أنها قصص حقيقية من الواقع حدثت له أو لأحد المقربين الثقات في صعيد مصر حيث اعتاد زيارة بعد أصدقائه هناك. أخبرهما عن عائلة من معارفه سكنت شطر منزل وتركت الشطر الثاني لعائلة من الجن لتسكن فيه. وقص عليهم تلك الحادثة عندما استيقظ في جوف الليل في إحدى الليالي القمراء، ليجد مخلوقاً غريب الشكل يقف على رأس شقيقه المستغرق في النوم. وصفه لهما بأنه كان على هيئة صبي في السادسة من عمره أخضر الجلد عظيم الرأس طويل الأذنين، عيناه تدور في محاجرهما بشكل مرعب. أخبرهما أنه في البداية ظن نفسه واهماً ففرك عينيه ولكن لم يختفي الجني صغير الحجم. استعاذ

Twitter: @alqareah

بالله من الشيطان الرجيم فانفتح في الأرض ثقب صغير امتص الجني وكأنه دخان.

التصقت نتاشا بزوجها وتكومت على نفسها وظهر على وجهها أمارات الفزع. وهي تستمع الى حكايات عادل التي أبدع في روايتها بأن اختار الكلمات بعناية وغير من نبرة صوته لتتناسب مع جو الرعب والإثارة الذي حاول أن يضفيه على حكاياته. أما سالم فقد تصنع الخوف هو الآخر ليجعل لكلام عادل وقعاً أكبر في نفس نتاشا التي لم يسبق لها أن سمعت عن الجن.

عندما أيقن عادل أن نتاشا أصبحت على وشك الانهيار ختم حكاياته بقصة ادعى أنها جرت له مع أحد أصدقائه عندما قررا زيارة قبر أحد معارفهما في ليلة كانا يشعران بها بقرب من الله وبحاجتهما لتذكر الموت هاذم اللذات. توجها الى المقبرة وكانت مغلقة في ذلك الوقت فاحتالا على الحارس ودخلا في غفلة منه. كان الظلام دامساً في تلك الليلة التي تستر فيها القمر خلف الغيوم. فوجد عادل وصاحبه صعوبة في التعرف على موضع القبر الذي جاءا لزيارته، وهكذا أخذا يمشيان ببطء خلف بعضهما، وعادل واضع يده على كتف صديقه الذي كان يتقدمه في المشي ويتحسس شواهد القبور بحثاً عن علامة فارقة تذكر أنها تميز شاهد القبر، وكانت عبارة عن ثلاث نجوم نافرة. كانت الشواهد تمر بين يديه قصيرة وطويلة ناعمة وخشنة، الى أن وصل الى شاهد تبين من ملمسه أنه شاهد مصنوع من الرخام وأحس في أعلاه ما بدا له أنه أجسام معدنية نافرة. توقف حينها عن المشي فأحس عادل بذلك وتوقف هو الآخر ورفع يده عن كتف صاحبه. تأكد زميله أنهم وصلوا الى القبر المطلوب ولكنه شعر بيدي عادل وقد عادتا لتطبق على كتفيه فتلفت جهة عادل.

Twitter: @alqareah

في هذه اللحظة توقف عادل عن الكلام وهو يمثل التفاتة صديقه الى الوراء..... وفجأة وفي لمح البصر التفت عادل مجدداً ناحية سالم وزوجته ورفع يديه وصاح فيهما بصوت عالٍ وبكلمة واحدة بوووووو. قفزت نتاشا من مكانها وصرخت صرخة مدوية أفاق الجيران في المقصورات الأخرى على صوتها بينما انفجر عادل وسالم ضاحكين. في تلك اللحظة فهمت نتاشا المقلب، فانهالت على زوجها ضرباً بكلتي قبضتيها. وهو غير قادر على تمالك نفسه من شدة الضحك. انسحب عادل وودعهما وتوجه الى غرفته ضاحكاً، ولكن هذه المرة على مصير صديقه.

قضت نتاشا ليلة مرعبة حاصرتها فيها الكوابيس من كل جانب، فما تكاد تفر من أحدها إلا ويتلقفها آخر. أحس سالم بتأنيب الضمير عندما استيقظ في ليلته مراراً على صوت زوجته المرتعبة في نومها. أخيراً قرر أن يحتضنها فيما تبقى من ليل عل ذلك يخفف من فزعها. وهكذا استلقى الى جانبها على سريرها الضيق وأغمض عينيه، فسكنت نفسها وهدأت روحها وانصرفت الكوابيس.

في اليوم التالي استيقظوا جميعاً باكراً، وجهزوا حاجياتهم استعداداً للوصول. وفقاً للتذاكر التي بين أيديهم سيصلون مدينة إركوتسك عصراً في الساعة الرابعة. وفقاً للمسئول عن المقطورة ربما يصلون أبكر بنصف ساعة.

كان الجو جميلاً في ذلك اليوم، فلا أمطار ولا رياح عاتية، وإنما نسيم عليل وشمس ساطعة وسماء زرقاء صافية. كان جواً باعثاً على الأمل.

وصل القطار الى محطته الأخيرة في تمام الساعة الرابعة إلا عشر دقائق. نزلوا من مقطورتهم وأخذوا يلوحون بأيديهم ويجرون في أماكنهم

Twitter: @alqareah

لإعادة توزيع الدم في أجسادهم وتليين عضلاتهم بعد هذا الجلوس الطويل.

ركبوا سيارة أجرة كانت متوقفة بالقرب من المحطة. طلب سالم من سائقها أن يأخذهم الى فندق بايكال الواقع في قرية ليستفيانكا. مد يده ليعطيه العنوان الذي زودوهم به في المستودع. أخبره السائق أنه يعرف العنوان جيداً.

مروا في طريقهم بالعديد من المناظر الرائعة التي تصلح لتكون لوحات زيتية معلقة لتزين الجدران. التقط عادل عشرات الصور في الطريق، واستوقف السائق عدة مرات لالتقاط المزيد منها. فهذه شجرة ضخمة غريبة الشكل، وهذا انحدار لجبل كسته أشجار الغابات، وهذا حقل بديع من الورود الحمراء.

وصلوا أخيراً الى الفندق بعد ساعة من انطلاقهم من محطة القطارات. كان فندقاً متواضعاً ذا ثلاث نجوم، ومكوناً من ثلاثة طوابق. رحب بهم موظف الاستقبال وكأنه يتوقع وصولهم. طلب منهم أوراقاً ثبوتية ليسجل بياناتهم الشخصية. تعمد سالم أن يتحدث لغة انجليزية بلكنة فرنسية، وتبادل مع زوجته وصديقه نظرات خاطفة قبل أن يفتح حقيبة يده، ويخرج منها الجوازات المزورة ويعطيها لموظف الاستقبال. من تلك اللحظة أصبح سالم يدعى بيير وعادل تحول الى أندريه، أما نتاشا فكان نصيبها أن تحمل اسم العالمة مارسيل.

صعدوا الى غرفتيهم المتجاورتين في الطابق الثالث. أعجبت نتاشا بغرفتها المفردة ذات الأثاث المتواضع والفرش النظيف والشرفة التي تطل على منظر خلاب لبحيرة بايكال والتي لكبرها يظن الرائي أنها بحر مترامي الأطراف. كان على نتاشا أن تبقى وحيدة في الغرفة هذه المرة، فمارسيل متزوجة وليس من اللائق أن تنام في غرفة واحدة مع

Twitter: @alqareah

زميلها في العمل بيير.

لم يسلم بيير من تعليقات صديقه أندريه والذي أخذ يتحسر متهكماً على الظروف التي فرقت بين الحبيبين. كانت الشمس لا تزال متربعة في كبد السماء ومستمتعة بإمتاع الخلائق بأشعتها الذهبية التي نشرتها شرقاً وغرباً. تخلص بيير من إزعاج صاحبه بأن دعاه في البداية للخروج الى الشرفة لالتقاط ما شاء من الصور قبل أن تغيب الشمس فيتعذر عليه ذلك. عرض عليه بمكر بعدها أن يذهب إن شاء للتنزه حول الفندق لتصوير البحيرة من زوايا مختلفة. نجحت خطة بيير في استغلال شغف صديقه بالتصوير، واستجاب أندريه للإغراء وخرج من الغرفة وتوجه الى خارج الفندق.

اجتمع الزوجان أخيراً في خلوة كان كلاهما بحاجة إليها.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل الخامس والعشرون

المزيد من الأسرار

لوح ميخا بيده لزوجته عندما رآها تقبل من بعيد في الممر الطويل الذي يفصل المسافرين عن مستقبليهم في مطار دبي الدولي. عانقها طويلاً بحرارة وعانقته بحب غير مصطنع. انطلقا سوياً بسيارته التي قادها بنفسه بعد أن اعتاد على الطرق وحفظ أسماء الشوارع العربية. طمأنته على كاتيا وأكدت له أن ابنتهما ما عادت بحاجة الى مرافقتها، وأن صحتها عادت كما كانت قبل الحادث وربما أفضل، نظراً للعناية التي حظيت بها من قبل الخبراء في التغذية والعلاج الطبيعي. كانت تتيانا تتحدث بحماس وفرح وبهجة وكأنها عروس زُفّت حديثاً الى زوجها. أخذ ميخا يراقبها مستغرباً، أهي ممثلة بارعة الى هذا الحد؟ أم تراه تعرّض الى خدعة من سيرغي لينقذ نفسه ويلقي بالتهمة جزافاً على تتيانا. كانت الهواجس تلعب بعقله وتأخذه يمنة ويسرة. كادت الحيرة تفقده تركيزه أثناء قيادته عندما انحرفت سيارته عن حارتها، وكادت تصطدم بسيارة مسرعة عن يسارها لولا قيام سائق السيارة الأخرى بالضغط على الزامور مما نبه ميخا وأعاده الى صوابه. شتمت تتيانا السائق الآخر ظناً منها أنه الملام. عزم ميخا على أن يفاتحها بشكوكه حال وصولهما الى الشقة. لم يعد قادراً على تأخير الأمر أكثر من ذلك.

كانت الساعة تقترب من التاسعة صباحاً عندما وصلا الى شقتهما

Twitter: @alqareah

الفارهة. استغرق الطريق قرابة النصف ساعة. أثنت تتيانا على زوجها عندما رأت الشقة واكتشفت أنه حافظ على ترتيبها. بالطبع كانت تأتيه خادمة تنظف الشقة مرتين في الأسبوع. تتيانا لم تعرف ذلك ولم يخطر ببالها، مع أنه أمر بديهي.

انتظر ميخا الى أن ارتاحت زوجته وبدلت ملابسها وجلست بقربه على الأريكة الوثيرة في الصالة الفسيحة. أخذ ميخا يبحث عن طريقة يبدأ فيها الحوار، ويبث لزوجته ما يعتمل في صدره.

سألها عن الشهور التي قضتها بصحبة كاتيا في نيويورك، ولكنه لم يسمح لها بالإسهاب في ذكر ما لاقته هناك. غير الموضوع بأن سألها عن لينا وان كانت على اتصال مستمر بها أم لا، ثم حول بعدها مجرى الحديث فسألها دون أن ينظر في عينيها هل سمعت خبراً يخصني أو يخص أعمالي في الفترة التي قضيتها في نيويورك؟

لم أكن أتابع الأخبار الروسية، فقد كان جل اهتمامي منصباً على صحة كاتيا كانت تحاول أن تراوغ، استنتج ميخا.

هل يعقل أن لا تنقل صويحباتك لك آخر الأخبار؟ لاحقها مجدداً.

صويحباتي ينقلن لي أخبارهن الخاصة إضافة الى أخبار الموضة وحسب تسللت من جانب وجهها من منبت الشعر قطرة من العرق لم يفت ميخا ملاحظتها.

قرر أن يرغمها على التوقف عن المراوغة فسألها بنبرة ارتفعت حدتها أتزعمين أنك لا تعرفين شيئاً عن الاتهامات التي وجهتها لي الصحافة بأني على علاقة بالمخابرات الإسرائيلية.

لقد سمعت بذلك ولكني لم أشأ أن أضايقك بالحديث في هذا الأمر المزعج أجابت بصوت منخفض.

علت نبرته أكثر وهل تنكرين أنك أنت من سرب الخبر للصحافة؟

Twitter: @alqareah

وقع عليها الاتهام وقع الصاعقة، فتكلمت بعصبية ماذا تقول؟ هل جننت؟ أو تظنني خائنة لأفعل ذلك بزوجي؟ اهتز جسدها من شدة التوتر.

لم يعبأ ميخا بها بل أحكم حصاره لها عندما سألها بنبرة تفيض بالاتهام وهل تنكرين أنك تسللت مراراً الى مكتبي وعبثت بمستنداتي بدون إذن مني، بل وأخفيت ذلك عني؟ قبل أن تجيب وكي لا يسمح لها بأي مراوغة هددها قائلاً لا تحاولي الإنكار فلدي في مكتبي تسجيلاً مصوراً يؤكد ما أقوله.

لم تكن مستعدة لتلقي هذا الخبر. فتحت فمها لترد، ولكنها توقفت وأطرقت برأسها وبدا عليها الاستسلام. غطت وجهها بكلتي يديها وأخذت تبكي بهدوء. تسللت الدموع من بين كفيها. قالت بصوت بالكاد مسموع أنا آسفة ثم أجهشت بالبكاء. بعد دقائق طويلة توقف نحيبها ورفعت رأسها فظهرت عيناها بلون الدم من شدة البكاء. إعلم أنني لم أخُنك وقد حاولت جهدي أن أكتم الأمر، وأقنعت نفسي البلهاء أن أمراً كهذا يمكن إخفاؤه ولكني كنت مخطئة وغبية وحمقاء.

كل ذلك وميخا صامت لا يقاطعها.

سأخبرك الحقيقة كاملة، ولك مطلق الحرية في فعل ما تراه مناسباً بحقي بعد أن تستمع لمبرراتي. هدأت قليلاً وعدلت من جلستها ونظرت الى زوجها بعيون متعبة هدها الإرهاق وكتم الأسرار.

في ليلة كئيبة قبل شهور وبينما كنتَ تغط في نوم عميق، كنتُ أنا مستيقظة أنتظر رجوع لينا من الخارج. كانت الساعة تقترب من الثالثة بعد منتصف الليل عندما دخلت لينا القصر وهي تترنح من شدة السُّكْر. أخذتها بين ذراعيّ وقلبي يكاد يتوقف من شدة القلق. أخذَت تهذي بكلام غير مفهوم سأنتقم منه سأخسف به وبشركاته الأرض سيتمنى وقتها لو لم ينجب أبداً، وسأشعر أنا بطعم النصر.

Twitter: @alqareah

أخذتها من يدها فغسلت وجهها وأعددت لها كوباً من القهوة المركزة علها تعود الى رشدها. بعد جهد جهيد تحسنت حالتها ثم غفت قليلاً. بقيت الى جانبها منتظرة أن تستيقظ لأطمئن عليها وأعرف منها سر ما كانت تهذي به وهي سكرى. بعد ساعة أو أقل استيقظَت فوجدتني الى جانبها، مدت يديها واحتضنتني فاحتضنتها وربت على كتفيها ومسدت ظهرها.

أخذت تبكي فأشفقت عليها وسألتها عما ألمّ بها. بعد صمت طويل أخذت تحدثني وتبوح لي بأسرارها التي فسرت هذيانها. لقد ظننتُ أنها كانت تتحدث في سكرها عن شخص غريب أساء لها في إحدى الحانات التي تتردد عليها. فوجئت عندما أخبرتني أنها كانت تتحدث عنك أنت راقبت تتيانا علامات الدهشة على وجه زوجها.

لقد أخبرَتني بأمر ارتعدت له فرائصي. لقد زعمت أن المخابرات الروسية كانت على اتصال بها، وقامت بتجنيدها لحسابها، وطلبت منها أمراً غاية في الأهمية لحماية الأمن القومي الروسي على حد قولها. في البداية لم أصدقها وظننت أنها تحاول أن تعطي لنفسها أهمية مبالغ بها عن طريق اختراع هذه القصة. ولكنها عندما أخبرتني أن ضابط المخابرات الروسية طلب منها الحصول على وثائق هامة من خزنة سرية خاصة بك تخفيها في مكتبك، بدأت أشك في أنها تقول الحقيقة.

في اليوم التالي ذهبت الى مكتبك بعد انقضاء ساعات العمل وأخذت أبحث عن الخزنة في مكتبك ولكني لم أجدها، فعاودتني الشكوك. لم أخبر لينا في ذلك اليوم بأني ذهبت لاستقصاء الأمر، بل حاولت أن أبين لها عدم اقتناعي بما ادعته وأني لم أعد أصدقها. في تلك الليلة أعطتني مزيداً من التفاصيل إذ أخبرتني أن الخزنة ووفقاً لضابط المخابرات تقع خلف حائط سري في غرفة الأرشيف، والأغرب من ذلك

Twitter: @alqareah

أنها أعطتني الكلمة السرية التي تفتح بها الخزنة.

كانت الدهشة قد ألجمت ميخا فلم يعلق بكلمة واحدة واكتفى بالتحديق بزوجته بعيون اتسعت حدقاتها.

لم تكن لينا على علم بماهية الوثائق المستهدفة، وكان مطلوباً منها فقط أن تحصل على صور من جميع المستندات التي تجدها في الخزنة. أخبرتني لينا أنها عبّرت عن استغرابها لضابط المخابرات لطلبه منها القيام بمهمة يستطيع توكيلها لأحد أفراد جهازه المدربين. قالت لي أنه أجابها يومها بأنهم لا يريدون جلب الأنظار ويفضلون أن يقوم بالمهمة شخص بعيد عن الشبهة. لم تقتنع هي بمبرراته ولم أقتنع أنا كذلك. لكني أيقنت أن لينا مقدمة على التورط بأمر غاية في الخطورة والتعقيد. وهكذا عزمت على أخذ هذه المستندات بنفسي وإخفائها عن أعين الجميع الى أن تسنح الفرصة لي لأتحدث معك بهدوء عن كل ما يجري. لقد كان هدفي حماية لينا من نفسها، وحمايتك أنت من كيد رجال المخابرات وألاعيبهم. أنا أعرف أنك تعاتبني الآن لأني لم أخبرك فوراً بالأمر، لكني وقتها كنت أشعر بقلق كبير على لينا وخشيت أن تسيء إليها وأن تكتشف المخابرات أنها باحت لنا بالأمر فينتقمون منها.

وهكذا توجهت مجدداً الى غرفة الأرشيف وعثرت هذه المرة على الخزنة المخبئة خلف الجدار الخشبي المزيف، وفتحتها بكلمة السر وأخذت كل ما وجدته فيها من مستندات ووثائق وأخفيتها في مكان سري في حديقة القصر. في اليوم التالي اعتدت لينا على أختها، وبعد أيام سافرتُ كما تعرف مع كاتيا الى نيويورك، وهناك، وصلني الخبر الذي نشر بالصحف فتفاجأت واستنتجت أن المخابرات الروسية لربما كانت تراقبني أنا كذلك وهكذا ربما يكونوا قد عثروا على مكان المستندات، وسلموها لسبب ما أجهله الى الصحافي. لقد قرأت شيئاً

Twitter: @alqareah

مـن هـذه المسـتندات ولكنـي لـم أفهـم الكثيـر إلى أن جـاء ذلك المقال وشـرح لـي مـا غـاب عـن فهمي. سـمعت بعدها أنـه قتل فأصبت برعب شـديد وخشـيت على مصير لينا فاتصلت بها مباشـرة لأطمئن عليها. إن أردت الحق فأنا لا أزال الى الآن أشعر برعب شديد، وأتخيل كل يوم رجـال المخابـرات وهـم يقتحمـون القصر ليلقوا القبض عليك، أو ينالوا منك، أو يُرْدوا أحد أفراد عائلتك صريعاً.

لا أدري ما الذي دفعك لتتورط معهم؟

تنهد ميخا وزفر زفرة طويلة، ثم أخذ زوجته بين ذراعيه وأسند رأسه الى كتفها وقال لها أتمنى أن نستيقظ جميعاً من هذا الكابوس المرعب.

Twitter: @alqareah

الفصل السادس والعشرون

بحيرة بايكال

في اليوم التالي لوصولهم الى قرية ليستفيانكا استيقظ أعضاء الفريق الفرنسي باكراً، واستعدوا للذهاب الى البحيرة. اتصل بيير بممثلي اللجنة المنظمة للمسابقة، وأخبرهم بوصوله هو وباقي أعضاء فريقه الى فندق بايكال القريب من البحيرة. في تمام الساعة التاسعة صباحاً وصل الى الفندق أحد موظفي شركة نانوتيك التي تدير مشروع البحث عن أنقاض القطار. انطلق أعضاء الفريق الفرنسي بصحبة الموظف في سيارة الشركة نحو موقع خاص من البحيرة تم تسييجه لإبعاد المتطفلين عن منطقة العمل الخاصة بالشركة.

في الطريق كان أندريه - عادل سابقاً - مبهوراً بجمال البحيرة واتساعها. كان يعرف أنها بحيرة كبيرة ولكنه لم يتصور عندما صعدت السيارة جبلاً مطلاً على البحيرة أن تظهر من هذا العلو بهذه الضخامة لدرجة أن لا يرى لها نهاية على مد البصر.

كان أعضاء الفريق قد اتفقوا على عدم التحدث فيما بينهم بالعربية أو الروسية مطلقاً في وجود غرباء، وأن يتحدثوا بالفرنسية عوضاً عنهما إن لزم الأمر. كان هذا الاتفاق يتطلب من بيير - سالم سابقاً - أن يطبق فمه طوال الوقت لأنه لا يعرف من اللغة الفرنسية سوا وي، بونجور، بونسوار وميرسي. عليه أن يجد الفرصة المناسبة لاستخدام هذه الكلمات

Twitter: @alqareah

فقط في الحوار.

لم يكن الموقع الذي يتوجهون إليه بعيداً عن الفندق لهذا فقد وصلوا خلال دقائق. قادهم الموظف الى مدخل الموقع المسيّج حيث استقبلهم أحد الحراس طالباً تفقد هوياتهم الشخصية. أعطاه كل واحد من أعضاء الفريق جواز سفره المزيف، فسجل الحارس بياناتهم ورحب بهم وسمح لهم بالعبور بصحبة الموظف.

بالقرب من شاطئ البحيرة استقبلهم موظف آخر كان واضحاً من ملامحه وهيئته أنه باحث أو عالم. رحب بهم بلغة انجليزية ذات لكنة روسية خفيفة ودعاهم للصعود على متن مركب قريب كبير الحجم. في الجزء الخلفي من المركب جلس مجموعة من الأشخاص كانت ملامحهم مألوفة. استنتج بيير ورفاقه أن هؤلاء الأشخاص لابد وأنهم أعضاء الفرق المنافسة الذين سبق لهم رؤيتهم في موسكو. اختار أعضاء الفريق الفرنسي لأنفسهم ثلاث مقاعد متجاورة.

وقف الباحث أمام الجمع وظهره الى البحيرة، وحيا الحضور وأخبرهم أنه سيعطيهم نبذة عن البحيرة باللغة الانجليزية:

تعد بحيرة بايكال أقدم وأعمق بحيرة في العالم، وثاني أكبر بحيرة بالحجم بعد بحر قزوين. كما وتعد أكبر بحيرة ذات ماء عذب في العالم، وتحتوي على عشرين بالمائة من مجموع المياه العذبة على سطح الأرض. يصل عمق البحيرة في بعض المواضع الى 1642 متراً، ويقدر عمرها بخمسة وعشرين مليون سنة.

تعد البحيرة موطناً لأكثر من ألف وسبعمائة نوع من المخلوقات الحية، وثلثي هذه المخلوقات غير موجود في أي مكان آخر من العالم. تتراوح درجات الحرارة في هذه المنطقة ما بين 19 درجة تحت الصفر في الشتاء، و14 درجة فوق الصفر في الصيف. وكما أرى على وجوهكم

Twitter: @alqareah

فمن الواضح أنكم تصدقون كلامي نظراً للبرودة التي تشعرون بها الآن وتدفعكم للالتصاق بزملائكم وزميلاتكم ابتسم المحاضر وسمع بعض القهقهات من الحضور. تابع المحاضر كلامه قائلاً بين عامي 1896 و1902 تم بناء سكة حديد سيبيريا والتي تمر حول الجزء الجنوب غربي من البحيرة، وقد تطلب بناء هذه السكة تشييد مائتي جسراً وثلاثة وثلاثين نفقاً عبر الجبال.

سنأخذكم بعد قليل في جولة سريعة في البحيرة قبل أن نريكم الموقع الذي يرجح سقوط القطار فيه. أنهى المحاضر كلامه واستقبل بعض الأسئلة التي تركزت حول المحاولات السابقة لسبر غور أعماق البحيرة، والأسباب الرئيسية لفشلها. حاول الباحث أن يجيب عن جميع الأسئلة بالتفصيل قدر الإمكان.

بطبيعة الحال فقد كان أندريه مشاركاً فاعلاً في طرح الأسئلة ومناقشتها مع الباحث ومع باقي أعضاء الفرق. حاولت مارسيل - نتاشا سابقاً - وزميلها بيير أن يظهرا بمظهر المهتم بما يتم نقاشه. في بعض الأحيان كانا يتبادلان الابتسامات الساخرة خفية.

بعد انتهاء النقاشات التي دامت قرابة الساعة تحرك المركب أخيراً في جولة في البحيرة. أخذ الباحث يشير الى بعض المعالم الجيولوجية التي تهم العلماء، ويسهب في شرح كيفية تكونها عبر ملايين السنين. كان واضحاً صفاء المياه وشدة نقائها والذي سمح بظهور أنواع مختلفة من الأسماك تحت سطحها.

كان الجو بارداً بالفعل رغم سطوع الشمس في هذا اليوم الصيفي، مما دفع بيير ليقترب من مارسيل ويشكرها خفية على إصرارها عليه في الصباح أن يلبس ملابس ثقيلة. أما أندريه فكان منشغلاً كعادته بالتقاط الصور، وقد سر كثيراً عندما اقترب المركب من أحد الشواطئ حيث

Twitter: @alqareah

اجتمع عدد من فقمات الماء العذب المعرضة للانقراض. لقد كان كل ما في هذه البحيرة نادراً وعجيباً ويستحق التصوير من وجهة نظر أندريه، بدءاً بجمال المناظر المحيطة البحيرة ومروراً بصفاء المياه التي تظهر ما يعيش تحتها وانتهاءً بالأنواع المختلفة من النباتات والطيور والحيوانات المائية والبرمائية التي لم يسبق له رؤيتها من قبل.

انتهت الجولة وعاد المركب الى الموقع الذي انطلق منه، ولكن قبل أن يصل الى المرسى انحرف قليلاً متوجهاً ناحية الغرب ومقترباً من الناحية التي تطل عليها الجبال وتعبر خلالها سكة الحديد. توقف المركب بالقرب من حافة الجبل في الموقع الذي يخرج منه القطار من النفق المحفور في الصخور. نهض الباحث من مقعده الذي اتخذه أثناء الجولة وأشار بيده اليمنى ناحية السكة التي بدت وكأنها ثعبان كبير يخرج من بطن الجبل. تشير الوقائع التاريخية وشهود العيان الى أن انفجاراً وقع في هذه البقعة قبل تسعين عاماً أثناء اقتراب القطار الذي يحمل الذهب المنهوب. أدى الانفجار الى انحراف القطار عن سكته وانحداره عن حافة الجبل وسقوطه في الماء واستقراره في القاع تحت الموقع الذي نقف فيه الآن. أشار الى الماء ثم تابع قائلاً استطاع الباحثون تحديد عمق المياه في هذه البقعة وتبين لهم أنها واحدة من أعمق البقع على امتداد البحيرة.

في هذه البقعة تحديداً سيكون عمل الفريق الفائز. ستصل الغواصة Fangtooth الى هذا الموقع بعد يومين، وخلال أيام قلائل سيتم إعلام الفريق الفائز بموعد بدء عمليات التدريب على قيادة الغواصة، أما باقي الفرق فسيتم إعلامها فور ظهور النتيجة لتغادر مشكورة أو تبقى إن شاءت للسياحة ودراسة الأحياء النادرة بعيداً عن هذا الموقع الذي سيتم إغلاقه بشكل كامل. أنصحكم بزيارة جزيرة أولخون والتي تقع في البحيرة الى

Twitter: @alqareah

الشمال الشرقي من هذا الموقع. هي جزيرة ذات مناظر خلابة تستحق الزيارة، وهي أكبر جزيرة بُحيرية في العالم وكانت تستخدم في الحرب العالمية الثانية كسجن لأسرى الحرب، أما الآن فيقطنها ألف وخمسمائة شخص يتوزعون على عدة قرى ويمتهنون الزراعة وصيد السمك شكر الباحث الحاضرين وتمنى لهم حظاً سعيداً.

تحرك المركب وعاد الى مرساه وتفرقت الفرق كل الى موقع إقامته.

عاد الفريق الفرنسي الى فندق بايكال واجتمعوا في الغرفة الأكبر حجماً. خلف الجدران عاد كل منهم الى شخصيته الحقيقية. كان عادل سعيداً جداً بما جمعه من معلومات وما التقطه من صور خلابة. سأله سالم فيما إذا كان متفائلاً بمقدرتهم على تنفيذ المهمة بنجاح. فاجأه عادل بما لديه من حماس ولهفة على بدء العمل. سُرّت نتاشا كثيراً عندما رأت الثقة التي كان عادل يتحدث بها ليس أمامهم فقط بل ومع الخبراء والباحثين من الفرق الأخرى، ولأول مرة ومنذ أن طُرحت فكرة هذا المشروع وجدت نفسها تميل للاقتناع بأن ما فعلوه لم يكن خطأً أو على الأقل لم يكن خطأً كبيراً. لقد اقتنعت الآن أن عادل يستحق فعلاً مثل هذه الفرصة، وأنه ما كان ليحصل عليها لو تقدم باسم فريق عربي. بقي أن يثبت جدارته ويتمكن فعلاً من قيادتهم نحو النجاح في مهمتهم الصعبة.

شعر سالم بالجوع فاقترح البحث عن مطعم قريب. أيده عادل وأومأت نتاشا برأسها موافقة. أشار عليهم موظف الاستقبال بالتوجه الى مطعم السمكة الفضية والذي يختص بإعداد أشهى أطباق السمك الطازج والذي يتم صيده يومياً من البحيرة.

كان مطعماً متوسط الحجم يتميز بإطلالة خلابة على البحيرة إذ يرتفع على هضبة ناتئة فوق الماء. اختار لهم النادل طاولة تحتل موقعاً

Twitter: @alqareah

متميـزاً فـي أقـرب نقطـة الـى الماء. من حسـن الحظ لم يكن حولهم أي من أعضاء الفرق الأخرى ليضطروا انتحال شـخصية الفريق الفرنسـي، وهكذا تحدثوا بالانجليزية كالعادة.

قال عادل: لقد فهمت من المحاضر أن إعلان النتيجة سيكون في غضون أيام قليلة أومأ سالم وزوجته برأسيهما. تابع عادل ما رأيكم لو قمنا بالغد بزيارة الجزيرة التي تحدث عنها؟ ماذا كان اسمها؟ خالون لوخون؟

ابتسم سالم وصحح لعادل أولخون. لقد توقعنا أنا ونتاشا أن تقترح ذلـك تبـادل مـع زوجتـه نظـرات مرحة ثم أردف قائلاً على أي حال فهو اقتراح جيد. سأتصل اليوم بجواد وروستام وأخبرهما بآخر التطورات.

تناولوا السمك المشوي اللذيذ وعادوا مجدداً الى الفندق. استأذن عادل للذهاب في نزهة بالقرب من شاطئ البحيرة.

فـي اليـوم التالـي توجهـوا فـي الصباح الباكر الى مرسـى المراكب واليخوت السـياحية، وانطلقوا مع المجموعات السـياحية المتوجهة الى جزيرة أولخون. كان مركباً كبيراً مزدحماً بالسياح الروس واليابانيين وبعض أعضاء الفرق المنافسـة. لم يخطر ببال عادل ومن برفقته أن يستفسـروا عن مدة الرحلة، ولكن بعد انقضاء ثلاث ساعات على انطلاقهم وكانوا لا يزالون يبحرون في مياه البحيرة مترامية الأطراف، قرر سالم أن يسأل أحد المرشـدين السـياحيين الذين كانوا على متن المركب. فوجئ سـالم عندما عرف أن الرحلة بين قرية ليستفيانكا وقرية خوزير التي تقع على الجزيرة تستغرق ثلاث عشر ساعة. ضحك عادل لا إرادياً عندما سمع الخبر من صديقه، ولكنه لم يبالي فقد كان مسروراً بالرحلة. من حسن الحظ فقد كانت التذاكر التي اشتراها سالم شاملة لوجبة الغداء.

وصلوا الجزيرة في الثامنة والنصف مساءً، وكان عليهم البحث عن مـكان للمبيـت فالمركـب لـن يعود الى قرية ليسـتفيانكا قبل صباح الغد.

Twitter: @alqareah

توجهـوا خلـف وفـود السـياح وقادتهُـم أقدامهم الى أحـد الفنادق هناك. مـن حسـن الحـظ وجـدوا غرفتيـن للمبيت. كان عليهم مغـادرة الجزيرة فـي الصبـاح الباكـر أو المكـوث يـوم آخر فيها. تحت إلحاح عادل وافق سـالم وزوجته على البقاء طيلة يوم الغد والعودة الى البر الرئيسـي بعد غدٍ صباحاً.

فـي الصبـاح التالـي نصحهـم موظف الاسـتقبال باسـتئجار سـيارة مـع سـائق ليأخذهـم فـي جولـة حول الجزيرة ليسـتمتعوا بأفضل المناظر ويتمكنوا من التقاط ما شاءوا من الصور. كانت فكرة جيدة تحمس لها عادل كثيراً. لقد اكتشفوا أن الجزيرة تستحق الزيارة فعلاً، أخذهم السائق لزيارة الشواطئ الرملية ناصعة البياض ثم توجه بهم الى محمية للطيور النادرة والمعرضة للانقراض، ثم أخذهم لمتحف الحرب العالمية الثانية والذي كان سجناً فيما مضى. توقفوا في أماكن عديدة لالتقاط الصور، وخاصة عندما اعتلى بهم السائق ربوة مرتفعة تطل على معالم الجزيرة وأجزاء كبيرة من البحيرة.

أثناء تناول الغداء انتبه سالم الى أن سكان الجزيرة لم يكونوا من الروس السلاف، وإنما دلت وجوههم على أصولهم المنغولية.

قضـوا ليلتهـم الثانيـة علـى الجزيـرة، وفي صباح اليوم التالي انطلقوا عائدين على نفس المركب الذي جاء بهم. في اليومين الأخيرين لم يتصفح أياً منهم بريده الالكتروني. وهكذا وبمجرد وصولهم مساءً الى فندق بايكال توجه سالم لقاعة الانترنت على الطابق الأول، وفتح بريده الالكتروني.

كاد يطير فرحاً وهو يقرأ التهنئة التي وصلته بفوز فريقه في المسابقة، مـع أن جـواد سـبق أن أكـد لـه حـدوث ذلـك. طبع التهنئة وما يتبعها من تعليمات بشأن المرحلة المقبلة، وصعد مسرعاً ليزف البشرى الى زوجته وصديقه.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل السابع والعشرون

رسالة التهنئة

لقد كانت مفاجأة سارة رفعت من معنويات الجميع. كانت الرسالة الالكترونية تضم تهنئة باسم مدير الشركة للفريق الفرنسي بوقوع اختيارهم عليه ليوكلوا إليه مهمة انتشال محتويات القطار الثمينة. دعتهم الرسالة لإبقاء الخبر سراً وعدم تسريبه للصحافة، وذلك كي يتمكنوا من إنجاز المهمة بعيداً عن إزعاج الإعلام. احتوت الرسالة كذلك على تعليمات بخصوص التدريبات التي سيتلقاها الفريق لقيادة الغواصة وتبدأ بعد ثلاثة أيام، وتستمر فترة أسبوع أو أكثر حسب الحاجة. كان على الفريق اختيار شخصين اثنين على الأقل للمشاركة في التدريبات، أحدهما سيتولى قيادة الغواصة بينما سيتدرب الآخر على التحكم بالذراع الآلي. تم الاتفاق على أن يقوم عادل بمهمة القيادة، وأن تقوم نتاشا بالتحكم بالذراع لأن يديها أكثر ثباتاً من يدي زوجها. أعلمتهم الرسالة أن ممثلاً للحكومة الروسية سيجتمع بهم قبل يوم من بدء التدريبات للترحيب بهم، وأن ذلك سيكون بحضور مدير المجموعة ميخائيل برينسكي، والذي سينضم للاجتماع عن بعد بصوته وصورته. كان على الفريق ووفقاً للرسالة أن يغادروا الفندق، وينتقلوا للسكنى بدءً من صباح الغد في مبنى قد تم تجهيزه لاستقبالهم في الموقع المسيج من البحيرة. طُلب منهم في الرسالة تحديد جميع الأشخاص الذين سيشاركون في المهمة وإرسال قائمة بأسمائهم عبر البريد الالكتروني وذلك لاستخراج هويات لهم تسمح لهم بعبور

Twitter: @alqareah

المنطقة المسيجة بسهولة.

قرر سالم بعد المشاورة مع زوجته وصديقه أن لا يحضر الاجتماع مع ممثل الحكومة. كان يخشى أن يحضر الاجتماع من يتكلم الفرنسية فيكتشف أمره. كان لابد من حضور عادل للإجابة عن أي أسئلة تقنية. لم يكن من اللائق أن يحضر بمفرده لهذا قررت نتاشا أن تصحبه.

اتصل سالم بصديقيه في دبي لإعلامهما بآخر التطورات ودعوتهما للحضور في أقرب وقت.

سر روستام بالخبر كثيراً وقرر السفر الى روسيا في اليوم التالي، ولكنه أخبر سالماً أنه سينضم إليهم بعد بضعة أيام لأن لديه بعض المشاغل في موسكو عليه الانتهاء منها أولاً. أما جواد وبالرغم من أن الموضوع لم يشكل مفاجأة بالنسبة إليه، إلا أنه لم يستطع إخفاء فرحته بمجهوده الذي لم يذهب سدىً.

كان بود سالم وزوجته أن يحتفلا مع عادل في تلك الليلة بهذا الخبر السار، ولكن من سوء الحظ فالقرية التي يمكثون فيها تنام مبكراً مع الدواجن.

في اليوم التالي وصل ممثل الشركة الى الفندق في تمام الساعة العاشرة صباحاً لاصطحاب أعضاء الفريق الى محل سكنهم الجديد داخل الموقع المسيج. كان الثلاثة جالسين بانتظاره في بهو الفندق وقد حزموا أمتعتهم منذ الصباح الباكر.

عند وصولهم الى الموقع حياهم الحارس وسلم بيير هويات ممغنطة لجميع أعضاء الفريق الذين بعث بأسمائهم ليلة الأمس. استغرب بيير من السرعة التي تجري بها الأمور هناك.

انهمك عادل ونتاشا فيما تبقى من اليوم بقراءة ملف الفريق الفرنسي، وحفظ ما ورد فيه من معلومات تحسباً لأي سؤال قد يفاجئهما به ممثل الحكومة في اجتماع الغد.

Twitter: @alqareah

الفصل الثامن والعشرون

عقبة مفاجِأة

في الصباح التالي لتلقي جواد خبر استلام سالم لرسالة التهنئة بالفوز، أعلم مديره برغبته وابتداءً من الغد في الحصول على إجازته السنوية التي أخرها الى أن فرغ من جميع المشاريع التي كان يعمل عليها. وافق المدير بدون تردد على طلب جواد المتفاني في عمله.

توجه بعد خروجه المبكر من الشركة الى القنصلية الروسية، وحصل هناك على تأشيرة سياحية لمدة شهر. اشترى بعدها تذاكر الطائرة التي ستقله في مساء الغد الى موسكو، ليركب من هناك طائرة أخرى فتحط به في مطار مدينة إركوتسك ليكمل طريقه بسيارة أجرة باتجاه البحيرة.

قضى ما تبقى من ذلك اليوم في التبضع والتجهيز لسفر الغد. كان يشعر بسعادة بالغة إذ كانت هذه المرة الأولى التي يسافر فيها من الإمارات الى منطقة أبعد من سوريا.

في المساء أخذ يتصفح ملف الفريق الفرنسي وهو يشعر بإعجاب وزهو بما حققه حتى الآن. لقد اعتقد أن مهمته قد نفذت على أكمل وجه، وبقي على عادل الآن أن يثبت قدرته على تنفيذ الشطر الآخر من الخطة. قادته أفكاره لتصفح ملف فريق دبي الذي أعده عادل. لقد أراد أن يطلع على ما يملكه عادل حقاً من خبرات.

أعجب جواد بالاحترافية التي أعد بها عادل ملف فريقه، وابتسم

Twitter: @alqareah

عندما رأى صورة عادل المرفقة بالملف، والتي كان واضحاً منها أن عادل أراد أن يشعر الناظر إليها بأن صاحب الصورة شخص جدير بالثقة. قرأ السيرة الذاتية الخاصة بعادل والملحقة بالملف وأعجب بكم الخبرات التي استطاع صديقه جمعها خلال سنوات عمله.

عندما ذهب للنوم أحس بأرق ربما كان مبرراً نظراً لعزمه السفر في الغد الى بلد بعيد. لكنه في قرارة نفسه كان يحس بوجود أمر آخر يقلقه ولكنه لم يستطع تحديده. حاول أن يصفي ذهنه وأن يبحث بين ثناياه على ما يزعجه. لقد كان واثقاً أنه قبل ساعة لم يكن يشعر بأي قلق أو انزعاج. ما الذي حدث إذاً وغير من حاله؟ في الساعة الأخيرة لم يفعل شيئاً سوى تصفح الملف الذي أعده عادل. الملف... الملف... ما الذي أزعجه في الملف؟ السيرة الذاتية؟ الخبرات؟ طريقة الإعداد؟ الصورة؟ الصورة! ماذا بشأن الصورة؟ صورة عادل مدير فريق دبي. جواد كان واثقاً أنه لم يضع أي صور في ملف الفريق الفرنسي. إذاً ما الذي يزعجه في صورة عادل؟ عصر ذهنه أكثر فأكثر الى أن وضحت الرؤية واصطدم بسر قلقه.

يا الله.... لقد فهم ما أزعجه في الصورة. هذه الصورة كانت مرفقة بملف فريق دبي، وهو نفس الملف الذي وصل الى برينسكي مع غيره من ملفات الفرق. هذا يعني أن ميخائيل برينسكي رأى وجه عادل بصفته قائداً لفريق دبي. لقد أخبره سالم بالأمس أن عادل ونتاشا سيجتمعان بممثل الحكومة وبحضور برينسكي عن بعد. هذا يعني أن هناك احتمال كبير في تعرف برينسكي على عادل واكتشافه للخدعة. كان جواد مدركاً أنه لا مفر من مشاركة عادل في هذا الاجتماع.

كانت الساعة تشير الى العاشرة مساءً عندما قرر جواد تنبيه عادل. أخذ يضرب رقم هاتفه ثم توقف فجأة قبل أن يضغط على زر الاتصال.

Twitter: @alqareah

ما الفائدة من تنبيه عادل ما دام سيحضر الاجتماع بكل الأحوال؟ سيؤدي تنبيهه الى إشعاره بالتوتر أثناء الاجتماع وربما لفت الأنظار إليه وزاد من خطورة الموقف.

فكر جواد أنه وما دام برينسكي سينضم الى الاجتماع عن بعد باتصال مرئي من ديي، فلماذا لا يحاول منعه من ذلك؟ باستطاعته أن يعبث بإعدادات جهاز البث والاستقبال فيقوم بالسماح لصوت ميخائيل وصورته أن تصل الى الطرف الآخر، بينما يقوم بحجب الصورة القادمة من روسيا والسماح للصوت فقط بالوصول. وهكذا قرر العودة الى شقة برينسكي الواقعة في دبي الجديدة ليقوم مجدداً باختراق الشبكة اللاسلكية والوصول الى الجهاز المطلوب والعبث به، طبعاً على افتراض أن ميخائيل سيقوم بالاتصال انطلاقاً من شقته. كان الوقت متأخراً لهذا عزم على تنفيذ المهمة في الصباح الباكر. بقيت مشكلة أخيرة تمثلت في فرق التوقيت. عليه أن يعرف الموعد الذي سيتم الاجتماع به ليتأكد من إنهاء عمله في الوقت المناسب. أجرى بحثاً سريعاً على الانترنت وتوصل الى أن مدينة إركوتسك التي يتواجد فريقه بالقرب منها تسبقهم بأربع ساعات. أرسل رسالة نصية الى هاتف سالم يسأله عن موعد اجتماع الغد ليتمنى لهم التوفيق. كان يعرف أن الساعة لدى سالم قد تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل، ولهذا لم يكن متفائلاً كثيراً في تلقي رد قبل بزوغ الشمس. بعد ثوان معدودة رن هاتف جواد رنة قصيرة معلناً استقبال رسالة من سالم.

الاجتماع في الساعة الرابعة عصراً بتوقيتنا هنا. ادع الله أن يمر على خير.

استنتج جواد أن الاجتماع سيكون في تمام الساعة الثانية عشر ظهراً بتوقيت الإمارات. وهكذا قرر الخلود الى النوم فوراً ليستيقظ باكراً في اليوم التالي.

Twitter: @alqareah

استيقظ جواد في الثامنة صباحاً وتوجه الى منطقة JBR وهو الاسم المختصر الذي يطلق على حي جميرا بيتش ريزيدنس الذي يقيم فيه برينسكي.

في الطريق أخذ يرتب في ذهنه المهام التي سيقوم بتنفيذها عند وصوله.

سأجد طريقة لدخول المبنى ثم أصعد الى الطابق السابع والأربعين وأختفي في الممر بين الأقسام، وهناك سأتصل مباشرة بشبكة برينسكي اللاسلكية التي اخترقتها في المرة السابقة وسأجري مسحاً على المنافذ لمعرفة الجهاز المسئول عن الاتصال الفيديوي لأعبث بإعداداته، ثم سأقوم..... توقف فجأة وزفر زفرة طويلة عندما تنبه الى أمر غاية في الأهمية أفسد عليه مزاجه.

عادة لا يكون جهاز الاتصال الفيديوي متصلاً بأي شبكة لاسلكية، وإنما يكون موصلاً بخط انترنت خاص به منفصل عن باقي الشبكة لضمان جودة الإرسال والاستقبال. لقد هدمت هذه الفكرة خطته من جذورها.

أخذ يفكر بخطة بديلة. حاول يمنة ويسرة فلم يجد بعد تفكير عميق إلا حلاً واحداً وهو دخول الشقة والوصول الى مقابس الانترنت المثبتة عادة في جدران الشقق في الأبراج الحديثة. كانت خطته تتمثل في تركيب موجه راوتر يصل بين خط الانترنت الأساسي وبين جهاز الاتصال الفيديوي ليقوم بالعبث بسيل البيانات وتدفقها قبل وصولها الى جهاز التواصل الفيديوي. اتصل مضطراً بسالم وأخبره بالمعضلة التي تواجهه وأعلمه بما عزم على فعله. وطلب منه أن يخبره بالموضع الذي تنبثق منه توصيلات الانترنت في الشقة. صمت سالم لفترة طويلة لدرجة أن جواد ظن أن الاتصال قد انقطع.

Twitter: @alqareah

حسناً إن كنت مصراً على ما عزمت عليه، فافعل ما يلي:

ستجد في الممر الذي يفصل بين أقسام المبنى غرفة خاصة بعمال الصيانة. ستجدها مفتوحة على الأغلب لأنها لا تحتوي إلا على ملابس العمال وأدوات التنظيف. حاول أن ترتدي زياً يناسبك وخذ سلماً ستجده هناك على الأغلب، فقد احتجت في يوم من الأيام عندما كنت أسكن هناك الى تغيير مصباح كهربائي في السقف فسألت حارس المبنى إن كان لديه سلم أستطيع استعارته، فأخبرني أن غرفة عمال الصيانة التي بين الأقسام يوجد فيها سلم أستطيع استخدامه ثم إعادته الى مكانه عندما أنتهي.

توجهْ بعدها الى الشقة ورن الجرس، وعندما يفتح لك برينسكي أو أياً كان من في الداخل الباب، أخبره أنك من عمال صيانة التكييف وقد جئت بهدف إجراء الصيانة الدورية. عندما تدخل الشقة ثبت السلم أمام الباب مباشرة واعتلي درجاته الى أن تصل الى السقف المزيف المصنوع من الألواح العازلة للحرارة والذي يخفي تجهيزات التكييف المركزي. أزح أحد هذه الألواح واصعد أكثر. ستجد فوق السقف المزيف مقابس الهاتف والانترنت وهناك تستطيع أن تفعل ما تشاء، فقد رأيت موظف شركة الاتصالات يعبث في ذلك المكان عندما سكنت الشقة في ذلك الحي وقررت الاشتراك بخدمة الانترنت.

أنهى جواد المكالمة بعد أن طلب من سالم أن لا يخبر عادل بما يجري كي لا يشعر بالقلق. تمنى سالم له التوفيق.

وهكذا طلب جواد من السائق أن يعرج في الطريق على أحد المحلات التي تبيع الحواسيب ومستلزمات الشبكات. اشترى موجهاً صغير الحجم ذا نوعية جيدة، وأكمل طريقه نحو الحي الشاطئي الراقي.

عندما وصل الى هناك كانت الساعة تقترب من التاسعة صباحاً

Twitter: @alqareah

وهـو موعـد توجـه الموظفيـن الـى أعمالهم. دخل الى موقف السـيارات الخاص بالمبنى مشياً على الأقدام من جهة الشاطئ كما فعل في المرة السابقة. وجد الباب المؤدي الى المصاعد مفتوحاً على مصراعيه. صعد الى الطابق الأخير، وهناك توجه الى الممر بين قسمي الطابق وبحث عن غرفة عمال الصيانة. وجد غرفة كتب عليها غرفة خدمات. حاول فتحها فانفتحت ووجد فيها كما وصف سـالم ملابس زرقاء اللون معلقة على الجدار. اختار منها زياً ذا قياسٍ قريبٍ من قياسـه ارتداه ووضع ملابسـه التي كان يرتديها في حقيبة يده. بحث عن سلم فوجده مركوناً في زاوية الغرفة. استجمع ثقته بنفسه وحمل السلم وخرج من الممر وتوجه الى شقة برينسكي.

رن جرس الباب وانتظر في الخارج.

بعد دقيقة فتحت الباب امرأة أوروبية بيضاء تضع الكثير من مساحيق التجميـل. قـدر جـواد أنهـا فـي أوائل الأربعين من عمرها. كلمته بلغة لم يفهمها ثم استدركت فسألته بلغة انجليزية مشوبة بلكنة روسية عما يريده. أخبرها جواد كما علمه سالم أنه عامل صيانة جاء لإجراء الصيانة الدورية للتكييف. بعد تردد بسيط سمحت المرأة له بالدخول فنصب سلمه أمام الباب وصعد عليه وأخذ بتحريك اللوح العازل في السقف. تركته المرأة ليكمل عمله وجلست على إحدى الأرائك في الصالة الفسيحة.

صعـد جـواد الـى أن أصبـح جذعـه الأعلى مخفياً عن الأنظار فوق السقف المزيف. وجد المقابس التي أشار إليها سالم. قام بنزع السلك الذي وجده متصلاً بالمقبس الذي كُتب عليه IP VIDEO، ثم فتح حقيبته وأخرج الموجه، وأوصله بالمقبس السابق بسلك كان بحوزته، ثم ثبت السلك الذي نزعه في البداية في أحد المقابس الفارغة في الموجه. من حسـن الحظ فقد وجد مقبسـاً للكهرباء اسـتخدمه لتغذية الموجه. أصبح

Twitter: @alqareah

الموجه الآن يمثل حلقة الوصل بين خط الانترنت والخط المتصل بجهاز التواصل الفيديوي. كخطوة أخيرة قام بوصل حاسوبه المحمول الذي كان يخفيه في حقيبته بمقبس آخر في الموجه ثم شغله. سمع المرأة تتكلم مع شخص آخر بلغة لم يفهمها ولكنه خمن أنها روسية. بعد إن انتهى حاسوبه من الإقلاع فتح المتصفح على الصفحة الخاصة بإدارة الموجه الذي قام بتركيبه للتو، وهناك تعرف على عنوان IP الخاص بالموجه والذي حصل عليه تلقائياً عندما تم إيصاله بمقبس IP VIDEO. حفظ العنوان في ذاكرة المتصفح، وبسرعة قام بإغلاق الحاسوب وإخفائه في حقيبته، ثم نزل بضع درجات وأعاد اللوح الى محله. استأذن بصوت مرتفع ليعلم السيدة بأنه أنهى عمله ويود الخروج. هشت المرأة في وجهه وبشت ثم شكرته بعد أن أكد لها أن التكييف لديهم يعمل بشكل جيد. فتحت له الباب فحمل السلم وانصرف.

رجع الى الممر فوجد أحد العمال يخرج من غرفة الخدمات. انتظره الى إن خرج ثم عاد مسرعاً الى الغرفة فبدل ملابسه وأعاد زي الصيانة الى محله. خرج بهدوء فهبط بالمصعد الى الطابق الأرضي وخرج الى جهة الشاطئ.

دخل أحد المقاهي القريبة والتي توفر خدمة الاتصال بشبكة الانترنت. جلس هناك وأخرج حاسوبه المحمول وتوجه بالمتصفح الى عنوان الموجه الذي قام بحفظه. باستخدام لوحة التحكم الخاصة بالموجه قام بالعبث بإعدادات البروتوكول المسئول عن إرسال واستقبال الفيديو وقام بمنع وصول الصورة الى جهاز الاتصال الفيديوي، وهكذا عندما يحين وقت الاجتماع سيتمكن الطرفان من سماع بعضهما البعض بوضوح، وسيتمكنوا في روسيا من رؤية برينسكي ولكنه لن يتمكن من رؤيتهم.

Twitter: @alqareah

ذكّر جـواد نفسـه بضـرورة إعـادة الأمور الى نصابهـا بمجرد انتهاء الاجتماع. عزم على العودة لاسترداد الموجه بعد رجوعه من روسيا. في قرارة نفسه لم يكن واثقاً تماماً من رغبته في العودة الى هذه الشقة مجدداً.

قبل أن ينهض متوجهاً الى شـقته ليحزم أمتعته اسـتعداداً للسـفر، أرسل رسالة قصيرة الى سالم يطمئنه فيها أن لا داعي للقلق فقد تكفل بالأمر.

Twitter: @alqareah

الفصل التاسع والعشرون

الاجتماع بالمدير

في ظهيرة يوم الاجتماع توقفت سيارة خاصة أمام المبنى الذي يمكث فيه أعضاء الفريق الفرنسي. انطلق سائقها بصحبة أندريه ومارسيل متجهاً الى مدينة إركوتسك حيث سيقام الاجتماع. كانت معنوياتهما عالية رغم بعض التوتر والقلق اللَذَيْن كانت تشعر بهما مارسيل. في الليلة السابقة واجهت صعوبة في الخلود الى النوم. كان عقلها يرسم في مخيلتها عشرات السيناريوهات المقلقة لما قد يحدث في الاجتماع. ماذا لو كان ممثل الحكومة على معرفة مسبقة بأعضاء الفريق الفرنسي الحقيقيين؟ ماذا لو سألها أسئلة علمية لم تستطع الإجابة عليها؟ ماذا لو اكتشف أنها روسية وليست فرنسية؟ ماذا لو شك بأمر عادل الذي لا يمت بأي شبه للفرنسيين؟ استمرت دوامة الأسئلة تدور في ذهنها الى أن استسلمت أخيراً للنوم.

أما عادل فقد كان يشعر بارتياح غريب، فقد خلد الى النوم باكراً وحظي بليلة هادئة. في قرارة نفسه كان سعيداً لأنه اتصل بعائلته في مصر، وتمكن من الحديث الى ولديه اللَذَيْن اشتاق لرؤيتهما كثيراً. لم يخبر زوجته بسفره الى روسيا ولكنه لمح لها بقرب لقائه بهم، وبإعداده لمفاجأة تسر قلبها.

وصلا الى المبنى الذي سيقام فيه الاجتماع فاستقبلهما موظف

Twitter: @alqareah

تابع لشركة نانوتيك، رحب بهما وأخذهما الى صالة الاجتماعات في فرع الشركة. طلب منهما الانتظار بعض الوقت هناك ريثما يصل ممثل الحكومة. أُحضرت لهما المرطبات والعصائر وبعض البسكويت، وكان الجميع حريصين على راحتهما. في هذه الأثناء لاحظ الضيفان انهماك الفنيين في إعداد مستلزمات الاجتماع من تركيب للكاميرات وتوزيع مكبرات الصوت، ثم تثبيت شاشة كبيرة على الطاولة بيضاوية الشكل التي تحتل قلب الصالة.

قبل عشر دقائق من موعد الاجتماع وصل الموظف الحكومي وبصحبته شخص آخر، عرّف عن نفسه لاحقاً بأنه السكرتير الشخصي للسيد ميخائيل برينسكي مدير المجموعة. رحب السكرتير بمارسيل وأندريه ودعاهما للجلوس الى طاولة الاجتماعات. اطمأنت مارسيل عندما لاحظت البشاشة في وجه الموظف الحكومي والذي تبادل معها بعض الأحاديث الجانبية باللغة الانجليزية. في البداية سألها إن كانت بحاجة الى مترجم، فأخبرته أنها تجيد الانجليزية إضافة للغتها الأم. أخذ الموظف يتحدث عن رغبته في زيارة باريس وأن ذلك يعد حلماً بالنسبة إليه. سايرته مارسيل وأخبرته أنها ستكون سعيدة باستقباله هناك مع زوجها عندما يقرر الحضور.

أما أندريه فكان مستمتعاً بالحديث مع السكرتير حول شغفه بالأدب الروسي.

أعلن أحد التقنيين جهوزية المعدات لإجراء الاتصال بدبي، فأشار السكرتير له ببدء الاتصال. بعد ثوان أضاءت الشاشة الكبيرة وظهر فيها رجل أنيق ذو هيبة يضع في فمه سيجاراً. حياه السكرتير وسأله إن كان يسمعهم ويراهم جيداً. بدا أنه سمع ما قاله السكرتير، ولكن كان واضحاً من تعابير وجهه أنه لم يكن يرى شيئاً.

Twitter: @alqareah

أنا أسمعك جيداً، ولكني لا أرى أحداً. هل تسمعني وتراني؟ تساءل ميخائيل برينسكي.

نعم سيدي. نحن نراك ونسمعك بوضوح أشار السكرتير بعصبية الى التقني ليختبر التوصيلات ويصلح الخلل الذي يمنع مديره من رؤيتهم.

حسناً أنا أسمعك فقط ولا أراك. لابد أن الخلل من طرفكم لأني طوال الشهور السابقة وحتى البارحة كنت أستخدم النظام للاتصال بمكتبنا في موسكو بدون أي مشاكل، وأنت تعرف ذلك يا سيرغي. قال بنبرة يشوبها شيء من الغضب.

انتبهت مارسيل لتوتر السكرتير سيرغي وتصبب عرقه.

نحن نعمل هنا على إصلاح الخلل، وريثما يحدث ذلك أود أن أعرفك بالحضور وأخذ يعرف عن عضوي الفريق الفرنسي، ثم انتقل للتعريف بالممثل الحكومي والذي كان على معرفة مسبقة ببرينسكي.

تبادلوا جميعاً مع برينسكي عبارات التحية والترحيب.

اقترب التقني من سيرغي وأخبره أنه متأكد من عدم وجود أي خلل في التوصيلات أو الإعدادات هنا، وأن الخلل لابد أن يكون في الطرف الآخر. امتعض وجه سيرغي ولم يجرؤ على التصريح بذلك خوفاً من ردة فعل مديره الذي سينكر وجود أي خلل لديه.

من الواضح أننا نعاني مشكلة تقنية في إيصال الصورة إليكم قال سيرغي بنبرة يشوبها توتر خفي، ثم أردف لكن ما دمنا قادرين على سماع بعضنا البعض، ومستمتعين هنا برؤيتكم، أقترح أن نبدأ الاجتماع.

أومأ برينسكي برأسه أنا جاهز.

استمر الاجتماع قرابة النصف ساعة عبر فيها الممثل الحكومي عن أمله بنجاح هذا المشروع والذي توكله الحكومة اهتماماً كبيراً. تحدث أندريه باحترافية كبيرة عن الصعوبات التي يتوقع مواجهتها أثناء تنفيذ

Twitter: @alqareah

المهمة، وثقته بإمكانية تجاوزها. شـاركت مارسـيل في الحوار فتحدثت عـن الحرفيـة العاليـة لأعضـاء فريقهـا ومعنوياتهـم العاليـة واسـتعدادهم لمواجهة التحديات. لقد تقمصت دورها بنجاح كبير أثار إعجاب عادل المتخفي بعباءة أندريه.

أما برينسكي فتحدث عن ثقته في نجاح هذا الفريق الذي اختاره بعناية من بين مجموعة كبيرة من أشهر الفرق العالمية. في نهاية الاجتماع عبـر الضيـف عـن رغبـة حكومتـه بانضمام أحد موظفيها الى الفريق أثناء تنفيـذ مهمتهـم. وافـق برينسـكي على الطلب ولـم يعترض أندريه بصفته قائد الفريق.

انفـض الاجتمـاع بعـد أن تبـادل الحضور كلمات الشـكر والوداع. كان السـائق ينتظر أمام المبنى ليعود بعضوي الفريق الفرنسـي الى محل إقامتهما على ضفاف بحيرة بايكال.

شعرت نتاشا براحة كبيرة ولم تصدق أن الاجتماع قد انتهى على خير، وسارعت للاتصال بزوجها وطمأنته عندما حانت الفرصة. أما عادل والذي كان لا يزال متقمصاً لدور أندريه، فقد زادت ثقته بنفسـه كثيراً، وأصبح يشعر بقدرته على فعل المستحيل.

Twitter: @alqareah

الفصل الثلاثون

تدريبات مكثفة

وصلت الغواصة مع طاقم من المدربين الى البحيرة في اليوم الذي أُجري فيه الاجتماع مع مدير المجموعة وممثل الحكومة. في اليوم التالي دبت الحياة في الموقع المسيج على ضفاف البحيرة، مع اقتراب الحدث الجلل. كان الجميع هناك متحمسون للمهمة ويتمنون رؤية سبائك الذهب وهي تخرج من قاع البحيرة. في اليوم السابق أبدى أندريه حزماً في الاجتماع فيما يتعلق بالأشخاص المخول لهم الاقتراب من موقع العمل. لقد وافق على وجود موظف حكومي فَهم أنه سيكون مراقباً عليهم، ولكنه في المقابل أصر على إخلاء موقع العمل بعد انتهاء التدريبات إلا من أعضاء الفريق الفرنسي والمراقب الحكومي وبعض الحرس. وافق برينسكي على طلب أندريه، وكان مقتنعاً بأن مهمة كهذه تتطلب مقداراً كبيراً من السرية والعمل في هدوء. وأوصى سكرتيره بضرورة اختيار الأشخاص الذين سيقومون بإجراء التدريبات بكل عناية، وأخذ العهود عليهم بعدم التحدث مع أي شخص بخصوص المهمة أو تفاصيلها، فكل ما كان القدر الذي يعرفونه من معلومات أقل كلما كان ذلك أفضل.

في اليوم التالي للاجتماع بدأت التدريبات في الساعة التاسعة صباحاً، حيث تم اصطحاب أعضاء الفريق الفرنسي الى مركب يشبه اليخت كان راسياً بالقرب من مسكنهم. لم يسبق لهم رؤية هذا المركب

Twitter: @alqareah

في الأيام السابقة، وعندما استفسر بيير علم أنه تم إحضاره بالأمس مع الغواصة.

بالقرب من اليخت لمح أندريه جسماً طافياً سطحه فوق الماء، خمن أنها الغواصة. كان يشعر بحماس كبير لقيادتها، وها هو اليوم الذي سيسمح له بالجلوس فيها والغوص بها قد حان أخيراً.

بالقرب من موقع رسو المركب استقبلهم مجموعة من الرجال والنساء في زي أبيض. كانت وجوه بعضهم مألوفة. لقد كانوا نفس طاقم الخبراء الذين التقوا بهم في موسكو. رحبوا بهم وهنئوهم بالفوز ثم دخلوا معهم مبنىً قريب.

قبل الشروع بالتدريبات قام طبيب تابع لطاقم الخبراء الذين جاءوا خصيصاً لتدريب الفريق، بإجراء بعض الاختبارات والفحوص للتأكد من ملائمة أعضاء الفريق لمهمة الغوص الى أعماق لم يصلها قبلهم أي إنسان. أخبرهم أندريه أنه يرى أن لا حاجة لهذه الاختبارات فهم فريق متمرس في هذا النوع من المهام. فوجئ عندما رد مسئول طاقم الخبراء عليه بأن طلب من جميع أعضاء الفريق التوقيع على أوراق يقرون فيها بمعرفتهم أن الغواصة التي سيقودونها لم يتم اختبارها عملياً خارج المختبر، وأنهم يخلون شركة نانوتيك وجميع موظفيها من أي مسئولية في حال فشلت المهمة وأصيب أي من أعضاء الفريق بأي إصابات قد تصل الى الموت ناتجة عن خلل في الغواصة.

تردد أندريه في البداية، ولكنه في حقيقة الأمر كان مدركاً لهذه المخاطر من البداية، وهكذا وقع على الأوراق في نهاية الأمر وفعل مثله زميلاه بيير ومارسيل.

أعلمهم أندريه أن عضوين آخرين من الفريق سيصلان اليوم أو خلال الأيام المقبلة وسينضمان إليهم في حضور التدريبات.

Twitter: @alqareah

طلب مسئول فريق التدريبات من أندريه أن يوزع أعضاء فريقه على المدربين، بحيث يحدد الشخص الذي سيقود الغواصة، والشخص الذي سيتحكم بالذراع الآلي، والشخص المسئول عن قيادة اليخت، والشخص الذي ستوكل له مهمة المراقبة والتواصل مع الغواصة من على متن اليخت الذي صمم خصيصاً ليعمل مع الغواصة ويكون متوافقاً مع تقنياتها الحديثة. أخبره أيضاً بضرورة اختيار شخص يكون موقعه على اليابسة ليتواصل مع أعضاء الفريق ويطمئن على سير العمل عن بعد ويبلغ عن أي حوادث أو أعطال ويستدعي النجدة إن لزم الأمر.

وزع أندريه أعضاء فريقه على النحو التالي:

قيادة الغواصة - أندريه.

التحكم بالذراع الآلي - مارسيل.

قيادة اليخت - بيير.

المراقبة والتواصل على اليخت - جان كلود (جواد سابقاً)

المراقبة والتواصل على البر - رينيه (روستام سابقاً) وبصحبته الموظف الحكومي.

وهكذا بدأت التدريبات الخاصة بالأعضاء الحاضرين. التقى أندريه بمدربه الخاص بقيادة الغواصات. أخبره أندريه أن لديه خبرة جيدة في قيادة الغواصات. ابتسم المدرب وقال له: لا أظنك قدت غواصة مثل هذه من قبل في بادئ الأمر ظن أندريه أن المدرب قصد بكلامه الاستهزاء به أو التقليل من شأنه، ولكنه عندما ذهب بصحبته الى غرفة تحتوي على شاشة كبيرة وأمامها أدوات تحكم شبيهة بتلك التي تستخدم مع ألعاب الفيديو فهم أن المدرب كان يعني ما يقوله حرفياً. كانت تلك الغرفة خاصة بالتدرب على برنامج محاكاة الغوص.

أخبره المدرب أن هذه الغواصة تم تصميمها بشكل ثوري وأن

Twitter: @alqareah

قيادتها والتحكم بها يتم بشكل الكتروني من خلال استخدام أدوات تحكم بسيطة تجعلك تشعر وكأنك تقود غواصة في واقع افتراضي. وقد عمد مصمموها الى نقل جميع العدادات والمؤشرات ومعلومات البيئة المحيطة من موقعها على لوحة التحكم القديمة التي كان قائد الغواصة يتيه بين أزرارها ومؤشراتها. الآن أصبحت جميع هذه المعلومات تظهر أمامه على السطح الداخلي للزجاج الذي يغطي مقدمة الغواصة. مما يعني أن قائد الغواصة يستطيع رؤية ما يجري في الخارج وفي نفس الوقت يتابع المؤشرات والمعلومات التي يتم عرضها على الشاشة الشفافة أمامه، وهكذا يستطيع أن يركز أكثر في عمله ولا يشعر بأي توتر أو اضطراب.

دهش اندريه مما سمعه من المدرب، وفي نفس الوقت خشي أن تشكل هذه التقنيات عائقاً بالنسبة إليه، فهو في الحقيقة لم يسبق له أن لعب بألعاب الفيديو، كما وأن علاقته بالأجهزة الالكترونية كانت فاترة بشكل عام. شعر بالراحة عندما أخبره المدرب أن الغواصة معدة بحيث يمكن قيادتها بالطريقة التقليدية أيضاً في حال تعطل النظام الالكتروني.

قام المدرب بتشغيل برنامج المحاكاة فأضاءت الشاشة الكبيرة وظهرت صورة المياه التي تحيط بالغواصة الافتراضية. أشار المدرب الى العدادات والمؤشرات التي كانت تتوزع على جانبي الشاشة وتنقل معلومات حية عن الواقع الافتراضي الذي توجد فيه الغواصة. انبهر اندريه بما رآه. لقد كانت جميع المعلومات التي يحتاجها تظهر أمامه وفي نفس الوقت لم يكن مضطراً لإبعاد نظره عما يجري في الخارج. لقد بدأ بالفعل يشعر بأن علاقة مبنية على العشق ستربطه بهذا النظام المتطور.

Twitter: @alqareah

أمـا مارسـيل فاصطُحبـت الـى غرفـة أخرى خاصـة بالتدريب على التحكـم بالـذراع الآلـي فـي بيئة افتراضيـة محاكية للواقع. طُلب منها أن تُدخـل يديهـا فـي قفـاز وان تنظـر الى شاشـة كبيـرة أمامها كانت تعرض مـا بـدا وكأنـه بيئـة محاكيـة لقـاع البحيرة تظهر فيها أنقـاض القطار. كان عليها أن تتخيل نفسها داخل الغواصة وتحرك يديها داخل القفاز للتحكم بالذراعين الآليين، وتبحث بين الأنقاض الافتراضية عن صناديق السبائك الذهبيـة وتتـدرب علـى انتشـالها. في البدايـة واجهت بعض الصعوبة في التوفيـق بيـن حركـة يديهـا وحركة الذراعين الآليين أمامها على الشاشـة. مع الوقت تحسنت قدرتها على المزامنة بين الحركتين فأصبحت تشعر وكأن الذراعين الآليين كانا ذراعاها على الحقيقة، مما أثار إعجاب مدربها الذي لم يتوقع أن تتقن تحريك الذراعين بهذه السرعة وتبرع بذلك.

كان بييـر الوحيـد الـذي حصـل على تدريب فعلي وليس افتراضي. كانت مهمة بيير بسيطة نسـبياً ولا تتطلب الكثير من التدريب. فكل ما كان عليه فعله هو إتقان قيادة اليخت وتوجيهه. وقد حمد الله في سره على أنه أنصت لنصيحة عادل له عندما أشار عليه بأخذ بعض الدروس في قيادة اليخوت. صحيح أن هذا اليخت كان متطوراً ولم يسـبق لبيير أن رأى مثله من قبل إلا أن قيادته كانت سهلة وسلسة.

انتهت تدريبات اليوم الأول وعاد الفريق الى السـكن. كان الثلاثة سعيدين بما حصلوا عليه من تدريبات، وأخذ كل منهم يقص على رفيقيه ما أنجزه. لم يكن لدى سالم الكثير ليحكي عنه فاكتفى بالاستماع لزوجته وصديقه منبهراً بانبهارهم.

كان علـى سـالم التوجـه فـي المسـاء الـى مطـار مدينـة إركوتسـك لاسـتقبال جـواد الـذي اتصـل بـه قبـل أن يغـادر دبـي، وأعلمـه بموعـد وصوله الى إركوتسك قادماً من موسكو. اقترح سالم على نتاشا وعادل

Twitter: @alqareah

أن يصحباه الى المطار ولكنهما اعتذرا لشعورهما بالإرهاق من تدريبات اليوم.

عن أي إرهاق يتحدثان، وتدريباتهما لم تكن إلا على استعمال ألعاب الفيديو؟ تساءل سالم في نفسه متهكماً.

وصلت الطائرة التي تقل جواد في الساعة التاسعة مساءً متأخرة ساعة كاملة عن موعدها. سر كثيراً عندما وجد سالم في انتظاره في صالة استقبال المسافرين. استقلا سوياً سيارة أجرة أخذتهما الى سكنهما على ضفاف البحيرة. طوال الطريق وبعد أن أخبر سالم صديقه أن الاجتماع مر على خير، انهمك جواد في شرح ما قام به البارحة من أعمال جريئة لضمان منع وصول صورة المجتمعين في روسيا الى برينسكي. كان يتحدث بنبرة ملؤها الفخر والزهو. كان زهواً بريئاً كطفل يركض نحو والده ليريه لوحة رسمها بأنامله الصغيرة. قام سالم بدور ذلك الوالد باقتدار إذ امتدح براعة جواد وشدة ذكائه وحسن تصرفه، وراقب الفرحة في عينيه اللتين كانتا تتحدثان بما يشعر به من استمتاع في تلك اللحظة.

وصلا الى السكن، فاستوقفهما الحارس ثم سمح لهما بالعبور عندما ألقى نظرة على جواز السفر الخاص بجان كلود والذي كان أندريه قد سلمه إياه قبل أن ينزل من السيارة. تأكد الحارس أن الضيف الجديد هو أحد أعضاء الفريق. طلب منه استخدام البطاقة الممغنطة الخاصة به عند الدخول والخروج من الموقع. أومأ جان كلود برأسه وكان أندريه قد سبق وشرح له أثناء قدومهما الإجراءات الأمنية المعمولة بها هنا.

داخل السكن كانت مارسيل تمكث في غرفة بمفردها. أما أندريه فكان ينام في نفس الغرفة مع بيير. حصلوا على مفاتيح غرفة ثالثة ليمكث فيها جان كلود ورينيه.

رحب عادل ونتاشا بجواد وزاراه في غرفته وأثنيا على ما قام به في

Twitter: @alqareah

دبي من أعمال جبارة لولاها لما اجتمعوا الآن في هذا المكان. أخبرهم عادل أن روستام اتصل به قبل قليل ليعلمه بوصوله الى إركوتسك، وأخذ منه عنوان الموقع وهو في طريقه إليهم الآن. سروا جميعاً بهذا الخبر إذ كان نصاب فريقهم على وشك أن يكتمل.

بالفعل وصل روستام بعد ساعة الى الموقع، ووجد سالم في انتظاره في الخارج. سلم عليه الأخير وعانقه وأعطاه جواز سفره المزيف خفية. فعل الحارس معه ما سبق أن فعله مع جان كلود.

قضى الأصدقاء معاً ليلة سعيدة تسامروا فيها وضحكوا وتجاذبوا أطراف الحديث، ثم أنصتوا لجواد وهو يقص عليهم مغامراته وصولاته وجولاته في عالم الاختراق، قبل أن يستوقفهم عادل ويذكرهم بتدريبات الغد. وهكذا توزعوا على غرفهم بعد منتصف الليل بقليل.

عادوا في اليوم التالي لاستكمال التدريبات، وتوجه جان كلود بصحبة بيير الى اليخت وهناك شرح المدرب لجان المهمة المطلوبة منه، والمتمثلة بمراقبة الشاشات التي تعرض ما يحدث داخل قمرة الغواصة، وما تصوره الكاميرات المثبتة على مقدمتها وأسفل قاعها، بحيث يتمكن من رؤية ما يحدث داخل الغواصة وخارجها. إضافة الى ذلك كان عليه مراقبة العمق الذي وصلت إليه الغواصة، والتأكد من سلامة مؤشراتها وتنبيه قائد الغواصة في حال اكتشاف أمر ما لا يجري كما يجب، والتواصل معه ومع رينيه على البر لاتخاذ اللازم. لاحظ المدرب سرعة بديهة جان كلود واستيعابه السريع للمعلومات.

أما رينيه فكانت مهمته تتلخص في التواصل مع قائد اليخت وسلطات خفر السواحل للإبلاغ في حالة حدوث أي طارئ لا قدر الله. في نفس الوقت كان قادراً على رؤية ما يراه قائد اليخت على الشاشة، وهو الأمر الذي أعجب الموظف الحكومي الذي انضم إليهم متأخراً.

Twitter: @alqareah

كان أندريه ومارسيل يتقدمان سريعاً في تدريباتهما مما دفع مدربيهما الى الاتفاق على بدء التدريبات العملية على قيادة الغواصة الحقيقية بدءً من صباح الغد، وهو الأمر الذي أسعد المتدربينِ كثيراً.

خلال أسبوع واحد كان جميع أعضاء الفريق قد أتقن عمله بشكل كامل، وأصبحوا جميعاً مستعدين لتنفيذ المهمة.

Twitter: @alqareah

الفصل الحادي والثلاثون

العودة الى الوطن

لم يتوقع ميخا أن يشعر بكل هذه السعادة عندما ركب الطائرة عائداً الى موسكو. هل هو الحنين الى الوطن؟ أو تراه الحنين الى القصر والشركات والأعمال؟ عندما تلفت الى الراكب عن يمينه عرف سر سعادته. لقد كانت سعادته لا توصف عندما فاجأته كاتيا بزيارة غير متوقعة في شقته في دبي، وها هي تصحبه مع أمها في رحلة العودة الى الوطن. كيف له أن لا يسعد ويفرح وفلذة كبده المحبوبة تجلس بقربه وقد تعافت تماماً. لقد كانت كعصفورة ترفرف فرحاً بالطيران بعد أسابيع من الأسر في انتظار تعافي أجنحتها الصغيرة.

في الليالي السابقة كان ميخا يجد صعوبة في الخلود الى النوم. ليس أرقاً وإنما إصراراً من كاتيا أن يبقى مستيقظاً الى جوارها، وهي تقص عليه ما جرى وكان في الشهور التي كانت بعيدة عنه فيها. لقد كان أسبوعه الأخير في دبي هو الأفضل. لقد أدرك ميخا أن من الصعب أن يشعر المرء بروعة المكان بعيداً عن الأحباب.

كانت فرحة ميخا مضاعفة عندما هبطت الطائرة في مطار موسكو، وخرج بصحبة كاتيا وأمها ليجد لينا واقفة مع المستقبلين في انتظارهم. لوحت لهم بيديها. لقد كانت لينا أخرى تماماً.

لم يرى ميخا ابنته لينا بهذا الجمال من قبل. تحركت ذراعاه

Twitter: @alqareah

وتباعدت لا إرادياً وكأن لديها عقلاً خاصاً بها يوجهها. فهمت لينا الإشارة وركضت مسرعة وارتمت في أحضان والدها للمرة الأولى. لم يتمالك ميخا نفسه، ولم يستطع إيقاف النبع الذي انبثق فجأة من مقلتيه. لقد كان في عالم آخر فلم ينتبه عندما اقتربت كاتيا من أختها فقبلت مؤخرة رأسها، وتفاجأ عندما استدارت لينا فعانقت كاتيا والدموع تسيل من عيونها فرحاً برؤية أختها بصحة جيدة، وخجلاً من فعلتها ودهشة من قدرة كاتيا على العفو والصفح عنها.

كان ميخا لا يزال غير مصدق عندما غمرتهم إضاءة المصابيح الفورية لكاميرات الصحافيين وهي تتسابق لتسجيل هذه اللحظة، لعرضها على الصفحات الأولى من صحف الغد تحت عناوين كبيرة: برينسكي يعود الى القمة وعائلته حوله نجح الإمبراطور في استعادة عرشه العائلة قبل كل شيء الحب يصنع المعجزات.

عندما وصلوا الى القصر شعر ميخا وكأن الجدران تكاد تنطق ابتهاجاً بعودتهم. وفي صباح اليوم التالي أحس أن طيور حديقة قصره أصبحت تغرد بصوت أعلى مما اعتاد عليه قبل سفره. لقد أدرك ميخا أن الإنسان عندما يشعر بالسعادة فإن الكون حوله يشاركه سعادته.

لم يذهب الى العمل في ذلك اليوم بل استغل الفرصة ليجلس مع أهل بيته في جو غير مسبوق من الحب والطمأنينة. انهالت عليه اتصالات المهنئين بالعودة بعد أن قرءوا المقالات الصباحية التي تشيد ببرينسكي وقدرته على الخروج من أزمته أقوى من السابق. أغلق هاتفه بعد أن عزم أن يجعل هذا اليوم خاصاً بعائلته فقط.

كانت تتيانا أيضاً تشعر بسعادة بالغة بعد أن اطمأنت على ابنتيها، وفرحت بتقربهما من بعضهما البعض. كانت مسرورة أيضاً من تجاوز زوجها للأزمة التي كادت تطيح به وبأعماله. في قرارة نفسها كانت لا

Twitter: @alqareah

تزال قلقة من تورطه مع الإسرائيليين، وتخشى عليه من غضب الحكومة الروسية إذا كانت فعلاً هي المسئولة عن سرقة المستندات وتسريبها الى الصحافة. لم تكن تتيانا تفهم كثيراً في اللعبة السياسية حالها حال أغلب الناس. كان همها فقط أن تشعر بالأمان هي وعائلتها. اقتنصت بعض الوقت لتنفرد بلينا لتسألها عما حدث بعلاقتها برجال المخابرات الروسية. دهشت عندما أخبرتها أنهم توقفوا عن الاتصال بها منذ ذلك اليوم المشئوم الذي اعتدت فيه على أختها. ولم يعودوا ليطالبوها بفتح خزنة أبيها وتسليمهم ما تجده من مستندات. طلبت لينا من أمها بحرارة أن لا تخبر أباها بهذا الأمر. اكتفت تتيانا بأن أومأت برأسها وأخذت ابنتها في حضنها. أخذت تبحث عن تفسير لما سمعته. استنتجت أن المخابرات أصبحوا في غنىً عن مساعدة لينا عندما نجحوا في مراقبة أمها ومعرفة مكان المستندات وأخذها من حديقة القصر. لكنها كانت مع ذلك غير مرتاحة لهذا الاستنتاج. فما داموا حريصين على الحصول على المستندات بهذه الشدة، إذاً لماذا لم يبعثوا من يستولي عليها وهي راقدة في الخزنة التي يعرفون مكانها ورمزها السري. هل قرروا التدخل عندما باغتتهم الأم فأفسدت خطتهم باستيلائها على المستندات قبل ابنتها؟

فجأة تذكرت تتيانا أن باستطاعتها التحقق من شكوكها. تركت زوجها منهمكاً باللعب مع ابنتيه بألعاب الفيديو، وتسللت الى الحديقة. صرفت البستاني لشراء زهور نادرة، وتوجهت نحو البقعة التي دفنت فيها المستندات. كانت قد اختارت شجيرة توت بري زُرعت في بقعة منعزلة بالقرب من الجدار الخلفي للقصر. كانت تعرف أن هذه البقعة لا يقترب منها البستاني إلا نادراً. اقتربت من الشجيرة وأزاحت أغصانها وأخذت تحفر بيديها بعد أن ارتدت قفازين شفافين. فوجئت عندما أزاحت التراب لتجد الحقيبة التي دفنتها قبل شهور في مكانها. هل يعقل أن تكون

Twitter: @alqareah

المخابرات قد أخذت المستندات وأعادت الحقيبة الى مكانها؟ أخرجت الحقيبة ونفضت عنها الغبار وفتحتها. كانت دهشتها كبيرة عندما اكتشفت أن المستندات الأصلية كانت لا تزال في مكانها ولم تمس. جلست هناك وأسندت ظهرها الى الجدار وأخذت تعصر ذهنها بحثاً عن تفسير لما اكتشفته. ماذا لو كانت المخابرات الروسية قد وصلت بالفعل الى المستندات وقامت بتصويرها ثم أعادتها الى مكانها؟ استبعدت الفكرة عندما تذكرت أن الصحافي المغدور كان يؤكد قبل اغتياله أن بحوزته مستندات أصلية.

نهضت تتيانا ونفضت عن ملابسها التراب وأصلحت هندامها، وأعادت المستندات الى الحقيبة، وحملتها معها الى داخل القصر. لم يكن ميخا أو ابنتاها قد انتبهوا لغيابها.

في المساء انفردت بزوجها وصارحته بما عثرت عليه. أدرك ميخا حينها أن عائلته كانت بريئة من تهمة تسريب الوثائق وأن سراً آخر كان لابد أن ينكشف.

Twitter: @alqareah

الفصل الثاني والثلاثون

الاقتراب من القاع

في صباح اليوم الموعود توجه أعضاء الفريق الفرنسي ومنذ الصباح الباكر الى المبنى الذي تلقوا فيه تدريباتهم. كان الاتفاق يقتضي أن يوقع قائد الفريق الفرنسي على أوراق تثبت استلامه العهدة، والمتمثلة بالغواصة واليخت ومفاتيح مكتب المراقبة على البر. استلم أندريه المفاتيح في جو احتفالي وغادر الباحثون والمدربون موقع البحث تاركين أعضاء الفريق الفرنسي ومعهم المراقب الحكومي وبعض الحراس.

كانت مشاعر مختلطة من التوتر والحماس قد دبت في نفوس أعضاء الفريق. فلا مجال للتراجع الآن وعليهم أن يثبتوا أنهم جديرون بهذه المهمة.

وهكذا توجه رينيه بصحبة الموظف الحكومي الى مكتب المراقبة، وهناك قام بتشغيل الشاشات وأجرى اختباراً للصوت مع بيير وجان كلود الذين صعدا لتوهما الى اليخت، وقاما بالتأكد من عمل أنظمة المراقبة المتصلة بالغواصة. في هذه الأثناء كانت مارسيل وبصحبة أندريه قد نزلا الى قمرة قيادة الغواصة من فوهة في أعلاها وقاما مثل زملائهما بتشغيل أجهزة الغواصة والتأكد من عمل أنظمة الحركة والمراقبة.

تأكد الجميع أنهم قادرون على التواصل فيما بينهم وانتظروا مترقبين إشارة الانطلاق من أندريه قائد الفريق. تحركت الغواصة فتبعها اليخت

Twitter: @alqareah

متوجهين الى الإحداثيات التي توقع الخبراء سقوط القطار عندها. هناك توقف اليخت وأخذ جان كلود يراقب الغواصة من شاشات المراقبة وهي تهبط شيئاً فشيئاً.

كان أندريه قد أتقن استخدام أنظمة الغواصة الالكترونية، وهكذا لم يجد صعوبة في توجيهها والهبوط بها تدريجياً. أصبحت عيون أغلب أعضاء الفريق مركزة على مؤشرات العمق الذي تصل إليه الغواصة في هبوطها. كانت مارسيل وبالرغم من توترها وإحساسها برهبة الأعماق مستمتعة بالمناظر التي تشاهدها أمامها تحت سطح البحيرة. كانت أعماق البحيرة عامرةً بمختلف الأحياء، وقد ساعدت المقدمة الزجاجية للغواصة على الحصول على مشهد بانورامي رائع يشعر الناظر وكأنه يسبح في الخارج الى جانب هذه المخلوقات من غير حاجز. أسماك صغيرة وكبيرة، جميلة وقبيحة، أحادية اللون وعامرة بالألوان، كلها كانت تسبح في تناغم بديع. كان مشهد أفواج الأسماك الصغيرة وهي تتحرك جميعها وكأنها كائن واحد عملاق يثير العجب، إذ كيف تعرف هذه السمكات الصغيرة الوجهة التي ستذهب إليها زميلاتها. لابد أن لديهم نظاماً متطوراً للتواصل فيما بينهم فكرت نتاشا المتقمصة لدور مارسيل.

اقتربت الغواصة من حاجز الكيلومتر فزاد توتر المراقبين للمؤشر وترقبهم. كانت الغواصة لا تزال تتحرك بانسيابية وكأنها تطير في الهواء وليست تغوص في الأعماق. كان المشهد يتغير كلما ازداد هبوط الغواصة، وحتى نوعية الأحياء كانت تتغير. عندما وصلوا الى هذا العمق كان الظلام دامساً تقريباً وكان لابد من تشغيل مصابيح الإنارة لرؤية ما يجري في محيط الغواصة. كان أندريه يراقب حدود الجبل الصخرية القريبة من الغواصة والتي كان يناور بعيداً عنها كلما أحس باقتراب الغواصة بشكل مبالغ فيه من الصخور.

Twitter: @alqareah

عندما وصلت الغواصة الى عمق 1200 متر بدأ أندريه يشعر ببعض الصعوبة في توجيه الغواصة. لقد بدا واضحاً أنها بدأت تعاني من ضغط المياه فوقها، لكنها كانت لا تزال قادرة على التحمل فجميع المؤشرات كانت سليمة ولا تشير الى وجود أي مشكلة تذكر. عند هذا العمق كان عدد الأحياء قد انخفض بشكل ملحوظ. استغربت مارسيل أنهم قد وصلوا الى هذا العمق ومازالوا لم يجدوا حتى الآن أي أثر للقطار.

خفض أندريه السرعة عند بلوغهم 1300 متر تحت سطح المياه. لقد كانت السرعة الكبيرة في الهبوط خطيرة عند هذا العمق. لاحظت مارسيل وجود صخور كبيرة الحجم قد استقرت على أطراف الجبل والذي بدأت حدوده تميل بشكل حاد وكأن مركزه المنبثق من قاع البحيرة قد بات قريباً.

بعد مائة متر أخرى دب الحماس في نفوس الجميع إذ أظهرت الكاميرا المثبتة أسفل الغواصة جسماً كبير الحجم بدا وكأنه صندوق حديدي عملاق مغطى بالطحالب التي طمست معالمه. خفض أندريه سرعة الغواصة الى درجة تسمح له بالاقتراب من الجسم الغامض وتفقده. اقتربت الغواصة شيئاً فشيئاً الى أن أصبحت محاذية للجسم الغامض وأصبح بالإمكان رؤيته مباشرة من الغطاء الزجاجي في مقدمة الغواصة. أمعنت مارسيل النظر محاولة اكتشاف ماهية هذا الجسم الغريب، ولكن تبين أن طبقة الطحالب كانت تغلف الجسم بشكل كامل من جميع الاتجاهات.

تدخل أندريه وأوقف الغواصة قريباً جداً من الجسم المجهول وطلب من مارسيل أن تستخدم الذراع الآلي لإزالة الطحالب عن سطح الجسم الغريب الذي يقفون بمحاذاته. استجابت مارسيل للأمر وأدخلت يديها في قفازي التحكم وبدأت توجه ذراعي الغواصة نحو سطح الجسم.

Twitter: @alqareah

حاولت أن تنفض الطحالب عن السطح نفضاً فلم تجدي هذه الطريقة نفعاً، اقتربت بالذراع أكثر وأطبقت بقبضته الحديدية على طبقة الطحالب وأخذت تنتزعها وتحك الجسم للتخلص منها. بعد فترة من العمل الشاق استطاعت مارسيل أن تعري قسماً لا بأس به من سطح الجسم والذي تبين أنه مصنوع من الحديد.

قفز أندريه فرحاً وهو يصيح في مكبر الصوت لقد وصلنا بالفعل. هذه عربة من عربات القطار بكل تأكيد.

أصبحت مارسيل تعمل بشكل أسرع الآن واستطاعت إزالة المزيد من الطحالب. بدأت معالم الجسم تظهر بشكل أكبر. لقد تبين بالفعل أن هذا الجسم ما هو إلا مقطورة من مقطورات قطار.

كانت صور هذا الاكتشاف تنقل الى جميع الأعضاء الذين دب فيهم الحماس والتشويق.

أخذ أندريه يدور حول المقطورة باحثاً عن طريقة للدخول إليها. كانت مارسيل تحس بأن هناك أمراً ما لم يكن على ما يرام. فهم وصلوا الى عمق 1410 أمتار فقط بينما أكد الخبراء أن عمق البحيرة يصل في هذه البقعة الى ما يزيد عن 1600 متر. كما أنهم الآن لا يرون سوى مقطورة واحدة فأين إذاً باقي المقطورات وماذا حل بها؟ طلبت من أندريه أن يقترب مجدداً من سطح المقطورة لتزيل المزيد من الطحالب علها تكتشف السر، وفي نفس الوقت علها تعثر على طريقة للولوج الى الداخل. استجاب أندريه لها، فانهمكت في إزالة الطحالب عن الجهة العليا من المقطورة. بعد ساعة كاملة كان الإنهاك قد أصابها ولكنها تمكنت من إزالة مساحة كبيرة من الطحالب. طلبت من أندريه أن يرتفع قليلاً ليتمكنوا من رؤية كامل سطح المقطورة.

بمجرد أن أصبحت المقطورة كاملة في مجال الرؤية استطاعت

Twitter: @alqareah

مارسيل أن تقرأ في سرها ما هو مكتوب بالخط العريض على المقطورة المقلوبة على جانبها. لقد كتب باللغة الروسية الكلمة فلاديفستوك وهو اسم المدينة التي كان قطار الذهب يقصدها عندنا سقط في البحيرة. قرأ بيير ورينيه نفس الكلمة ولكن لم يعلق على الأمر سوى الموظف الحكومي الذي صاح في مكبر الصوت: هذه العربة واحدة من عربات قطار الذهب الذي كان متوجهاً الى فلاديفستوك.

عندما أمعن الجميع النظر الى المقطورة وتعرفوا على تفاصيلها بعد إزالة الطحالب عنها، اكتشفوا من تصميمها أنها مقطورة القيادة والتي تكون عادة في مقدمة القطار. عرف أندريه أنه لم يكن هناك حاجة لدخولها فالحمولة لا توضع في مقطورة القيادة لأنها بالكاد تتسع لشخصين. كان السؤال الأهم الآن: أين باقي المقطورات؟

دار أندريه مجدداً حول المقطورة ولكن ببطء شديد هذه المرة. زاد من درجة سطوع مصابيح الإنارة. خطر ببال مارسيل أمر ما، فطلبت من أندريه أن يدور حول المقطورة بدائرة أوسع ومن ارتفاع أكبر لكشف ما يحيط بها بشكل أفضل. فعل ما طلبته وحافظ على بطء سرعته. عندما كاد يتم دورة كاملة. لاحظ عتمة شديدة بالقرب من مؤخرة المقطورة. توجه ناحية العتمة فانكشف السر وزال الغموض.

لقد تبين لهم أنهم لم يكونوا قد وصلوا بعد الى قاع البحيرة، وأن هذه المقطورة استقرت أثناء سقوط القطار على هذا الجرف الصخري بينما انفصلت باقي العربات وهبطت نحو القاع.

وهكذا انطلق أندريه نحو العتمة وهبط بالغواصة الى أعماق جديدة. راقب مؤشر العمق الذي اقترب شيئاً فشيئاً من حاجز 1500 متر. كانت الرؤيا في ذلك العمق تكاد تكون معدومة. ولم تفلح المصابيح إلا في كشف جزء محدود من البيئة المحيطة بالغواصة. لم يكن هناك أي أثر

Twitter: @alqareah

للحياة. هل اختبأت الأحياء بعيداً عن هذا الزائر غير المتوقع؟ أم تراها كانت تتربص به من بعيد منتظرة أن يستسلم للأعماق فيرقد في القاع لتنقض عليه وتنهش ما تجده في جوفه من لحم طري تتغذى عليه شهوراً نفضت مارسيل هذه الفكرة عن ذهنها وعادت لتراقب بصمت المؤشر وهو يتجاوز 1550 متراً.

بدأ أندريه يحس باضطراب في جسد الغواصة الذي بدأ يرتج ارتجاجاً خفيفاً أخذ يشتد كلما توغل في العمق. بعد عشرين متراً أخرى كان الارتجاج قد أصبح قوياً وشديداً لدرجة أن مارسيل شعرت بأسنانها تصطك مع كل ارتجاجة. هل اصطكت أسنانها من ارتجاج الغواصة فقط، أم كان للخوف دور أيضاً؟ وخاصة أنها كانت تدرك أن الغواصة كانت على وشك الهبوط بها وبأندريه الى عمق لم يصله بشر من قبل.

أخذ جان كلود يراقب المؤشرات الخاصة بالغواصة ولاحظ معاناتها مع الأعماق. شعر بيير بقربه بقلق على مارسيل وهو مدرك تماماً أن الغواصة لم تصل الى هذا العمق إلا عبر برنامج المحاكاة والذي لا يُستبعد أن يخطئ. تزايد قلقه عندما أنار مؤشر أحمر في الشاشة أمام جان كلود. سأله بتوتر بالغ عن معنى هذا المؤشر الأحمر فأخبره جان أنه يدل على تعرض الغواصة الى الحد الأقصى من الضغط وأن أي هبوط إضافي قد يشكل خطراً على جسد الغواصة. كان مؤشر العمق يشير الى 1580 متراً.

عادل توقف مع توتر بيير نسي أن عليه أن ينادي صديقه باسمه الفرنسي، استدرك وصحح أندريه عليك التوقف. هناك خطر حقيقي على حياتكما تكلم بيير بعصبية واضحة.

نحن على وشك الوصول لم يبق الكثير قال أندريه بحماس.

في هذه اللحظة أصدرت المؤشرات طنيناً متقطعاً. كانت حالة

Twitter: @alqareah

الغواصة تزداد سوءاً عندما بلغت حاجز 1600 متر. زاد الارتجاج بشكل كبير وارتفع دوي جرس التنبيه باقتراب خطر وشيك. شعرت مارسيل وكأن جدران الغواصة كانت على وشك الانهيار.

ارجع حالاً. ارتفع فوراً. لا تكن أحمقاً. الغواصة لن تحتمل المزيد. كان بيير مستمراً بالصياح بكل ما أوتي من القوة. انضم جان كلود ورينيه الى بيير وطالبوا أندريه بالتوقف.

تحت هذا الإلحاح توقف أندريه عن الهبوط بعد أن استقر مؤشر العمق عند 1615 متراً. كان يشعر بغضب شديد، فلم يبقى سوى أمتار قليلة ويصلون الى موقع استقرار عربات القطار.

لم يتوقف صياح رفاقه وهم يدعونه الى الارتفاع قبل أن تنهار الغواصة.

فجأة صاحت مارسيل وطلبت من الجميع أن ينظروا الى شاشة المراقبة.

صمت الجميع عندما ظهرت ظلال داكنة على الشاشة التي كانت تنقل ما تصوره كاميرات الغواصة. بدأت الظلال تزداد وضوحاً عندما طلبت مارسيل من أندريه أن يقترب بضع أمتار أخرى. استجاب أندريه في ظل توقف المعارضة. كان دوي أجراس التنبيه يزداد حدة.

فجأة لمع من بين الظلال ضوء خطف أبصارهم. ركز أندريه ضوء المصابيح نحو البقعة التي انبثق منها اللمعان. ازداد سطوع الضوء المنعكس عن سبائك الذهب التي افترشت القاع.

بُهت الجميع ولم يُسمع إلا صوت اعتراض أجراس الإنذار.

تجرأ أندريه فاقترب أكثر. كان مؤشر العمق قد توقف عند 1625. بقيت خمس أمتار أخرى وتصبح السبائك الذهبية في متناول الذراع الآلي. شعر أندريه بالقلق عندما بدأ يسمع صوتاً غريباً صادراً من جدار

Twitter: @alqareah

الغواصة. تملكه الرعب ونسي الذهب ولم يفكر إلا في النجاة. غير من اتجاه حركة الغواصة وأخذ في الصعود بأقصى سرعة في وسط ذهول أصحابه الذين أذهلتهم مفاجأة رؤية السبائك الذهبية، ثم أفجعهم أندريه بالابتعاد عنها.

Twitter: @alqareah

الفصل الثالث والثلاثون

مصير المشروع

كان الإحباط وخيبة الأمل يسيطران على أعضاء الفريق بعد أن رأوا بأعينهم، كيف كانوا على قيد أنملة من الوصول الى الذهب. لم يوبخ أياً منهم أندريه فقد قام بما يجب القيام به وهو تحديداً ما كانوا يطالبونه بفعله قبل أن يخطف لمعان الذهب أبصارهم وربما بعضاً من عقولهم.

أرسل الموظف الحكومي تقريراً بما حصل لرؤسائه، وأبلغ أندريه سكرتير مدير المجموعة سيرغي بما حدث.

قضا عادل ورفاقه ليلة طويلة كان الحزن مخيماً عليهم فيها. لقد انهارت الأحلام التي كانوا يسعون الى تحقيقها في الشهور الفائتة. فعادل كان قد تخلى عن عمله وأصبح عاطلاً، وسالم أنفق جميع مدخراته على هذا المشروع، وجواد عرض نفسه لمخاطر جمة وسهر الليالي الطوال في سبيل إنجاح خطتهم. نتاشا كانت حزينة لحزن زوجها، أما روستام فقد ظهر عليه التوتر الشديد، وكان يبدو وكأنه يكظم غيظاً كبيراً في نفسه لا يصرح به.

هل نحاول مجدداً؟ سألهم عادل بعد فترة صمت طويلة قضوها وهم جلوس في غرفته، والوجوم مخيم على وجوههم.

ستكون مخاطرة كبيرة غير محسوبة العواقب. لقد رأيت بنفسك كيف كانت الغواصة على وشك الانهيار علق سالم.

Twitter: @alqareah

ألم يؤكد مطورو الغواصة على اجتيازها لهذا العمق بنجاح في البيئة الافتراضية؟ فشلها الآن يدل على وجود خلل ما، ولعلهم قادرون على إصلاحه، وعندها نستطيع العودة لنحاول مجدداً قال جواد وهو يرفض أن يفقد الأمل.

لقد أخبرت سيرغي سكرتير برينسكي بما حدث، ووعدني ببحث الأمر مع مطوري الغواصة. لكنني لا أريد أن أمنحكم آمالاً زائفة، فاختبار الغواصة ومحاولة إصلاح الخلل فيها قد يستغرق شهوراً طويلة أجاب عادل بنبرة ملؤها اليأس.

في صباح اليوم التالي وبينما كان أعضاء الفريق يجمعون حاجياتهم استعداداً للمغادرة، وصل اتصال الى قائد الفريق من أحد العلماء الذين كانوا يشرفون على تطوير الغواصة. أخبره العالم أن فريق المطورين سيدرس سجلات الغواصة الالكترونية التي جمعتها أثناء الرحلة ليتمكن من معرفة الخلل الذي أصابها. كان يبدو من كلامه أنه على يقين من أن الغواصة التي ساهم باختراعها تستطيع الوصول الى أبعد من العمق الذي وصلوا إليه البارحة بدون أن يشكل ذلك أي خطر عليها أو على ركابها. وعد العالم أندريه أن يخبره بما توصلوا إليه عندما ينتهوا من فحص السجلات.

عند الظهيرة كان أندريه ينتظر اتصالاً من سيرغي ليتفقوا على طريقة تسليم ما في عهدة الفريق من مفاتيح، وليسمح لهم بالمغادرة بعد أن تبين لهم أن الغواصة لم تكن مناسبة لتنفيذ المهمة.

في تمام الساعة الواحدة ظهراً رن جرس الهاتف. كان العالم الذي اتصل في الصباح عاد الآن ليخبر قائد الفريق بنتائج تفقده لسجلات الغواصة. رد أندريه عليه متوقعاً أن يخبره بموعد وصول أحد الخبراء لفحص الغواصة، لم يبد أندريه أي اهتمام بكلام العالم لمعرفته المسبقة

Twitter: @alqareah

أن أمور الفحص والتعديل تستغرق وقتاً طويلاً.

سيد أندريه. لقد تفحصنا سجلات الغواصة التي تم جمعها في مهمة الأمس وتبين لنا وجود خطأ برمجي في النظام الالكتروني الذي يتحكم بالغواصة والذي تم إعداده بحيث يصدر تنبيهاً صوتياً ومرئياً ليدفع قائد الغواصة للتوقف عن الهبوط لمسافات أعمق عند بدء الشعور بالخطر.

لم يفهم أندريه ما كان العالم يحاول إيصاله له، إذ كيف تمكن من فحص السجلات من غير أن يبعث أحداً لدراستها. استأذنه أندريه بالانتظار قليلاً ريثما ينادي جان كلود والذي سيتمكن من مجاراته وفهم ما يقوله بشكل أفضل.

تناول جان السماعة وأخذ ينصت للعالم ويهز رأسه بين الحين والآخر ويجيب بكلمات بسيطة مفهوم هكذا إذاً لقد توقعت أمراً كهذا عن بعد؟ عظيم شكراً لك.

أنهى جان المحادثة وأقفل الخط والتفت الى أندريه الذي كان يقف منتظراً مع باقي أعضاء الفريق الإشارة للمغادرة.

ابتسم جان استعدوا سنغادر قريباً.

لمن سنسلم المفاتيح؟ سأل بيير.

لا داعي لتسليمها.

ماذا تعني؟ سأل أندريه.

سنغوص مجدداً أجاب جان كلود وقد رسم على وجهه ابتسامة عريضة.

كف عن التهريج يا جواد قالت نتاشا بعصبية وقد تخلت عن الشخصية التي كانت تتقمصها.

أنا أقول الحقيقة. لقد أخبرني العالم أنهم اكتشفوا خللاً برمجياً في نظام الغواصة جعلها تظن أنها وصلت الى عمق 1800 متر مع أننا وكما

Twitter: @alqareah

تعرفون لم نصل إلا لعمق يزيد عن 1600 متر بقليل.

ماذا؟ ما هذا الهراء؟ كيف يفسر إذاً الارتجاجات التي كنا نشعر بها عند ذلك العمق والتي كانت توحي بقرب تفسخ جدران الغواصة سألت نتاشا بعصبية وقد نجح جواد في الاستيلاء على اهتمامها.

لقد تم تصميم الغواصة بشكل فريد بحيث تعطي تنبيهاً صوتياً وهو ما تمثل في جرس الإنذار، وتنبيهاً آخر محسوساً وهي الارتجاجات التي شعرتم بها. إن الأمر شبيه بألعاب الفيديو عندما تقودون سيارة افتراضية ثم تتعرض للاصطدام فتصدر عصا التحكم ارتجاجاً يضعكم في جو اللعبة. الغواصة قامت بنفس الأمر في الأمس.

عاد الحماس ليعتلي الوجوه مجدداً.

ومتى سيتمكن هذا العالم ورفاقه من إصلاح الخلل؟ سأل روستام.

اتسعت ابتسامة جواد لقد أصلحوا الخلل بالفعل؟

لم أفهم. كيف أصلحوه ولم يقترب أحد من الغواصة منذ البارحة؟ سأل سالم مستغرباً.

نظام الغواصة المتطور متصل بشبكة الانترنت، مما سهل على المطورين الوصول الى سجلات الرحلة الأخيرة، والتعرف على موضع الخلل بل وإصلاحه أيضاً عن بعد.

ألجمت الدهشة ألسنة رفاقه برهة من الزمن قبل أن يفيقوا ويدركوا أنهم قادرون على المحاولة مجدداً.

تحولوا فجأة الى شعلة من النشاط، وفي أقل من ربع ساعة كانوا جميعاً مستعدين لاستئناف المحاولة. تم إبلاغ الموظف الحكومي بآخر التطورات فتحمس هو الآخر وتوجه مع رينيه الى غرفة المراقبة استعداداً لجولة أخرى.

انطلق بيير باليخت وبصحبته جان كلود، مارسيل وأندريه، نحو

Twitter: @alqareah

الموضع الذي توقفت فيه الغواصة بالأمس، فاعتلاها أندريه وزميلته مارسيل ودخلوا الى جوفها.

خلال دقائق كانت الغواصة تهبط نحو الأعماق بسرعة وثقة كبيرتين. زالت جميع مظاهر الخوف والتوتر والتردد التي خيمت على مارسيل في اليوم السابق وحل محلها حماس شديد.

وصلت الغواصة سريعاً الى الموضع الذي ترقد فيه مقطورة القيادة وتجاوزته بسهولة وهبطت نحو عمق أكبر. هذه المرة لم يشعر أندريه بأي ارتجاج عندما وصل الى عمق 1600 متر وتجاوزه، ولم تظهر على الشاشة أي مؤشرات حمراء اللون ولم ينطلق جرس الإنذار عندما اقترب من القاع.

عاد لمعان الذهب ليسلب عقول محبيه. اقتربت الغواصة من الظلال فتبين أنها عربات قد تحطم بعضها فلفظت ما بجوفها، وتلحفت مجموعة أخرى منها بغطاء من الطحالب أخفى معالمها، بينما رقد ما تبقى من عربات تحت صخور انهالت عليها قبل سنوات طويلة.

أدخلت مارسيل يديها في قفازي التحكم وأخذت تجمع برشاقة بالغة ما تناثر على القاع من سبائك ذهبية عذراء فرت من زنزاناتها الخشبية التي تحطمت مع الاصطدام الأول قبل تسعين عاما.

ضغط أندريه على زر أمامه فانبثقت شبكة من قضبان حديدية من قاع الغواصة ومؤخرتها نحو الخلف مكونة سياجاً حديدياً أشبه بالقفص يصلح لنقل صناديق السبائك الذهبية. أخذت مارسيل تلقي ما جمعته من سبائك في القفص، ثم طلبت من أندريه أن يقترب من العربة المحطمة التي أخرجت أحشاءها اللامعة. استطاعت أن تحمل بعضاً من الصناديق التي وجدتها هناك. كان بعضها سليماً وبعضها الآخر قد تحطم جزئياً.

خلال ساعة واحدة كان قفص الغواصة قد امتلأ عن آخره. أخذت

Twitter: @alqareah

مارسيل قسطاً من الراحة في رحلة العودة الى السطح.

كانت فرحة أعضاء الفريق عارمة عندما أمسكوا سبائك الذهب بأيديهم. قام بيير بتفريغ حمولة الذهب الى المركب ورجع الى الشاطئ. هناك كان رينيه والموظف الحكومي في انتظاره. كان عليهم أن يعملوا بمفردهم فهذه مهمة ليس من السهل ائتمان أحد عليها. قاد الموظف الحكومي الرافعة التي حملت صناديق الذهب ثم أفرغتها في مستودع قريب كان الموظف هو الوحيد المخول بدخوله.

في أثناء ذلك انطلق أندريه ومارسيل في جولة أخرى لجمع مزيد من صناديق الذهب. في البداية حرصت مارسيل على جمع الذهب الذي استطاعت الوصول إليه بسهولة، وتركت العربات محكمة الإغلاق وتلك التي ترزخ تحت الصخور الى وقت آخر.

استمرت الجولات الى ما بعد غروب الشمس. كان الإنهاك قد نال من أعضاء الفريق جميعهم، فتوقفوا عن العمل وذهبوا ليستريحوا بعد أن أرخى الليل سدوله، واستسلموا سريعاً لسلطان النوم في واحدة من أهنئ الليالي. أحكم الموظف الحكومي إغلاق المستودع الذي بات الآن عامراً بسبائك الذهب التي قام برصها وعدها بعناية كبيرة، وقبل أن ينام هو الآخر أرسل تقريراً مفصلاً حول مهمة اليوم الناجحة.

عاد الفريق للعمل في اليوم التالي مبكراً جداً بمجرد بزوغ الفجر. كانت مهمة مارسيل في هذا اليوم أصعب إذ كان عليها إزالة الطحالب عن مداخل العربات الموصدة، ثم فتح الأبواب أو كسرها ثم إخراج الصناديق منها. تطلب ذلك منها جهداً كبيراً مما دفع بيير الى إقناعها بأن يحل محلها. في البداية رفضت ذلك بحجة أنه غير مدرب على التحكم بالذراع الآلي، ولكنها عادت ورضخت عندما بدأت تشعر بالإجهاد، واشترطت أن تشرف على عمله بنفسها. وافق بيير على طلبها وبعد

Twitter: @alqareah

تدريب قليل انهمك في اقتحام الأبواب واقتلاعها كلما وجد صعوبة في فتحها. كان الذراع الآلي يستجيب بسهولة لأوامر بيير حتى في تلك الحالات التي تطلبت إزاحة الصخور ودفعها بعيداً عن العربات.

فزعت مارسيل فزعاً شديداً عندما اقتحم بيير إحدى العربات فوجدها ملئا بالهياكل العظمية البشرية. فر منها أندريه مسرعاً وتوجه الى عربة أخرى. لم يتمكنوا من الانتهاء من نقل جميع الصناديق في ذلك اليوم أيضاً، ولا الذي يليه واضطروا للعمل بضعة أيام إضافية لنقل مئات الأطنان من السبائك التي كانت ترقد في القاع منذ عشرات السنين.

مع غروب شمس اليوم الأخير كان المستودع قد طفح بأكوام السبائك الذهبية. كان الموظف يعمد الى توزيع السبائك الى مجموعتين بنسبة واحد الى ثلاثة. المجموعة الأصغر كانت حصة برينسكي، بينما كانت المجموعة الأكبر من نصيب الحكومة الروسية.

كانت الفرحة والسرور مسيطرة على الأجواء تلك الليلة التي دعا فيها رينيه الجميع للاحتفال بمناسبة إتمام المهمة بنجاح منقطع النظير. أحضر صنوفاً كثيرة من الطعام والشراب ودعا الموظف الحكومي والحراس لمشاركتهم احتفالهم الذي استمر ساعتين قبل أن يشعروا بالتعب والإجهاد ويتوجهوا الى غرفهم للنوم.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل الرابع والثلاثون

التسليم

كان صباح اليوم التالي حافلاً إذ كان عليهم تسليم الذهب رسمياً الى ممثلي الحكومة والشركة الممولة للمشروع.

عندما استيقظ جواد كان يشعر بإرهاق وصداع شديد وألم في الرقبة. تلفت بحثاً عن روستام ولكنه لم يجده في الغرفة. ظن أنه نهض قبله ونزل الى البحيرة. غير ملابسه وأخذ حماماً سريعاً وعرج على غرفة عادل وسالم فوجدهما قد استيقظا واستعدا للنزول. سألهما عن روستام فأخبراه أنهما لم يرياه منذ حفلة البارحة. كانا هما أيضاً يعانيان من نفس الصداع. فسروا الأمر على أنه صداع ناتج عن الإرهاق والسهر الطويل.

مر سالم بغرفة زوجته واصحبها معه عندما نزل الى الطابق الأرضي. تجمع الرفاق في الأسفل منتظرين وصول سيرغي الذي اتصل بهم ليخبرهم أنه سيشرف على عملية التسليم بنفسه.

كان عادل غير قادر على تمالك نفسه من شدة الفرح، فكلها ساعات قليلة ويحصل على نصيبه من المكافأة والبالغ مليون دولار أمريكي. سيحل هذا المبلغ جميع مشاكله.

استغرب الجميع اختفاء روستام المفاجئ. حاول سالم الاتصال به فوجد هاتفه مغلقاً. بدأ القلق يتسرب الى نفسه عندما سأل الحراس عنه فأخبروه أنهم لم يشاهدوه ذلك اليوم.

Twitter: @alqareah

وصل سيرغي وبصحبته مجموعة من الأشخاص، عرّف عن بعضهم بأنهم خبراء في الذهب. طلب منهم التوجه الى المستودع لإتمام عملية التسليم.

لم يستطع سيرغي ومن بصحبته إخفاء انبهارهم بمظهر أكوام السبائك الذهبية المكدسة فوق بعضها البعض. سلمه الموظف الحكومي تقريراً عن عدد السبائك التي قاموا بانتشالها ملحقاً بمجموعة من الأقراص المدمجة التي اخبره أنها تحتوي على تسجيل مصور لجميع خطوات تنفيذ المهمة.

انهمك الخبراء في أخذ عينات مختلفة من السبائك الذهبية التقطوها من مواقع عشوائية في المجموعتين. قاموا بوزنها وقياس حجمها للتأكد من أنها مصنوعة من الذهب الخالص. لم يكن من الممكن استبدالها بسبائك مصنوعة من معادن رخيصة مثل الحديد مثلاً وطليها بالذهب، لأن حجمها ووزنها سيكون مختلفاً ومن السهل كشفه.

أومأ الخبراء برؤوسهم مؤكدين أن وزن السبائك وأحجامها تؤكد أنها صنعت من الذهب الخالص.

شكر سيرغي أعضاء الفريق الفرنسي ودعاهم الى التوجه معه الى مكتبه في مدينة إركوتسك ليتفق معهم على الطريقة التي يفضلون بها الحصول على مكافأتهم.

انطلقوا خلفه في سيارة أجرة تاركين المستودع في عهدة رجال استدعتهم الحكومة لنقل الذهب الى مكان أكثر أمناً.

كان روستام لا يزال مفقوداً.

Twitter: @alqareah

الفصل الخامس والثلاثون

السر الأخير

كان ميخا منهمكاً في عمله عندما دخل عليه سيرغي ليخبره بأن شخصاً في الخارج يدعي أنه صديق قديم يود الالتقاء به ويصر على الدخول إليه بدون أخذ موعد مسبق. شعر ميخا بتقلص في معدته عندما تذكر أن شخصاً وحيداً يعرفه هو فقط من اعتاد فعل ذلك.

دخل الزائر فاتحاً ذراعيه فاضطر ميخا للنهوض من مكتبه وتبادل العناق معه، ثم دعاه للجلوس على مقعد مقابل لمكتبه.

مر زمن طويل، أليس كذلك؟ ابتسم الزائر وهو ينظر مباشرة في عيون ميخا.

بالفعل. لعل المانع خيراً أجاب ميخا وقد صرف نظره الى أوراق أمامه على المكتب ادعى انهماكه في تفقدها.

لقد أثبتَّ أنك قادر على تجاوز أكبر المحن. تستحق أن نرفع لك قبعاتنا كان لا يزال يبتسم ابتسامة صفراء تتناسب مع صفرة أسنانه.

كان علي إنقاذ عائلتي من السقوط في الهاوية تحدث ميخا جاداً.

نعم. صدقت. العائلة قبل كل شيء. ولكن لا تنسى أننا تدخلنا في الوقت المناسب لإنقاذ سمعتك.

بالتدخل تقصد تعاملكم مع أزمة الصحافي؟ تساءل ميخا وهو يعرف الإجابة جيداً.

Twitter: @alqareah

وهل ظننت أننا سنترك رجلنا المخلص في محنته بمفرده؟

أتمنى أن لا يكون قصدك من وصفي بالمخلص التهكم، فأنا بالفعل كنت ولا أزال مخلصاً لكم، وأنا أقسم أنني وعائلتي ليس لدينا أي يد في تسريب تلك الأخبار. فلا يعقل أن أدمر نفسي بيدي. تكلم ميخا وهو غير قادر على إخفاء توتره.

لا تقلق. نحن واثقون مما تقول.

لكنني ما زلت الى الآن لا أعرف هوية المسئول عن تسريب تلك المعلومات الى الصحافة. هل كانت المخابرات الروسية متورطة في الأمر؟

ضحك الزائر بصوت عالٍ مصدراً قهقهة مصطنعة المخابرات الروسية كانت تحاول العبث معنا ولكنها لم تستطع.

بالعبث معكم تقصد محاولتها استمالة لينا ابنتي؟ مسح ميخا قطرات العرق التي تكونت على جبهته.

صفق الزائر بسخرية أحسنت. أنت إذاً واعٍ لما يحصل في بيتك.

لكنني تأكدت أن الوثائق الأصلية لا تزال بحوزتي. إذاً كيف استطاعت المخابرات الروسية تسريبها الى الصحافي الذي كان يؤكد امتلاكه وثائق أصلية؟ تساءل ميخا بحيرة.

ومن قال لك أن المخابرات الروسية هي التي سربت الوثائق؟

زادت حالة ميخا سوءاً ومن غيرهم من مصلحته تسريب هذه الوثائق؟ لا تقل لي أن مخابرات أجنبية متورطة في الأمر؟

ضحك الضيف بغير اصطناع هذه المرة لا. اطمئن فهذا ليس فيلماً من أفلام جيمس بوند ومزيد من القهقهات.

فسر لي إذاً من فضلك نفذ صبر ميخا.

كل ما في الأمر أن المخابرات الروسية حاولت أن تلعب معنا

Twitter: @alqareah

لعبة القط والفأر. وظنت أنها تستطيع لعب دور القط من خلال تجنيد ابنتك لينا لتوصل لنا رسالة مفادها أنها قادرة على العبث معنا في عقر دارنا. الحكومة الروسية تدرك أن أغلب أقطاب الصناعة والاقتصاد اليهود يعملون معنا، فأحبت أن تنبهنا بطريقة خرقاء أنهم يراقبوننا عن قرب. لم يكن هدف الروس الوصول الى المستندات فهم على علم بمحتواها. كان كل ما يريدون فعله إن يثبتوا لنا أنهم قادرون على تجنيد أفراد قريبين جداً منا.

كان علينا أن نرد عليهم برد عنيف غير متوقع، وهكذا كان.

ما زلت لم أفهم حتى الآن. من الذي سرب الوثائق الى الصحافي؟ زاد توتره.

اهدأ يا صديقي العزيز. كان الروس يظنون أنهم بتجنيد ابنتك ودفعها لسرقة المستندات سيعمدون لإخافتنا وبالتالي تحجيمنا كي لا نخوض في شئونهم ولا نعبث بسياستهم الخارجية. لكنهم لم يخطر ببالهم أن نقوم بأنفسنا بتنفيذ ما كانوا يهددوننا بفعله.

ماذا تقصد؟ بالكاد خرج صوت ميخا.

لم يتوقعوا أننا نملك الجرأة لتسريب الوثائق بأنفسنا للصحافة. لقد أثبتنا لهم أننا لا نخشى شيئاً وأننا نملك زمام الأمور. وهكذا يا صديقي الطيب كنا نحن من اتصل بالصحافي وسربنا له بعض الوثائق ووعدناه بالمزيد.

قاطعه ميخا وهو ينظر إليه باحتقار وعندما تأكدتم من وصول الرسالة الى المخابرات الروسية تخلصتم من الصحافي واستعدتم الوثائق.

أحسنت. أحسنت. ها قد أصبحت ضليعاً في أصول وقواعد عملنا. نعم وصلتهم الرسالة والدليل على ذلك قيامهم بالتعتيم على مقتل الصحافي. فليس من مصلحة الحكومة الروسية أن تظهر أمام شعبها

Twitter: @alqareah

وكأنها في صراع على أرضها مع مخابرات دولة صغيرة مثل إسرائيل.

كانت مفاجأة لم تخطر لميخا على بال. لقد أدرك الآن أنه وعائلته لم يكونوا سوى أحجاراً تحركها إسرائيل على رقعة الشطرنج. تألم عندما أدرك أنه لا يملك تغيير هذا الواقع.

Twitter: @alqareah

الفصل السادس والثلاثون

أين روستام؟

وقف روستام في ميناء جبل علي ليشرف بنفسه على تفريغ حمولة القضبان والألواح الحديدية التي اعتاد استيرادها من روسيا وبيعها في دبي أو إعادة تصديرها. كانت الحمولة هذه المرة أكبر من سابقاتها، واستغرق تحميلها في الشاحنات وقتاً أطول.

كان يشعر بسعادة بالغة عندما اتصل بأحد رفاق السلاح في الشيشان ليبلغه بمفاجأة سارة ستفرحه وتسعد زملاءه.

بعد الانتهاء من تحميل الشحنة ونقلها ثم تفريغها في مستودع كبير استأجره بغرض التخزين، أجزل روستام العطاء للعمال الأفغان والباكستانيين الذين قاموا بمهمتهم على أكمل وجه، وغادروا سعيدين بمكافأتهم.

داخل المستودع وقف وحيداً يتأمل القضبان الحديدية التي رأى أولها ولم يرى آخرها. التقط منشاراً كهربائياً من فوق طاولة قريبة من مدخل المستودع، واقترب من أحد الألواح الحديدية التي بدت مسمطة وأخذ بنشر مقدمتها. سقط طرف اللوح الحديدي كاشفاً عن تجويف بداخله. أمال اللوح من طرفه الآخر فتساقطت سبائك ذهبية لامعة.

ضحك ضحكة مدوية.

لقد كانت جميع هذه الألواح والقضبان تحتوي في أجوافها على

Twitter: @alqareah

سبائك ذهبية رصت بعناية وإحكام.

لقد تمكن روستام من فعل المستحيل. سيتمكن أخيراً من العودة الى الشيشان ليستأنف نضاله.

عندما سمع بقصة الذهب وعرف بعزم أصدقائه على المشاركة في انتشاله، أضمر النية على الاستيلاء عليه. وقتها لم يكن يعرف كيف سيتمكن من تحقيق ذلك ولم يكن حتى واثقاً من إمكانية نجاح رفاقه في مسعاهم. سر كثيراً عندما عرف بخطة جواد وسالم لزيادة فرصة فريقهم بالفوز بالمسابقة، وما أن علم باختيارهم فعلاً لتنفيذ المشروع، أخذ يفكر في طريقة تمكنه من الاستيلاء على الذهب دون أن يشعر أحد بذلك ومن غير أن يعرض رفاقه للخطر.

ظن في البداية أن باستطاعته ببساطة أن يستبدل السبائك الذهبية عند العثور عليها بسبائك حديدية مطلية بالذهب. استشار أحد أصدقائه وهو أستاذ جامعي يدرِّس مادة الكيمياء بأن سأله سؤالاً افتراضياً عن طرق تزييف الذهب وهل يصلح طلي الحديد لهذه الغاية. أخبره الأستاذ أن كثافة الذهب أكبر بكثير من كثافة الحديد لهذا فمن غير الممكن الحصول على سبيكة من الحديد لها نفس حجم ووزن سبيكة الذهب، لأن سبيكة الحديد المطلي إما ستكون أقل وزناً إن كانت بنفس حجم سبيكة الذهب، أو ستكون أكبر حجماً إن كانت بنفس وزن سبيكة الذهب، وهكذا سيكون اكتشافها في كلي الحالتين سهلاً.

يومها كاد روستام أن يفقد الأمل ويغض الطرف عن الخطة، قبل أن يستدرك الأستاذ ويخبره بوجود معدن آخر له كثافة قريبة جداً من كثافة الذهب يطلق عليه تانجستين Tungsten. أخبره أن كثافة الذهب تبلغ 19.30 جرام/ سم مكعب، أما كثافة التانجستين وهو معدن رمادي اللون فتبلغ 19.25 جرام/ سم مكعب، وهكذا عندما تصاغ سبيكة وزنها

Twitter: @alqareah

كيلو جرام واحد من معدن التانجستين مطلية بالذهب يكون الفارق في حجمها مقارنة بسبيكة من الذهب الخالص لديها نفس الوزن صغيراً جداً حسبه الأستاذ بأنه لا يتجاوز ما نسبته 0.0017٪ وهي نسبة ضئيلة جداً لا يمكن كشفها أبداً لأنها تدخل في نطاق الخطأ الهامشي الذي لا يعتد به. الطريقة الوحيدة لاكتشاف هذا النوع من التزوير هي بكشط السبيكة أو نشرها أو صهرها.

توقع روستام أن تكون تكلفة هذا المعدن مرتفعة، ولكنه فوجئ عندما علم أن سعر السبيكة الواحدة التي تزن كيلو جراماً واحداً لا تتجاوز 35 دولاراً أمريكياً.

وهكذا بدأ بإعداد خطته فقام بإرسال صديقه الشيشاني أصلان الذي بات يثق فيه جداً الى روسيا، وطلب منه شراء أطنان من المعدن المزيف. لحقه بعد فترة وجيزة وقام بالإشراف بنفسه على صك المعدن في سبائك، ثم طليها بالذهب في أحد المصانع التي توقفت عن العمل بسبب الأزمة الاقتصادية، فطلب من صاحبه تأجيره له لمدة شهر وأجزل له العطاء. عمل روستام مع مجموعة من رفاقه الموثوقين في المصنع ليالي طويلة وصلوا فيها الليل بالنهار. كان روستام على وشك أن ينفق جميع ما كان يملكه على هذه المغامرة غير مأمونة العواقب.

في اليوم الذي انتهى فريقه من انتشال السبائك الذهبية كان الوقت قد حان لإتمام خطته، وهكذا قام بدعوة أصدقائه والموظف الحكومي وجميع الحراس لحضور احتفال بمناسبة نجاح المهمة. كان روستام قد دس نوعاً من المخدر في الطعام والشراب يتأخر مفعوله بعض الوقت.

عندما توجه الجميع للنوم استطاع روستام سرقة مفتاح المستودع من الموظف الحكومي الذي ترك باب غرفته موصداً من غير إقفال من شدة النعاس. كان روستام يدرك أن مدخل الموقع المسيج يتم مراقبته

Twitter: @alqareah

بالكاميرات التي تعمل ليل نهار. كانت الطريقة الوحيدة لتهريب الذهب هي عن طريق البحيرة. وهكذا وصل رفاقه الشيشان في مركب كبير خاص بالشحن اقترب من شاطئ البحيرة.

أخذ روستام ورفاقه ينقلون الذهب الى المركب ويستبدلونه بسبائك مزيفة. من حسن الحظ فقد أتى بعدد كبير من السبائك المطلية تكفي لاستبدال الحمولة المخزنة في المستودع بأكملها. قرر روستام أن يستولي على نصيب الحكومة الروسية فقط ويترك حصة برينسكي دون مساس. عندما سأله أحد زملائه عن سبب ذلك. أخبره أن نصيب الحكومة سيتم إيداعه على الأغلب في خزينة البنك المركزي ولن يكتشف أحد أنه مزيف، أما حصة برينسكي فمن المحتمل أن يبيعها أو يصهرها، وبالتالي فهناك احتمال كبير في أن تنكشف عملية التزييف.

عندما تم الانتهاء من تحميل السبائك الذهبية على المركب والتأكد من استبدالها بنفس العدد من السبائك المزيفة، قرر روستام أن يغادر مع المركب. كان قراره هذا نابعاً من حرصه على أصدقائه الذين تركهم خلفه، فقد أراد أن يتحمل المسئولية كاملة في حال تم اكتشاف عملية التزييف، سيكون في اختفائه حينها دليلاً على تورطه وبراءة أصدقائه.

وهكذا استولى روستام على الذهب وهربه الى خارج روسيا مخبئاً في أجواف ألواح حديدية اعتاد تصديرها.

لقد أكمل قطار الذهب طريقه الى خارج الأراضي الروسية

النهاية

Twitter: @alqareah

تنويـــه

جميع الأماكن الواردة في هذه الرواية حقيقية.

جميع المعلومات التاريخية الواردة في هذه الرواية صحيحة.

جميع التقنيات الحديثة وأساليب الاختراق الإلكتروني التي تم التطرق إليها في هذه الرواية واقعية.

جميع أسماء الشركات والمؤسسات الروسية الواردة في هذه الرواية هي أسماء وهمية، وإن كانت مشابهة لأي أسماء حقيقية في الواقع فإن ذلك من باب الصدفة المحتة فقط.

Twitter: @alqareah

كنزُ القَيصَر المفقُود

رواية

د. وليد عودة

• كاتب وروائي فلسطيني ولد في الكويت ودرس في أوكرانيا. لديه العديد من المؤلفات العلمية والأدبية، وهو حاصل على الدكتوراة في هندسة الكمبيوتر. يعمل ويقيم حالياً في الإمارات العربية المتحدة.

• صدر للمؤلف أيضاً:

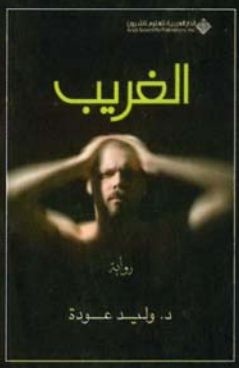

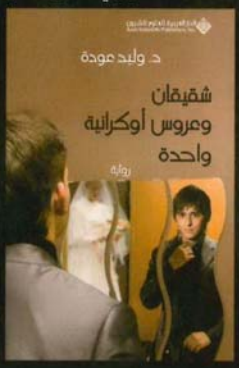

مئات الأطنان من السبائك الذهبية يتم تهريبها من البنك المركزي الروسي إبان سقوط الدولة القيصرية واستيلاء البلاشفة الروس على مقاليد الحكم في بدايات القرن العشرين. تحاول مجموعة من الجنود التشيكوسلوفاك الهرب من روسيا وبحوزتهم الكنز الروسي المسلوب. يفطن الروس للأمر ويأمر قائدهم بتفجير السكة الحديدية أمام القطار الذي يحمل الذهب. ينحرف القطار عن السكة ويغرق في بحيرة بايكال ويستقر في قعرها على عمق يزيد على ميل. بعد تسعين عاماً وبتمويل من الملياردير الروسي برينسكي ينجح العلماء الروس باختراع غواصة قادرة على الوصول إلى أعماق كبيرة في المياه العذبة.

يتم تنظيم مسابقة لاختيار فريق متخصص في استكشاف البحار تشارك فيها مجموعات من جميع أنحاء العالم، يكون الهدف منها انتشال الصناديق الذهبية من قعر البحيرة.

تحاول مجموعة من الأصدقاء في دبي تكوين فريق للمشاركة في المسابقة بقيادة «عادل» المهندس البحري المصري. تستعين المجموعة بقدرات «جواد» مهندس الكمبيوتر السوري المتميز للقيام بعمليات اختراق إلكترونية غاية في الدقة والذكاء لضمان نجاح الفريق بالفوز بالمسابقة والمشاركة في عملية انتشال الذهب.

هي مغامرة مشوقة تحبس الأنفاس تدور تفاصيلها بين دبي وموسكو والريف الروسي نتعرف من خلالها على دور «الموساد» في الحياة السياسية في روسيا وتغلغله بين أوساط الأثرياء وأقطاب الاقتصاد.

ISBN 978-614-01-0239-2

نيل وفرات.كوم
جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

تصميم الغلاف: سامح خلف